

مولد البطل

في السيرة الشعبية

كتاب

الملا

د. أحمد شمس الدين الحجاجي



0217490

Bibliotheca Alexandrina



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عادل عبد الصمد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط
KITAB AL-HILAL

العدد ٤٨٤ - رمضان - ابريل ١٩٩١ NO . 484 AP . 1991

اسعار البيع للعدد فئة ٢٥٠ قرش

الأردن ١٥٠٠ فلسا ، الكويت ١٥٠٠ فلسا ، العراق ٢ دينار ، السعودية ١٠ ريال ، المغرب
قطر ١٠ ريالات ، الإمارات العربية ١٠ درهم ، سلطنة عمان ١ ر

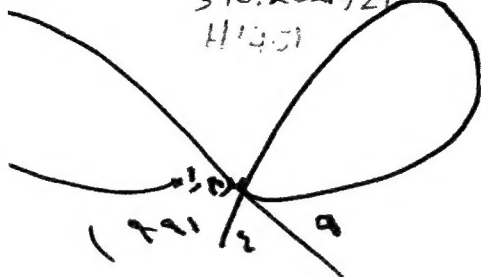
اهداءات ٢٠٠١

اصلاح راتب

القاهرة

398.204924

H1451



مولد البطل

في السيرة الشعبية

بقلم

د . احمد شمس الدين الحجاجي

دار الهلال

التغلاف تصميم الفنان · محمد أبو طالب

**إلى آخر فرسان السيرة
وقد ترحل عن فرسه :**

الدكتور

النعمان عبدالمتعال القاضي



٩ / ٤ / ١٩٦١



مقدمة

يتناول هذا البحث حلقة من حلقات السيرة وهى مواليد البطل
كما قدمته السيرة الشعبية ..

والسيرة الشعبية نوع أدبى من أنواع الأدب العربى الذى أهمل
أو أغفل حتى إنه لم يدخل ضمن الأنواع الأدبية المعروفة ، وقد
اشترك فى هذا الإهمال كثير من الباحثين عربا كانوا أم غير عرب .

وقد أدى ذلك إلى التهاون فى جمع نصوصها ، فضاعت
النصوص التى كانت تروى فى الأربعينات عن "عنترة" و"سيف
ابن ذى يزن" و"المهلل" .. بوفاة رواتها .

كما ضاع كثير من النصوص المختلفة لسيرة بنى هلال لوفاة
رواتها ، ولم يبق إلا عدد قليل من رواة بنى هلال ، متناثرين فى
أنحاء الإقليم المصرى ، وقد ترك معظمهم حرفة الرواية الشعبية
للعمل فى حرف أخرى ، أو تحولوا إلى مغنين من مغنى الأفراح .
وقد أدى هذا الإهمال إلى عدم التوفر على دراسة السيرة

الشعبية ، ورفضها لونا أدبياً واحتقارها واحتقار مؤيديها حتى الأربعينات من هذا القرن .

ولعل من أهم نتائج هذا الإهمال الحكم على العقلية العربية بأنها جزئية النظرة غير قادرة على رؤية الكل وقصور خيالها وعجزه .

بدأ هذا الحكم من خلال النظرة العنصرية عند "رينان" ، وانتهى إلى أن أصبح حكماً عاماً لا علاقة له حتى بالنظرة العنصرية . وقد تبني وجهة النظر هذه "دى بور" و"جورج جيكونب" و"وجرونبوم" ، و"نيكلسون"^(١) .. وقد وافق بعض الباحثين العرب على هذه النظرة ودعموها ؛ فالحقاد يرى أن العرب أمة بلا خيال ، وأحمد أمين أيضاً يرى أن الجاهلى محدود الخيال ، وغنيمى هلال لا يتهم العقل العربى بشيء ، ويصب حديثه على القصة العربية فيرى أن لها مفهوماً خاصاً لم تنهض لتكون ذات رسالة إنسانية^(٢) ..

وقد وقف أيضاً بعض دارسى الأدب العربى من عرب وأجانب موقف المدافع ، من خلال تناولهم لفن السيرة الشعبية . فكان الحديث عنها دفاعاً عن العرب وعن فن السيرة والقصة عموماً^(٣) .

ولقد بدأ العرب يهتمون بدراسة أعمالهم الشعبية منذ الأربعينات من هذا القرن ، تمت معظم المحاولات داخل أروقة الجامعة أو من باحثين قريبيين لأروقتها . ولقد كان الطريق شاقاً وصعباً أمام الرواد ، فلم يكن أمامهم من مثل يحتذونه سوى دراسات المستشرقين والرحالة ، وهى قليلة لا تكفى لأن تكون هادية للطريق الجديد . لقد كانت أقدم الدراسات محاولة محمد توحيد السلحدار الكشف عن أسباب تقبل الجمهور لمسرحية "الأحذب" التى قدمها "جورج أبيض" سنة ١٩١٢ م .. فربط بينها وبين مفهوم الفروسية فى القصص الشعبى^(٤) . وقدمت سهير القلماوى رسالة لنيل درجة الدكتوراه عن "ألف ليلة وليلة" ،

سنة ١٩٤٢ م . وكان أول عمل يتناول السيرة الشعبية يقوم به الجيل الأول من الرواد ، هو بحث محمد فهمى عبداللطيف "أبو زيد الهلالي" سنة ١٩٤٦ م ، وفؤاد حسانين "قصصنا الشعبى" سنة ١٩٤٧ م ، وعبدالحميد يونس فى دراسته "الظاهر بيبرس" التى نال بها درجة الماجستير ، و"الهلالية" التى نال بها درجة الدكتوراه ، وكذلك شكرى محمد عياد فى دراسته "البطل فى الأدب والأساطير" التى قدمها سنة ١٩٥٩ م ، وقد درس فيها التكوين الذاتى والتكوين الموضوعى للبطل دراسة نفسية . أما الجيل الثانى من دارسى السيرة ، فقد عبد لهم الجيل الأول الطريق إلى حد ما ومع ذلك فلقد كان الطريق أمامهم شاقاً وعسيراً .

قدمت نبيلة إبراهيم دراستها عن "ذات الهمة" التى نالت عليها درجة الدكتوراه . وكذلك دراستها عن "أشكال التعبير فى الأدب الشعبى" ،

وقدم محمود ذهنى "عنترة بين التاريخ والأدب الشعبى" ، وهى رسالة نال بها درجة الدكتوراه ، كما قدم مشتركاً مع فاروق خورشيد "فن كتابة السيرة" ، وقدم فاروق خورشيد أيضاً "الرواية فى عصر التجميع" ثم قدم "أضواء على السيرة الشعبية" .

وقدم على زيعور "أضواء على السيرة الشعبية العربية" ، وقدم شوقى عبدالحكيم "سيرة بنى هلال" و"السيرة والملاحم الشعبية العربية" .. كما قدم محمد رجب النجار "أبو زيد الهلالي الرمز والقضية" و"البطل فى السيرة والملاحم" . وقدم صلاح الراوى "عزيزة ويونس" . وقد تقابعت محاولات عدد من الباحثين فى دراسات قدمت فى المؤتمرات العلمية والصحف والمجلات منهم "عبدالحميد حواس" و"حافظ دياب" و"أحمد ممو" و"عبدالرحمن فيقه" .

وإذا كان الباحثون العرب يحاولون أن يؤدوا دوراً فى دراسة فن

السيرة الشعبية فإن الباحثين الغربيين لم يتوقفوا عن دراستها . فقد قدمت أنيتا بيكر "سيرة بنى هلال فى جنوب تونس" رسالة دكتوراه سنة ١٩٧٨ م ، من جامعة "إنديانا" . وقدم بيترهيت دراسة بعنوان "السيف الظمان ، دراسة للبناء والتعبير فى سيرة عنترة" نال عنها درجة الدكتوراه من جامعة "هارفارد" سنة ١٩٨١ م . وظهرت حديثاً دراسة برديت كونلى "الملحمة الشعبية والهوية" سنة ١٩٨٦ م^(٥) .

ومازالت الدراسات تتابع فى بلدان متعددة بلغات متعددة ، من لغات أوروبا وآسيا ، وقد برز فى إيطاليا اسم جيوفانى كانوفا فى فهرسته للسيرة ..

والسيرة فى المصطلح ترجمة حياة . وفى التراث الشعبى ترجمة حياة فرد أو ترجمة حياة جماعة .

ترجمة حياة الفرد مثل "سيرة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ومحاربته للملك الهضام" ، وكذلك سيرة "حمزة البهلوان" وسيرة "سيف بن ذى يزن" .

وقد تكون سيرة جماعة مثل "الهلالية" و"ذات الهمة" و"الظاهر بيبرس" .

وهذا البحث جزء من محاولة للتعرف على قوانين السيرة الشعبية وبنائها المعماري ، يختص بمحاولة التعرف على القوانين المحددة لسمات مواليد البطل .

ولعل أقدم صورة منها موجودة بين أيدينا باللغة العربية هى سيرة "ابن هشام" التى تترجم للرسول عليه الصلاة والسلام .

فالسيرة الشعبية تمر بطقات ترتبط بالفرد ارتباطاً وثيقاً يتتابع مع حلقات عمره . والمواليد إحدى هذه الحلقات . وهى مصطلح متعارف عليه بين الراوى الشعبى وبين جمهوره .

وقد أخذت هذا المصطلح من أفواه رواة السيرة وجمهورها في
في محافظتي "قنا" و"أسوان" في مصر العليا .

وهو لا يعنى لحظة ولادة البطل ، وإنما يعنى لحظة أكبر من هذه
اللحظة إذ هو يستغرق زمناً أطول منها بكثير ، فهو تناول لعالم
البطل قبل ولادته ثم تناوله وإيداً وطفلاً حتى تنتهى مرحلة العبور .
وهى مرحلة التعرف والاعتراف .

وقد ارتبط هذا المصطلح بسيرة بنى هلال وبيبطلهم أبى زيد
الهلالى سلامة .

فالجزة الأولى من سيرة بنى هلال هو باب مواليد أبى زيد ، وهو
جزء فى غاية الصعوبة بناء وإداء لا يستطيعه إلا القادرون من
الرواة ، فهو مدخل السيرة كلها . والمواليد لا ترتبط بسيرة بنى
هلال فقط ، وإنما ببنية السيرة الشعبية عموماً مروية ومدونة .

ولم أحاول أن أفسر النصوص تفسيراً نفسياً أو اجتماعياً ،
وإنما جعلت النص هو الأساس الذى يكشف الضوء عن عالم
المواليد ، فالعمل كله محاولة لإعادة قراءة نصوص السيرة فى بابها
الأول ، مواليد البطل ، للوصول إلى العناصر المكونة لهذه
النصوص . وإن كنت أحب أن أشير هنا إلى أن سيرة بهرام شاه
وفيروز شاه وحمزة البهلوان هى تأليف وليست روايات شفوية
شعبية . فليس من المعقول أن تؤلف الجماعة سيرة شعبية تعبر عن
رؤية دونية لها وتمثل موقفاً شعبياً معارضاً لقوميتها كما يتبدى فى
بهرام شاه وفيروز شاه . وقد نشر نخلة قلفاط بهرام شاه عام
١٨٩٨ على أنها من تأليفه . أما سيرة فيروز شاه فقد نشرت عام
١٨٧٨ فى بيروت ، ثم أعاد قلفاط نشرها عام ١٨٩٨ على أنها
أيضاً من تأليفه . وانتحال قلفاط لهذه النصوص واضح ، فقد
تكشفت أن سيرة بهرام بور ترجمة حرفية لمنظومة هفت بيكر أو
التمثيل السبعة للشاعر الفارسي نظامى كتبها سنة ٥٩٢ هـ .

وأظن أن فيروز شاه لها أصل غير عربي لن أتوقف عن البحث عنه .
أما حمزة اليلهوان فأنا أرى أنها كتبت كرواية لتُرد على سيرة فيروز
شاه ولتُرفع من شأن العرب ، ومن هنا اهتم بها الوجدان العربي
كثيراً وجعل منها نصاً متداولاً أقرب إلى أن يكون شعبياً ، فاستلهم
منها محمد خضر رواية ، كما استلهم منها الشاعر محمد إبراهيم
أبو سنة مسرحيته "حمزة العرب" . فقد تمثلت هذه السيرة كل
خصائص فن السيرة الشعبية .



وقد قسمت هذا البحث إلى سبع وحدات ، هي : مصادر
البحث - دراسة للراوى والرواية والنبوة ، والبطل المصاحب ،
والنسب ، والميلاد ، والغربة والاعتراق ، والاعتراف والتعريف .

وأريد أن أوضح هنا أن الوحدة الخاصة بمصادر البحث لا
تختص بمواليد البطل فقط ، وإنما تختص بالسيرة الشعبية جميعاً ،
فهى مدخل لدراسة الراوى ودوره فى تكوين الرواية ، وكذلك دراسة
الرواية الشفوية والمدونة للسيرة الشعبية . وقد وضعتها مع هذا
البحث لأنه يمثل جزءاً من مشروع كبير أوفر نفسى على إتمامه
وأطمح أن تكون كل وحدة من هذا البحث كتاباً كاملاً ، بالإضافة
إلى العناصر الأخرى المكونة للسيرة .

وأود أن أشير إلى أن هذا البحث ، بشكله الحالى ، قد خلا من
رواية شاعر السيرة جابر أبو حسين ، والشاعر سيد الضوى ، وهما
من شعراء الوجه القبلى ، وكذلك خلا البحث من روايتى شاعرى
الوجه البحرى الشاعر فتحى سليمان والشاعر على الوهيدى .
وروايات هؤلاء ستتضمن ، إن شاء الله ، أعمالى القادمة عن
السيرة الشعبية .

(١٩٨٧/٢/١٢)

المصادر

الراوي والراوي

قد يكون مناسباً أن يبدأ البحث عن مواليد البطل في السيرة الشعبية ، أو أى جزء من أجزائها بدراسة المصادر ، وإذا كان البحث معتمداً على نصوص مجموعة من أفواه الرواة فإن دراسة الراوى والرواية تصبح أساسية فى هذا المبحث .

ويمكن تقسيم الرواة الذين لهم علاقة بهذا المبحث إلى قسمين :

١ - رواة لم ألتق بهم التقاء مباشراً .

ب - رواة التقيت بهم التقاء مباشراً .

القسم الاول من الرواة الذين لم ألتق بهم التقاء مباشراً هم نسخا النصوص المطبوعة بين أيدي القارئ العربى ، وهؤلاء النساخ لم يدونوا أسماءهم فى معظم الحالات وإنما دونوا أسماء رواة آخرين ، وقد اختلط فيها لفظ التأليف بلفظ الرواية ، والعكس كذلك ..

وقد قدمت (سيرة ذات الهمة) على أنها تأليف "على بن موسى المقاني" و"ابن بكر المازنى" و"صالح الجعفرى" و"يزيد ابن عمار المزنى" و"عبدالله بن وهب اليماني" و"عوف بن فهد الفزارى" و"سعد بن مالك التميمى" و"أحمد الشمشاطى" و"صابر المرعشى" و"نجد بن هشام العامرى" .

ويذكر مدون (سيرة عنقرة) عدداً ليس بالقليل من رواتها ، يضع على رأسهم "عبدالمك بن قريب الأصمعى" و"أبو عبيدة" و"جهينة المثنى اليمنى" و"البلخى" و"حماد" و"سيار بن قطبة الفزارى" ، و"الكاهن الغسانى الثقفى" و"ابن خدش النبهانى" . ويذكر فى المتن :

"ذكر الرواة الحفظة عن وهب بن منبه وعن كعب الاحبار" (السيرة ص ٥) . ولقد ذكر فى صدر طبعة صبيح لسيرة "الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - ومحاربته الملك الهضام" ،

أنها تأليف العلامة القصصى الشهير "أبو الحسن بن محمد البكرى" وقد هاجمها ابن كثير فى تاريخه ، وأسماها سيرة البكرى لأن واضعها يدخل فى قول النبى عليه الصلاة والسلام : "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" ، وتتغافل مكتبة الجمهورية هذا الاسم فتصدر صفحة العنوان دونه ..

وتبدأ السيرة بعد حمد الله والصلاة على النبى وآله بذكر سلسلة من الرواة الذين تسلسلت عنهم الرواية حتى تصل إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - غير أن السلسلة تنقطع فى منتصفها ، تذكر نسخة مطبوعة صبيح السلسلة دون أن تشير إلى القطع ، فالنسخة تذكر أنها مروية عن أبى الحسن أحمد بن عبد الله ابن محمد البكرى - رضى الله عنه - قال : حدثنا يوسف بن عبد الله الجهنى ، قال . حدثنا صاحب الحديث عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، قال كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ... (السيرة ص ٢) تضيف نسخة مكتبة الجمهورية ما يوضح انقطاع الرواية ، وانتخاب ناسخها ما سمع من مرويات ، فهو يذكر بين كلمة "الجهنى" ، وبين كلمة "صاحب الحديث هذه العبارة ... "قال حدثنا خلق كثير يروى بعضهم عن بعض فأخذنا من ذلك ما نرجوه إن شاء الله تعالى تعليقه على قدر الروايات ، قالوا حدثنا صاحب الحديث .. السيرة ص ٢ . وتتحدث سيرة الملك سيف عن راوى واحد هو "أبو المعالى" راوى سيرة "أبى الامصار وسائق النبل من أرض الحبشة إلى هذه الديار" (السيرة ص ١) .

وداخل النص يتكرر قوله : "قال الراوى" دون تحديد لاسمه مما يجعل أبا المعالى مجهولاً للقارئ .

ولا تذكر سيرة المهلهل اسماً لراويةٍ محدد وإنما بكلمة الناسخ "أقول بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه ، هذه

سيرة الكرار والبطال المغوار الذى شاع فى الاقطار واذل بسيطة كل صنديد وجبار المهلهل بن ربيعة . (السيرة ص ٢) وفى المتن قبل ان تنتهى الصفحة تذكر كلمة "قال الراوى" .

اما سيرة بنى هلال فإنها تبدأ بداية قرية لسيرة المهلهل :

حمداً لمن جعل سير الاولين عبرة للآخرين (أما بعد) فهذه سيرة بنى هلال التى تشتاقل لقراعتها الكبار والصغار على الأجيال " (السيرة ص ٥) ، ويذكر مباشرة بعد هذه الجملة عبارة "قال الراوى" .

وفى تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتى خليفة . وما جرى لهم من الحوادث والحروب المضيفة .

فهى لا تذكر اسماً لراوية من الرواة ، فعبارة البداية تكاد تكون عبارة معد النسخة للطبع . "أما بعد فلما كانت القصص والنوادر موضوعة لإفادة الناس وتسلية الخواطر لاسيما قصة بنى هلال وما جرى لهم فى سالف الأجيال من الوقائع التى تشيب الأطفال ، فقد بادرتنا بطبعها من أولها إلى آخرها ، وذكرنا رحيلهم عن بلاد نجد إلى تونس الغرب " (السيرة ص ٢) . وقبل أن تنتهى المقدمة وفى نفس الصفحة يذكر "قال الراوى" .

وسيرة حمزة البهلوان لا تذكر اسماً لراوية محدد ، وفى طبعه تذكر أن راويها ابن الأثير الجزرى . وفى ذلك بعد عن الحقيقة . كما أنها لا تذكر عبارة قال الراوى التى تستخدمها عادة السير الشعبية إلا فى صفحة "٢٨" . وقبلها ذكرت كلمة قال مرة واحدة لا فى سياق حوار بين اثنين وإنما فى سياق جديد يكشف عن استتار الفاعل وهو هنا الراوى ، فتكون "قال" تعنى : قال الراوى ، فقد ذكرت فى النص فى صفحة "٢٩" فى فقرة جديدة ، "قال فلم يجبه الدربندى" . ولقد استمرت السيرة تستبدل بكلمة قال الراوى "قال" حتى صفحة "٢٥٠" وهى المرة الثانية التى يذكر فيها نفس العبارة . وبين قال الراوى الأولى والثانية ذكر كلمة "قال"

بمعنى قال الراوى ، اى باستتار الضمير المستتر العائد على الراوى اثنتين واربعين مرة .

ولقد وقف الباحثون مواقف متعددة من نساخ النصوص الشعبية بعضها سلبى والاخر ايجابى ..
فمحسن مهدي وهو يتحدث عن نص "الف ليلة وليلة" المتداول ، يرى أن النساخ قد عبثوا به . "الف ليلة وليلة" : المقدمة . "ص ٢٢ - ٢٥" . ويسميهم عبدالله بن محمد بن خميس وضاعين ، وينال منهم ومن أعمالهم ويتهم مؤلفاتهم بأنها رخيصة : "ملئوها بالكذب والدجل والتهويل والتحريف والتبديل لتقرأ فى المقاهى الشعبية والمجتمعات العامة مثل (تغريبة بنى هلال) و (أبو زيد الهلالي) و (الزير سالم) وما شابه ذلك ، وهذه كلها ليس فيها ما ييل صدى أو يغنى دارساً أو يعتمد عليه محقق على أنها ماعدا مؤلف أبى عبد الرحمن من نسيج خيال من هم بعيدون عن مجتمعنا وعن البيئة الهلالية التى نشأت فى قلب الجزيرة العربية ، والتى جاء شعرها منطقاً مع شعر بنى هلال الحقيقى ، أما شعر هذه الكتب المصنوعة ، فبعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع مما تبدو فيه آثار الضعف وتكلف الشعر" (روايات من تغريبة بنى هلال / المقدمة . ص ٩) .

اما الرواة الذين وقفوا منها موقفاً ايجابياً فقد عدوا الاعمال المنسوخة أعمالاً مؤلفة وليست روايات شعبية ، وقد عدوها فاروق خورشيد ومحمود ذهنى فى كتابهما "فن كتابة السيرة" مؤلفاً روائياً ، وطبقا ذلك على نص سيرة عنتره .

ولقد ألح فاروق خورشيد على هذه الفكرة فى كتابه "أضواء على السيرة الشعبية" .

ويذكر محمد رجب النجار ، وهو يتناول سيرة بنى هلال من نصوص مطبوعة كلمة المؤلف المجهول :

"كم هو عبقري هذا المؤلف المجهول الذى كان وراء سيرة بنى هلال ، هذا المؤلف الذى أدرك هذا التباين الملحى بين أنواع الصراع الذى اشتملت عليه تلك الملحمة ، التى تحكى صراع الذات العربية بين القبلية والقومية" (أبو زيد الهلالي . ص ٩٠) .

هذا عن الراوى المدون للنص تدويناً يرتبط بشخصيته . اما الراوى الشعبى الامى الذى يروى النص مباشرة على جمهوره ، فهناك نوعان منه ، نوع من الرواة لم اتصل بهم - ونوع آخر اتصلت به اتصالاً مباشراً .

والرواة الذين لم اتصل بهم اخذت مادتهم مدونة تدويناً علمياً دقيقاً من باحثين نشروا نصين من أفواه رواتهما يدخلان ضمن دائرة النصوص المدونة والمطبوعة ..

إذ أن المدونين حافظوا - بأمانة - على نقل النص من أفواه الرواة دون تحريف أو تغيير فى لغة النص ، هذان النصان هما النص الذى جمعه "بترسن" من روايات عرب الشوا شمال نيجيريا ، من سيرة بنى هلال وهى مطبوعة سنة ١٩٣٠ م .

ورواية عبدالرحمن ثيفه ، التى قام بجمعها "عن شيخ من جادو كان يأتى تونس لجمع الصدقات من إخوانه الليبيين العمال فى المناجم التونسية" (من أقاصيص بنى هلال ص ١١٣) . وقد طبع ابنته هذه الرواية بلغتها المروية مع ترجمة فصيحة للنص .

اما راوى السيرة الامى الذى اتصلت به اتصالاً مباشراً فإن علاقة طويلة تمتد إلى الطفولة تربطنى به . فتقاليد القص فى الجنوب الاقصى لمصر كانت حية قوية إبان طفولتى ، حين كان المذيع شبيهاً نادراً فى حياة الناس ، ومازالت بقاياها تحاول أن تعيش مجاورة للمذيع والتلفزيون ، ولكن ما تبقى يعيش لأن رواته

مازالوا أحياء فليس هناك جيل آخر مدرب لحمل تراث السيرة الشعبية .



ولقد كانت بداية علاقتى العملية بالرواية الشعبيتين حين عدت إلى الأقصر عام ١٩٦٧ م للبحث فى معتقدات أهل الأقصر عن الأرواح والأشباح ، ولأحاول جمع القصص المرتبط بهذه المعتقدات ثم توقفت بعدها فترة من الزمن ، لأعود أول يوليو عام ١٩٧٨ م إلى محافظة قنا فى صعيد مصر ، وقد حصلت على منحة من مركز الدراسات الأمريكى بالقاهرة لجمع القصة الشعبية فى محافظة "قنا" ، كان البحث شاقاً عن القصة فلقد كنت أذهب إلى حفاظ التراث القصصى لأسجل لهم . تصادف أن تلاقى شهر شعبان مع شهر يوليو ، وأثناء النصف الأول من شعبان كان مولد أبى الحجاج ، وكانت حلقات الغناء منتشرة فى أنحاء مدينة الأقصر ، وكنت أسجل فى هذه الحلقات هذه الأغاني التى ينشدها المنشدون ، وأخذت أبحث عن الرواية الذين كنت أعشقهم فى صباى . "حمدان" شيخ العرب الهوارى الذى عشق القصص فخرج على تقاليد أسرته ، يقص قصة "عنتره" و"أبى زيد الهلالي سلامة" ، يلقيها وهو يقف بعصاه القليظة مؤدياً أدوار البطولة فى السيرة التى يحكيها ، صوته فيه قوة الرياح ورفافة النسيم ، وقوة الفارس المحارب ورقة العاشق . كان حمدان يمثل صورة الممثل القدير الذى لم أر له مثيلاً ، انطبعت صورته فى ذاكرتى . أخذت أبحث عنه ، وأدرت أنى أبحث عن بقايا ماضى قديم ، فقد مات الرجل فى السودان وهو يعمل رئيس عمال إحدى التراحيل عن عمر يناهز التسعين عاماً ، أخذت أبحث عن عطا الله المغنى الذى امتدت شهرته طول المديرية وعرضها ، كان عطا الله يتسيد عالم الموال وهو يغنيه ، تجمع ذاكرته معظم ماوعت الذاكرة من مواويل ، مواويل ابن عروس وغير ابن عروس ، اختلطت دون أن يعرف

مؤلفها ، وهو نفسه كثيراً ما يؤلف ساعة الأداء ، تنتقل مواويله إلى الناس ، ويدعى الكثيرون أنها لهم ، عرفت الطريق إلى قريته فركبت مواصلة إلى عاصمة المحافظة ، ومواصلة أخرى إلى قريته "المعنى" فعلمت أنه فى قرية أبى مناع شرق ، فركبت إلى أبى مناع غرب ومنها إلى أبى مناع شرق ، أربع مواصلات لقطع مسافة لا تزيد عن مائة ميل ، لأجد نفسى فى قلب الجبل . ذهبت إلى الديوان الذى سيحى فيه حفلة العرس ، واتفقت معه على أن القاه فى بيته "بالمعنى" فى موعد حدده هو ، وحاولت أن أخرج وكان مستحيلاً ، فقد أصبر أهل العروس أن أبقى ، وكان لابد أن أبقى ، فالطريق أصبح خطراً فقد أخذت النيران الجائعة فى الجبل تنطلق متوجهة نحو ثأر قديم .. وبقيت لأسهر مع عطا الله ، لم يعد عطا الله ذلك الصوت الفريد الذى كنت أسمعه فى طفولتى ، كان الرجل قد كبر واقترب عمره من السبعين ولكنى لم أصب بملل ، فإذا كان صوته قد تغيرت حلاوته فإن الموال لم تتغير حلاوته ، حتى انتصف الليل ، ووقف عطا الله يغنى موالاً ، كان هذا الموال عن "عزيزة ويونس" . تحركت النشوة فى النفوس ، وتغير صوت عطا الله ، عاد شاباً كروانى الصوت . لم أسمع عطا الله بهذه الحلاوة من قبل ، وأسفت يومها أن حجارة بطارية جهاز التسجيل قد ضعفت ، ولم تكن هناك كهرباء لتشغيل الجهاز .. التقيت بعطا الله بعد ذلك ، وطلبت منه أن يغنى "عزيزة ويونس" فاستنكر أن يغنىها قبل أن ينتصف الليل ، فهو قد تعود أن يختتم بها السهرة وتعود الجمهور أن يستمع إليها آخر السهرة ، وهم حريصون على الانتظار إلى نهاية السهرة ليستمعوا إلى "عزيزة ويونس" ، ثم ينفضون ليعودوا إلى بيوتهم سعداء ..

غنى عطا الله "عزيزة ويونس" وكانت جديدة كل الجدة ، لم أشعر بها بمثل ما شعرت به فى المرة الأولى ، خلت من صفائها ومن حلاوتها ، لم يكن الشاعر هنا فى حالة نفسية مهيا لتأدية هذا

الدور ، ولم يكن جمهوره أيضاً مستجيباً له ، فهو لم يكن مستعداً أن يستمع إلى هذا الدور في هذا الوقت بالذات ، وسقط النص هذه الليلة سقوطاً واضحاً .

وقبل الفجر في ليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٧٨ م وهي ليلة من ليالي المولد ، توقفت على صوت يسرى في الليل ، فيه عذوبة وخشونة ، تفوح منه رائحة الأرض ، ذهبت تجاه الصوت ، وما إن رأيته المغنى ، وقد بدأت أسجل له حتى ازداد حماسه ورفع صوته :

عزيزة قالت يايونس ..

ابويا بنالى قصر وسط البحور حجرات ..

وإن كنت رتس قرارى يايونس ..

حسب من مركبك لتكلم الحجرات ..

وإن كان مش علجيك نوم الفراش .. يايونس .

تعال نام على الحجرات ..

كان صاحب هذا الصوت واسمه الصادق مغنياً شعبياً ، ثم فقد عقله وقد خرج منذ أيام من المستشفى ، قال لى واحد من الجمهور إنه علم أخاه الغناء وأصبح مشهوراً في قريته الصعايدة شمال الأقصر ، وإنه بدأ ينتشر في القرى المجاورة .

عطا الله يغنى الهلالية ، الصادق يغنى الهلالية ، توقف شاب في سن السادسة عشرة من العمر مع حمار يجمع به العيش في أيام المولد من البيوت وهو يغنى بالطار :

يونس خطر ع السوق ولد الهلالية ..

عيان عيان متقلبوش فيه ..

تسعة وتسعين دكتور غير التمرجية ..

حتى الشحاذة في مجتمع الأقصر وقنا تستجدى بغناء عن الهلالية ، يغنيها الشاعر على ربابة أو طار ، وعندما أردت أن

أسجل له الهلالية ، كان التعامل معه فى غاية القسوة فقد جاءت الأسرة كلها لادفع ثمن تسجيل ابنهم للهلالية ، وحين تحادثنا لم يكن الغلام يعرف منها إلا مقاطع شعرية تصلح للغناء وهى مواويل مربعة ومخمسة ومسيعة تتناول حالة من حالات الحب أو الشقاء فى مواجهة محنة الإنسان فى الحياة .

ذهبت لأجمع القصص الشعبي من أفواه من أعرف من الرجال ومن عجائز النسوة ، الجميع يقص عن الهلالية ، فأخذت أبحث عنها ، الكثيرون يروونها ولكن معظم الرواة يروون فصولاً منها ، فالهلالية قد تكسرت عند الكثيرين من الرواة إلى قصص .. لقد شعرت فى هذه الفترة بمشقة الطريق ، مع أن هذه المنطقة أرضى وأرض أهلى وهم كثر ولكن عالم الهلالية يحتاج إلى دربة كبيرة ، وأنا أحوج إلى معلم ليعلمنى تقاليد السيرة ، هذا المعلم لا يوجد فى المدارس ، ولا يوجد بين المثقفين ، ولقد وجدته فى منتصف شهر أغسطس أى بعد حوالى شهر من التيه فى دروب المحافظة شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، ففى إحدى سفراتى التقيت بأحد طلاب المرحلة الثانوية الذى أخبرنى أن جده يعرف الهلالية ، والتقيت بالجد ، الحاج عبد الظاهر من مشايخ العرب من قرية الكرنك القديمة ، كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، يسكن بجوار معبد الكرنك ، بلغ من العمر ثمانية وستين عاماً ، يسمونه فى القرية العمدة فهو يقوم بدور العمدة بين أهل قريته ، يصلح بينهم مستخدماً العرف فيحكم بين المتخاصمين ، وكثيراً ما يتقبلون حكمه ، تحدث عنه يحيى الطاهر عبد الله فى رواية (الطوق والإسورة) ، فقد كان كما يذكر يحيى رئيس عمال ترحيلة من الترحيل التى كانت تذهب إلى فلسطين ، ولم يكن ذلك اختراعاً ، فالرجل مكافح طوال عمره وانتهى به المطاف إلى أن يزرع أرضه التى لا تبعد عن منزله فى طريق مطار الأقصر .

امتنع الحاج عبد الظاهر فى البداية عن أن يروى سيرة بنى هلال

لأن من العار أن يحكيها حتى لا يتصور أحد أنه راو محترف ، لم يستمر في الامتناع فقد شفع لى العلاقات الاسرية التي تربطه بأسرتى .

قام الحاج عبدالظاهر بدور مهم فى هذه الفترة من حياتى ، فقد قام بدور المعلم لينقل لى تقاليد الرواية الشفهية ، فقد كان أحد عشاقها ، يجرى وراء رواتها وهو صغير ينتقل إليهم أينما كانوا .. وقد عاش روح بطولة بنى هلال وامتزجت روح الفارس فى دمه . فهو لا يجد متعباً إلا ويحاول أن يحل أزمته . ولا تعرض له مشكلة إلا ويكون الحكم العدل ، كان الناس يفضبون منه ثم يرضون ، فليس هنا أحسن من العدل ، إنه يريح الظالم والمظلوم .

تسيد الحاج عبدالظاهر رواية الهلالية ، وكان يختلف كثيراً مع بعض رواتها إذ أنه كثيراً ما يقوم بنقدهم ، ونقد رواياتهم ، فهو يرى أنه قادر على معرفة "الجيد من البطلان منهم" أو بعبارة أخرى "الأصيل من المزيف" .. والجيد أو الأصيل هو الذى يحترم الرواية التى يرويها ويحترم جمهوره ، أما البطلان أو المزيف فهو الذى لم يدرّب تدريباً كافياً ، فيقف قبل أن يتم تدريبيه أمام الجمهور فهو هنا يخدعهم ، ولا يقبل الحاج عبدالظاهر أن يخدع الراوى جمهوره .

ولقد تعلمت منه الكثير ، تعلمت منه اكتشاف الراوى الجيد والراوى البطلان على حد تعبيره ، فقد كان يأتى إلى بيتى عدد كبير من مدعى الرواية يتصورون أن بإمكانهم أن يخدعونى بما عندهم على عادتهم من التعامل مع الباحثين الأجانب ، وهو قد فتح لى الطريق لمعرفة عظيمة .. فقص الحاج عبدالظاهر سيرة بنى هلال من بابها الاول - مواليد أبى زيد حتى بابها الأخير - الأيتام - لعدة شهر كامل .

لقد خرجت من عنده أحمل رواية الحاج عبدالظاهر ، وأحمل عالم الهلالية وروح الراوى ، وقدرته الكبيرة على الإبداع .

والتقيت بعبد السلام حامد ، كان مختلفاً كثيراً عن الحاج عبد الظاهر ولكنهما يتفقان في الاعتزاز بالنفس .. عبد السلام حامد من الأقصر كان عمره عندما التقيت به في أخريات أغسطس ١٩٧٨ م ثمانين عاماً ، وهو صاحب مطعم صغير في سوق الأقصر ، يقدم المأكولات الشعبية من الفول والطعمية ، يجلس أمام مطعمه وحوله حلقة من حلقات أصحابه وهم مختلفو الأعمار فيهم الفتى والشاب والكهل والشيخ العجوز .. وحدثني عن معلميه الذين تلقى عنهم فهو قد اهتم بالسير الشعبية ، يقول إنه يروى سيرة المهلهل وعنترة وسيف ، وأخذ يقص لي عن الهلالية ، كان يسجل جزءاً ويطلب أن يوقف التسجيل ثم يأخذ في الكلام عن عالم الهلالية في المحافظة .. جمعت عشر ساعات من الهلالية منه ولكنني استمعت إلى ساعات وساعات عن أنساب الهلالية في المحافظة وعلاقات القبائل بها ، فالهلالية لم يموتوا ولكنهم عالم يعيش ، قبائل ممتدة في جنوب مصر الأقصى ، وكذلك أهل الزناتى خليفة ودياب من جمر اليمن يمتدون في المنطقة غرب النيل جنوب الأقصر حتى إسنا ، كما أن هنا قبائل تنسب إلى محمود البياضى مربى الأيتام .

وذهبت إلى إحدى حفلات الزفاف بقرية أبى الجود شمال الأقصر ، وهناك التقيت بالنادى عثمان ، وما إن رأني حتى أخذ يعزف بالربابة عزفاً يشد الانتباه فهو من أحسن عزفي الرباب في مصر كلها ، وهذات الربابة ليرتفع صوته بمسبح :
 طلع خليفة يشوط على جمع العرب ولوفات ..
 لقيهم أسود مقدم متعددين ولوفات ..
 روح خليفة الزناتى لهنى له غموز ولا فلات ..

وقضيت الليل في الحفل لم أغادره حتى انتهى وقد تكونت علاقة صداقة قوية بينى وبين النادى عثمان ، كان النادى عثمان قد انتهى من تسجيل بعض الأشرطة لعدد من المشتغلين في

الدراسات الشعبية ، وكان على علم ما بمعنى البحث العلمى ، وكانت هذه المعرفة سبباً كبيراً فى سهولة التعامل معه . كان النادى عثمان أحد القلائل فى الإقليم الذين مازالوا يؤدون السيرة الشعبية . وهو من مواليد عام ١٩١٦ م يسكن فى قرية " الطود قبلى " وهى شمالى الأقصر ، شرقى أرمنت ، وهو من أسرة تحترف الغناء ، وقد أتى لى بأحد أقربائه الذين هاجروا منذ زمن إلى محافظة " أسوان " فى قرية " الحجز بحرى " مركز " إدفو " - وهو عوض الله عبد الجليل ، وهو أكبر من النادى عثمان بستتين ، يغنى السيرة وهو يحمل طاراً . وقد سجلت له سيرة بنى هلال من فصلها الأول حتى فصلها الأخير ربيع سنة ٧٩ . لقد كانت علاقتى بالنادى علاقة مثمرة إلى أبعد الحدود ، فقد تعرفت منه على عالم أداء رواة الهلالية الرحب وأساليبهم فى أدائها .

كان هؤلاء الرواة الأربعة أهم من جمعت منهم سيرة بنى هلال ، وتمثل النصوص التى جمعتها منهم والنصوص التى حصلت عليها مطبوعة مادة هذا البحث .

وتشير النصوص المطبوعة والمروية دعاوى أهمها محاولة إطلاق مصطلحات لا تنطبق على النصوص ، فمثلاً هناك إلحاح على تسمية السيرة بالملحمة أو بالرواية المؤلفة ، لذا فمن المستحسن أن نختبر هذه النصوص لنتبين إلى أى مدى تصدق هذه الدعاوى .

والملحمة مصطلح أطلق أول ما أطلق على الإلياذة والأوديسة ، ثم أطلق من بعدهما على أعمال أوروبية أخرى مثل ملحمة رولان وملحمة السيد ، وقد ظهرت ملاحم غيرها فى أرجاء مختلفة فى العالم الأوروبى . وهناك عناصر مشتركة بين الملحمة الأوروبية والسيرة الشعبية العربية ولكن بينهما أيضاً اختلافاً كبيراً ، فالسيرة عالم متسع أكبر بكثير من الملحمة وهى الشكل الأول الذى نبتت منه الملحمة ، فالسيرة حين تبدأ فى التكسر تتحول إلى

ملحمة ، فهي جزء من السيرة ، السيرة هي الكل والملحمة هي الجزء ، راء قارنا على سبيل المثال بين سيرة بني هلال وبين كل من الإلياذة والأوديسا مجتمعتين لوجدنا أن كلا منهما تمثل حلقة من حلقات سيرة واحدة . فالإلياذة تتوازى مع التفريرية ولا تتسع اتساعها ، فهي تقترب من الجزء الخاص بحصار تونس في كثير من أبعاده وتلتقي معها في كثير من عواطف المتحاربين المحاصرين ، وعواطف المتحاصرين والعالم الذي تعيشه . الحب والكره والبطولة والخيانة ، وتلتقى كثير من الشخصيات بينهما مع كثير من الفوارق أيضاً ، قصة حب عزيزة الجميلة ويونس لا تتساوى مع قصة حب هيلين الجميلة وبأريس ، ولكن هناك توافقاً كبيراً بينهما ، وحتى غضبة دياب لمقتل صديقه عامر الخفاجي فيعود بعد اعتزاله الحرب ليقاوم مع الهلالية ، وهي تماثل غضبة "أخيل" لمقتل صديقه بتروكلوس وعودته ليحارب مع اليونان ، لينتقم لصديقه . الإلياذة كلها لا تزيد في بنيتها عن بنية التفريرية . الوحدة الزمانية والمكانية ، لمعركة تدور لمدة أربعة عشر عاماً حول أسوار "تونس المرية" تقابل معركة تدور عشرة أعوام حول أسوار طروادة . ولاشك أن هناك فروقاً كبيرة بين العالمين .

وعند النظر إلى الأوديسا فهي لا تزيد عن الريادة رحلة أوليس في البحر للعودة إلى وطنه . والثانية رحلة أبي زيد لاستكشاف بر تونس والعودة إلى وطنه . رجلا ن يغتريان ، اليوناني في البحر والعربي في البر .

ليس الشعر هو الفرق الوحيد بين الملاحم العربية والسيرة . فالسيرة العربية شعر .. بعض الشعراء يروون نصوصها شعراً ، وقد يتكسر الشعر بفعل إضافات الراوى المستمرة وجعله الاعتراضية التي تقتحم النص مثل رواية النادى عثمان ورواية عوض الله . وأهم فرق هو اتساع السيرة الذى يشمل فى طياته أكثر من ملحمة ، لولا أنها لم تتكسر لتصبح مستقلة الموضوع

بعيداً عن الجوانب الأخرى . فليس هناك ملحمة واحدة فيها هذا الفصل المتسع عن مواليد البطل ثم التدرج السلمى نحو المراحل المختلفة لعمره كما يوجد فى هذه السيرة . وسيرة بنى هلال تبدأ بفصل مواليد البطل وتنتهى بفصل الأيتام ، الذى يمكن أن يعد فصلاً من فصول مواليد البطل أيضاً ، فمرحلة الميلاد تتكرر ثانية فى بطل الهلالية الجديد على أبو الحلقان .

لقد أخذت السيرة تتكسر ، فالرواة لا يقدمون كل فصولها ، وهم لا يعرفونها كاملة ، فكثيراً ما يكون الراوى متمرساً فى رواية السيرة إلا أن هناك فصلاً أو أكثر لا يجيده أو لا يحسن أدائه . فالفصل الخاص بعقد شمة الذى يتحدث عن زواج سرحان بشمة بنت الحسب سيد النسب ، لا يعرفه كثير من الرواة حتى إن عوض الله المتسيد لرواية الهلالية لا يعرفه . وحين كان يرويهِ النادى عثمان بدا واضحاً أنه بعيد عنه . وفى الوقت نفسه عندما يروي حاجة يونس للمال فى تونس يحاول أن يبيع فرعاً من هذا العقد فيأخذه الدلال إلى عزيزة ، ويكون هذا بداية تطور جديد فى حركة السيرة إذ تتعرف عليه مَن خادمته التى أصبحت خادمة الاميرة عزيزة . فالعقد مهم جداً فى هذه السيرة وخاصة الجزء المرتبط بالريادة . ومع ذلك فالفصل الخاص به ينحل من السيرة ، وكذلك فصل فرس المعز بن صالح فقد انحل من السيرة ولم يعد كثير من الرواة يرويونه . وعندما رواه لى عوض الله كان بعيداً عن ذاكرة النادى عثمان إلا أن جابر أبو حسين المتسيد لعالم الرواية وكذلك تلميذه سيد الضوى كانا يرويانه لجمهورهما . وهناك إشارات عن علاقة خاصة بين أبى زيد الهلالي وسلامة وبين الجازية . فإنه من المتعارف عليه عند رواة السيرة أن أباً زيد الهلالي تزوج الجازية ثم طلقها وأنه لم يعيش معها إلا أياماً معدودات . وهذا يفسر علاقة الحب والكراهة التى بين أبى زيد والجازية فقد صنعت هذه العلاقة بشكلها المعقد مواقف درامية دفعت حركة السيرة إلى النمو

المتساعد وخلقت عناصر إثارة فى النص . هذه العلاقة والحديث عنها يوضحان أن هناك فصلاً خاصاً بها فى السيرة . ولكن هذا الفصل ضاع ولا يعرف أحد عنه شيئاً من الرواة .

السيرة تكسرت ومازالت تنكسر حتى إنه يمكن أن تنقلص لتصبح فى طورها ملحمة لولا هذا التغير الشديد فى إيقاع المجتمع ثقافياً ، وتحول الاهتمامات نحو فنون ولدتها الثقافة الحديثة مما جعل السيرة تتوقف عند حدود من يعرفونها ليمثل تكسرها مرحلة من مراحل طورها وهو تحولها إلى حكايات منفصلة لا ترابط بينها كما حدث لها فى كثير من المجتمعات العربية . إن علينا أن نتقبل كلمة سيرة وصفاً لهذا الفن الذى أبدعته العقلية العربية ، دون أن نسبغ عليه أسماء أخرى لا تنطبق عليه إلا فى بعض الجوانب دون غيرها . أما أن نطلق عليه مصطلح رواية بالمعنى الحديث لمصطلح الرواية فهذا صعب التقبل . وصعب الإقناع به . وهو لا يضيف شيئاً للسيرة ، ولا يمثل فخراً لأصحاب هذا التراث . فالسيرة فن نبت وتطور وارتقى قبل أن تظهر الرواية ، وهى تقف فناً قائماً بذاته من بين الأنواع الأدبية مثلها فى ذلك مثل الرواية وغيرها من الأنواع الأدبية ، فإضافة لفظ رواية لعمل له قوانينه الخاصة التى استقرت يعد إضافة صفة بعيدة عن الموصوف . فالرواية فن له عدة سمات ، وهذه السمات فى دينمية وتطور . يشترك فى تحريك هذا التطور الآداب العالمية بصلاتها الوثيقة ببعضها فضلاً عن الفنون المحلية ومنها السيرة . والسيرة الشعبية العربية فن له قواعده ولا يمكن تطبيق قواعد فن مازال يتطور على فن قد اكتمل منذ أمد بعيد .

وفاروق خورشيد ومحمود ذهنى فى عملهما الرائد "فن كتابة السيرة" مطبقة على عنترة فى نصها المطبوع ، وضعاها تحت فن الرواية ، فهى فى نظرهما ليست سيرة بالمعنى الاصطلاحي الحديث كما أنها ليست أسطورة عند الأنثروبولوجيين ثم هى ليست

ملحمة بمفهومها عند اليونان ولكنها كما لاحظناها تقترب كثيراً من الرواية . فهي مرة شبيهة بالرواية الخيالية وهي في مرة ثانية قريبة من الرواية الواقعية . (ص ٤٨) .

ثم يعودان فيجعلان منها رواية لا تاريخية ولا خيالية ولا واقعية ، ويمكن تسميتها بالرواية الأم فتصبح سيرة عنترة رواية من نوع السيرة يغلب عليها الطابع التاريخي . (٥٠) . أوجه الاتفاق بين الرواية والسيرة لا تجعل من السيرة رواية بالمعنى الاصطلاحي للرواية ، إذ أن أوجه الاختلاف أيضاً كبيرة فنحن إزاء عمل من الأعمال الشفوية وليس من الأعمال المكتوبة كالرواية لنقرب بينهما في شكل واحد . إلا أننا نقول إنها أعمال قصصية أو إذا قلنا روائية بمعنى أنها تروى وليس بمعنى أنها رواية حديثة .. وعلى كل فقد أنكر الباحثان أن يكون الاصمعي هو مؤلفها "في الوقت الذي تدل السيرة وما فيها من بناء فني سليم على أنها من صنع رجل متمرس في هذا الفن ، طويل الباع له تجارب متعددة سابقة وربما لاحقة في الأعمال القصصية" (ص ٦٧) .

و"عملية البحث عن مؤلف لعنترة انتهى إلى أن كاتبها شخص واحد وليس عدة أشخاص" (ص ٧٢) . وتعني كلمة الكاتب هنا المؤلف كما يتضح من سياق قولهما :

"من هذه المادة التاريخية الخصبة التي خلفها الاصمعي استقى مؤلف سيرة عنترة موضوع قصته وعناصرها وأحداثها وأسماء شخصياتها .. ثم صاغ كل ذلك في قالب روائي فيه خيال وفيه تفنن وفيه بناء قصصي سليم . وبذلك يمكننا القول بأن المادة العلمية والتاريخية في سيرة عنترة يرجع الفضل فيها أول ما يرجع إلى الاصمعي أما السيرة الروائية للسيرة فإنها دون أدنى شك ليست للاصمعي وإنما لشخص متأخر عنه زمنياً اطلع على تراث الاصمعي واستفله في صياغة روايته القصصية" . (ص ٦٩ -

(٧٠) .. ومقاله المؤلفان هنا يرده النص نفسه الذى يذكر أن هناك أكثر من راو للنص فيغير اسم الراوى كثيراً على أساس أن راويها غير واحد . أو يذكر قال الراوى دون أن يحدده أو يذكر "قال نجد مؤلف تلك العبارات" (السيرة ص ١٢٠) أو قال الأصمعى رحمه الله .. وقد جعل منه صحابياً روى الحديث عن الرسول حتى أدرك الخلفاء الأمويين (ص ١٤) ومات أيام هارون الرشيد . بما لا يدع مجالاً للشك أن التاريخ والحقيقة التاريخية لم تكن تهم راوى النص ولم تكن هى الأساس الذى بنيت عليه السيرة .. فالراوى الشعبى يقوم يذكر هذه السلسلة من الرواة ليخلق الإيهام بحقيقة ما يقول وليوقع التأثير فى نفس مستمعيه بصحته .. فاختلاط الرواة فى النص يجعلهم مجرد أسماء . ومن هنا قوله قال وهب بن منبه وكعب الأحبار .

ولعل أصدق ما فى النص مرتبط بالرواة هو قوله : قال الناقل بالرواة (ص ٨٢) ، فالأعمال الشعبية التى وصلت إلينا مخطوطة إما لنساخ كانوا أمناء فى نقل النص أو أنهم كتبوا النص بلغتهم . فالنساخ الذين نقلوا النص كما هو بلغته العامية ولم يحاولوا تغييرها وتفصيلها كثيرون ، يبرز ذلك فى النص الذى طبع بمطبعة حجر سنة ١٩٦٦ فى القاهرة عن سيرة المهلهل وهو مدون بالعامية المصرية بلغة يختلط فيها النثر بالشعر ، وكذلك ألف ليلة وليلة التى حققها محسن مهدى ، وقد أدى ذلك بمحسن مهدى إلى البحث عن النص الأم لآلاف ليلة وليلة واتهامه لناسخ نسخة ألف ليلة المتداولة بتشويهاها وإضافة إليها ، ولكن محسن مهدى عجز عن الوصول للنسخة الأم فانتهى إلى أن كل نسخة هى نسخة أم .

وعلينا أن ندرك أن ناسخ النص ليس باحثاً ، مثل عبد الرحمن فيفة أو بترسن ، يقدم النص المجموع شفهياً للدارسين ، وإنما هو

مبدع فنان يبرز من لغة النص أنه أجهد نفسه بالارتقاء بلغتها درجة عن العامة بمحاولة تفصيلها ، ومن هنا تمت عملية تفصيل نصوص السيرة ، وربما كان ذلك مما أدى إلى أن تطبع هذه النصوص دون غيرها مما دون بالعامة فإن الاتجاه العام في العالم العربي يقف في مواجهة العامة ، فهذه النصوص التي يتهم نساخها بتشويهها قد استطاعت أن تخلق رواجاً للدور الذي لعبه نساخها في تفصيلها ، فمحاولة الإيهام الفنى بالحديث عن رواية هي محاولة تقليد لرواية العلماء عن التاريخ ، فقد استعار منهج العلماء في توثيق الحديث لتأكيد صحته بتدوينه أسماء الرواة ، فهي تستند إيهاماً إلى تسلسل رواية كما تستند أحداث التاريخ في تسلسلها إلى رواية ، ومن هنا اختلطت رواية العلماء برواية العامة ورواية العامة برواية العلماء ، مما يجعل بعض العلماء ينكرونها ، ولكن كثيراً ما يعجزون عن تحييص كل ما يصل إليهم ، فدخل كثير من روايات العامة كتب تاريخ الأدب والتاريخ العام . وقد حفل كتاب جمهرة أشعار العرب بهذا اللون من الرواية ، وهو يحكى عن أشعار الجن وشياطين الشعراء (الجمهرة ص ٢١ - ٦٢) ، وكذلك الأغاني للأصفهاني ، كما لم يسلم كتاب من كتب التاريخ من تأثير روايات العامة ، واختلاط روايات العامة برواية العلماء جعل مهمة دارس التاريخ شاقة (انظر الاسطورة والأدب ، المدخل) وفي الوقت نفسه سهل مهمة الراوى الشعبى ومدون النص بالذات إذ إنه يتعامل مع نص مقدس كالقرآن الكريم والحديث الشريف يخشى عليه من التحويل والتبديل ، وإنما يتعامل مع نص دنيوى لا خرج من التزديد عليه والحذف منه . فهو يملكه تماماً كما يملكه الراوى الذى أسمعه نصه ، ومن هنا فهو مؤلف نص لا من حيث تركيبه من الآلاف إلى الباء وإنما من حيث عرضه في السياق الذى يحب بإضافة ما يريد أن يضيف وحذف ما يريد أن يحذف . مدون النص مثله مثل الراوى الشعبى في تعامله مع نصه فهو لا يستطيع أن يكون مقنعاً إلا إذا كان عارفاً بطبيعة عمله ، وصناعته الادائية

وإتقانه للرواية وإدراكه لجمهوره وحاجته . ومدون النص راو فاهم لطبيعة عمله مدرك لانتقاله من الشفهي إلى المكتوب لذا فقد قام المدون بتغييرات أملتھا الطبیعیة الكتابیة للنص .

وهناك فرق كبير بين أن تروی وأن تكتب ، إذ تتغير الحواس التي تتلقى العمل الفني . أن تسمع تختلف تماماً عن أن ترى . اختلاف التلقى يغير كثيراً من تركيب العبارة وبنية الحدث ، فالراوي حين يروی يوقع ، فتتحول كلماته إلى شعر ، أو نثر موقع . والنثر الموقع قصير مسجوع ، فيه الكثير من الترادف والإطناب والتكرار وكثيراً ما يتجاوز المكتوب منه الإيقاع في النثر والإطناب والتكرار . غير أن كاتب السيرة لا يتخلص تماماً من عناصر الأداء الشفوي ، فهو مدرك بوعي أن عمله المكتوب سيقرا على جمهور .. فهو عمل سيتحول إلى رواية شفوية ، إن مدون النص لم يكن يتصور أن النص سيتحول إلى كتاب مطبوع تنقطع العلاقة فيه بين المبدع والمتلقى وإنما العلاقة قائمة بين قارئ النص ومتلقيه إذ أنه بعد أن يكتب النص يصل إلى يد قارئه يقرأه على جمهور ممن لا يحسنون القراءة والكتابة ، وهؤلاء قاعدتهم عريضة في عالم لم تنتشر فيه القراءة والكتابة الانتشار الحديث ، فقد كانت دائرة الأميين متسعة اتساعاً كبيراً في العصر التركي . إذن فمدون النص يكتب النص لراو آخر ، فهو يحفظ له النص بمقوماته الشفاهية التي وصلت إليه . ربما يكون مع هذا مدونا للنص وراوياً لما يدونه فيكتبه ثم يلقيه على الجمهور الأمي . وإنه من الواضح في تدوين النص أن جميع المقومات الشفاهية للنص موجودة ، ويضاف إليها العبارات النمطية التي يخاطب بها الراوي جمهوره . ففي (ذات الهمة) على سبيل المثال تتكرر عبارة (قال الراوي بإسادة بإكرام) ، وعبارة (أنشد يقول : صلوا على طه الرسول) . وتوضح جدلية العلاقة بين الراوي وجمهوره عبارات منها (ياسامعين) و (قال الراوي المؤلف لهذا الكلام بعد الصلاة على

النبي صلى الله عليه وسلم) و (صلوا على سيد السادات)
و (النبي تبسم في وجه من يصلى عليه) .. ويمكن أن تظهر مقدره
الناسخ من الرواية فهو قد يذكر حادثه ويتركها ثم يعود ليشير إليها
على عادة الكاتبين : " قال الراوى تقدم لنا فى الجزء الرابع أن
(بنو هلال) بعدما قتلوا أبو بشاره العطار حاكم بلاد صهيون جدوا
فى قطع الفلوات حتى أقبلوا على مدينة الشام " . (التفرية ص
١٢٢) . فالناسخ هنا واحد وليس المؤلف بالمعنى العصرى لكلمة
تأليف . فهو مدون رواية يعرفها دون أن يكون هناك شخص يعليها
عليه ويحاسبه على التزام ما يعلى عليه . فهو يدون من الذاكرة
ويتضح ذلك من امساكه بخيوطها وانتخابه لاحداث مترابطة فيما
بينها . فمدون نص سيرة المهلهل المتداولة بين ايدينا بعنوان قصة
الزير سالم أبو ليلى المهلهل ومدون نص سيرة بنى هلال واحد فهو
قد بدأ السيرة الهلالية من حيث انتهت . ويمكن أن نضيف أن
كثيراً من مختارات الشعر الفصيح المذكورة فى ثنائى النص هى
مختارات الناسخ كما أن كثيراً من تصحيحات النموذج الشعرى
الذى يمثل جزءاً من السيرة قد يكون أحد أعماله .

وهناك جوانب ليس من السهل أن تكون من المرويات الشفهية ،
فهى واضحة التأليف إن لم ينقل المدون عن غيره فهى لاشك من
الأعمال المكتوبة كالرسائل المتبادلة بين "مهرىكار" بنت الملك
كسرى وحمزة البهلوان . تبدأ رسالة مهرىكار الأولى بهذه الفقرة
"أسيرة الحب قيدها الجمال قيوداً لا تنحل ، ورمتها أيدى الطافك
بسجن من الهوى يزيد ويقود بها على الدوام لم يسبق لى أن ملت
إلى غرام أو فكرت بمثل هذه الأوهام أو خطر لى أن أعلق قلبى بغنى
من الفتيان أو أسلك سبيل هذا الميدان ولا أعرف أن نظرة واحدة
كافية أن تفعل بى ما فعلت وترمينى بالوسواس وتلقينى على سرير
الضنا وتجعلنى أسلك سبيلاً ربما كان غير موافق سلوك من لا
يعرف ولا يدرك مفاعيله " . (السيرة ص ٧٢) . هذه النصوص

الادبية من رسائل تضمنتها السيرة تكشف عن تدبر وتدبير كاتب ،
فهي لم تخرج عفوية وإنما صيغت صياغة متأنية حتى خرجت
مسترسلة بدقة ، ليس من السهل أن تكون من المرويات الشفهية ،
فهي خارجة عن دائرة الحدث مختلفة عن طريقة الرواية الشفهية .



والنصوص الشفهية التي يتناولها هذا البحث وهي جميعاً
مرتبطة بسيرة بنى هلال ، ومتغايرة عن بعضها البعض إلى حد
كبير ، فهي نصوص مستقلة قد تلتقى في بعض أحداثها ولكنها
تختلف في معظم هذه الأحداث . حتى إن نص عرب الشوا ، تكاد
تنقطع العلاقة بينه وبين بقية النصوص إلا من حيث استخدام
بعض الأسماء كابى زيد ودياب ، ويتفاير بعضها بتفاير المكان
"فخضرة" تتحول إلى "أندة" . أما في بقية النصوص فالخط
العام للسيرة موجود وتتغير تفصيلات الأحداث فنص عبدالرحمن
فيقة مختصر ومحدود . أما النصوص الأربعة للحاج عبدالظاهر
وعبدالسلام حامد والنادى عثمان وعوض الله عبدالجليل فهي
نصوص منفصلة تتزاحم فيها الأحداث تزاخماً كبيراً . ويجمعها
الخط العام لحركة السيرة . وتتفاير كثرة من التفصيلات المرتبطة
بالحدث مما يجعل كل رواية من هذه الروايات سيرة قائمة بذاتها ،
فلسنا أمام بطل واحد اسمه أبوزيد الهلالى سلامة وإنما نحن أمام
عدة أبطال كل منهم يسمى أبازيد الهلالى سلامة . وكل منهم بطل
يشترك في المقومات العامة للبطل ، ولكن تختلف كثير من الأحداث
وكثير من التصرفات التي تساهم في نمو السيرة بطريقة مختلفة
عن الأخرى . والسؤال أيهم أبوزيد الحقيقي ؟ ليس هناك أبوزيد
حقيقي ؛ أو أبوزيد غير حقيقي هناك أبوزيد لراو معين في رواية
معينة . فإنه مع اختلاف روايات السيرة بين هؤلاء الرواة فإن رواية
النص الواحد لراو واحد ، في أوقات مختلفة يخرج نصاً مخالفاً
للنص الذي رواه قبل ذلك . المعالم الأساسية واحدة ، ولكن

التغييرات تتم فى تصرفات الشخصية فى مواجهة الحدث وكذلك فى لغة الحدث وكذلك فى لغة النص .

ولقد سجلت لعوض الله روايته لمواليد أبى زيد أربع مرات . الأولى فى بيتى فى ٧ مارس عام ١٩٧٨ م وبقيّة المرات فى احتفالات فى أماكن متعددة . واشترك فى جميع هذه الحفلات النادى عثمان . كانت الثانية منها فى جامعة القاهرة احتفالاً ببلوغ الدكتور عبدالحميد يونس سن السبعين من عمره . (وكانت أول مرة يدخل فيها الراوى الشعبى جامعة القاهرة . وكان الدكتور عبدالحميد يونس يرى أن ذلك انتصار لفكرة الأدب الشعبى فكان ذلك اعترافاً أكاديمياً بدور الشاعر الشعبى فى إبداع نوع أدبى) . وكانت المرة الثالثة عندما صاحبنى فى محاضرة أقيمتها فى المركز الثقافى الأمريكى . والرابعة قدمته فى المركز الثقافى الأسباني مع مجموعة من المحاضرين لمدة أربعة أيام . بدأت يوم ٢٨/٥/١٩٨٠ م .. والمرة الخامسة والأخيرة فى ٢٤/٤/١٩٨٣ م .. فى منزلى .. وفى جميع هذه المرات كانت هناك اختلافات واضحة بين الروايات . هذا مع العلم أنه هو نفسه كان يزعم أنه يمكن التغيير فى أى جزء من أجزاء السيرة إلا الجزء الخاص بالمواليد . كان عوض الله يعتز بالمواليد ويرى أن هذا الجزء لا يغير فيه ، وكنت إذا أعدت عليه شيئاً من محفوظى يحرص على أن تكون روايتى مطابقة لما يقوله ، وكنت أتصور أن هذا يعنى أنه حافظ للنص لا يبدل ولا يغير فيه ، وهو لاشك حافظ للنص ولكنى اكتشفت أنه يغير ويبدل فيه . ففى إحدى الروايات يجعل من غانم بطلاً وفى رواية أخرى يجعله يهرب من الموت ، وفى رواية ثالثة لا يذكره أبداً . وفى رواية يكرر أبيات وصوراً أو مقطوعات ثم لا يعيدها فى رواية أخرى . تطول الرواية وتقصّر حسب حالة الانتشاء التى تصيبه من جمهوره ، حبه لأن يكسب الجمهور أساسى فى عملية الأداء . يتغير أدأؤه ويرتفع إيقاعه وهو يقف بجوار النادى

عثمان مؤدياً تأخذه الغيرة ويزداد حماساً وتتحول ساحة الأداء بمكانها إلى مسرح له يتحرك فيه مشخفاً عالم السيرة مبهرأ بأدائه كل المستمعين ، ولا يختلف النادى عثمان عنه إلا فى شيء واحد وهو هدوءه الشديد وثقته الزائدة بنفسه فهو يسمح بقدر من التجاوز فى سلوك عوض الله إزاءه حتى وهو يحاول أن يفسد عليه الأداء بعدم استخدامه الطار فى الوقت المناسب ، فقد كانا يشتركان معاً فى العزف : النادى بالربابة ، وعوض الله بالطار .

كانت خبرة النادى كبيرة بجمهوره وكانت لغته أقرب وأوضح للجمهور من لغة عوض الله ، يهز عوض الله الجمهور بهذا الكم الانفعالى الشديد الذى يصيبه فى أدائه ويهزم النادى بالكم الهائل من مخاطبة عواطفهم بأحداث يجوبنها وثقته بنفسه يغنى لهم عزيزة ويونس أو يحادثهم عن مقتل الزناتى خليفة ، وهذا الجزء من السيرة رواه لى النادى وسجلته له أكثر من عشر مرات . لا يمل من الاستماع له حين يتحدث عن الزناتى خليفة وهو فى كل مرة يضيف إليه جديداً . الإطار واحد ، ولكن الأداء مختلف وكذلك بعض التفاصيل التى تدخل فى بنية الحدث الكبير للسيرة مختلفة . وصف الأبطال مختلف ، ولقد كانت تجربة حية أن جمعت بينهما فى محاضرة أقيمتها فى المركز الثقافى الأمريكى ، وكانت عن أداء السيرة ، وطلبت من كل منهما أن يغنى مقتل الزناتى خليفة . صورتان تتوازيان فى جمالهما وتختلفان كثيراً فى مبنيهما .

تعتمد التغيرات التى يحدثها الراوى فى النص كثيراً على الأوصاف النمطية المحفوظة عن وصف البطل وهى كثيرة ويمكن أن يضيفها لى بطل من أبطاله ، وكذلك صوره عن وصف الجو تتكرر فى المواقف ، تطول وتقصّر حسب إحساسه برغبة جمهوره الذى يشترك فى عملية الأداء اشتراكاً فعلياً ، فالنص الشفوى يعاد

تأليفه ساعة الأداء ، يتم فى عملية جدلية بين الراوى والمتلقى . إذا لم تتم عملية التفاعل فإن النص يسقط ، فكل النصوص التى فى أيدينا هى بصورة أو بأخرى تأليف تم ساعة تسجيل النص أو ساعة أدائه . تأليف لا يبدأ من فراغ وإنما من تقاليد متوارثة . فالسيرة التى تطول طولاً متسعاً ليس من السهل أن يحفظها الراوى بكاملها ، إنه يحفظ الأساس ثم يبنى عليه بناء جديداً من وصفه وحسه ، وتتم عملية تداخل لمحفوظه وما يمكن أن يتولد ساعة الأداء فهو يصيغ عالماً متكاملاً من صناعته من خلال تقاليد طويلة عاشها وترسخت فى نفسه ومن خلال تقاليد عالمه الذى يعرفه ويشترك فى معرفته جمهوره الخاص . يأخذ النص فى التوالد والبناء ليتكامل نصاً لنوع أدبى اسمه فن السيرة ، وهو هنا يقترب من أداء الملحمة الغربية التى عرفت عند أصحابها بأنها "لم تصنع بوضع مجموعة منسقة من الأعمال البطولية وجعلها حكاية مستمرة ، فالمحمة ليست إعادة خلق الأشياء القديمة ، إنها فى مجموعها خلق جديد بلغة الأشياء القديمة ، وإى شئ آخر يمكن أن تكون الملحمة ؛ فـ"شاعر الملحمى يملك تقاليد المحتوى وتقاليد الأسلوب ، وهذا ما يكون وراء الشعراء الآخرين أيضاً . غير أنه فى حالة شاعر الملحمة فإن هذه التقاليد تضيق إلى حد ما (The Epic. P.P. 16 - 17) . وضيق هذه التقاليد فى حالة الراوى الشعبى تأتى من أن جمهوره يدرك هذه التقاليد أكثر مما يدرك قراء شاعر من شعراء الغناء تقاليد كتابة الشعر الغنائى . فإن العارفين بها قلة إذا ما قورنوا بعدد قراء الشعر أو متلقيه . والسبب فى ذلك أن عملية الخلق عند شاعر السيرة مثلها فى ذلك مثل شاعر الملحمة الشعبى إذا ما قورن بشاعر من الشعراء المؤلفين للملاحم مثل "ملتن" فإن هدف صناعته أكثر تقيداً . كما يوضح التكرار والكم الهائل من الصفات . إنه مقيد بحقيقة أنه ينتظمها للحفظ" ("Tbid" P. 37) .

واستخدام الصفات المتعارف عليها للبطل ومن يقفون معه أو

ضده من الشجعان صفة من الصفات الهامة للنص وهي التي تجعل التكرار جزءاً هاماً من بنيته .

فالنادي عثمان يروى ساعة مقتل خليفة وذهاب دياب إليه . وعندما يسمع البطل يناديه للحرب يدرك أن ساعته حانت ولكنه لا يتراجع ففي النص صفة خاصة بالزناتى والحدث نفسه وهو توجهه إلى الحرب :

خليفة سمع الطبل نقر .
وع الكتف ناقل زنته .
وجض أبوه كبير الزنته .
ولما جض ولد مهران
ولما جض ولد مهران
وخللى عينك رقوبة .
خرج ولد مهران .
وقال ياعبد جيب الركوبة .

بعد هذا الموقف يضيف لقاء الزناتى بدياب ، وهذا الوصف يتكرر كثيراً في نص السيرة فهو يروى حالة عامة من الحالات التي عرفت بها السيرة . وهي لقاء الأبطال والتي يمكن أن يوصف بها الزناتى أو دياب أو أبوزيد أو على أبو القمصان بن أبى زيد :

جلبوا كحيل وقدموا إليه .
وع الكتف ناقل زنتى .
وسرجوا وقدموا إليه .
ركب خليفة الزناتى .
ولما تقابلوا هما لتنين .
يارافع البلا ياسلام .
وتحلف وتقول سبعين .
نزلين من قرى لجبال

ضائق الحلق ووسع الملق .
هلف الرجال شرود وطرر .
وقلبوا لها بالعبابيس .
فى نهار ياللا السلامة .
وتسمع رطن الدبابيس .
تارت هوال القيامة .
ونسوان ياما نوحث .
ياما خليفة اطوحت .
وياما خيل عادت روحت .
بعدها من غير سجعان .
من الصبح لما اوجب الضهر .
من الصبح لما اوجب الضهر .
ويالطيف ضقت الخلايق .
وعرق الديهم نزل نهر .
من الزهق شدوا الخلايق .
من الضهر لما اوجب العصر .
وسحبوا السيوف الهواشم .
ادى اتوصلوا باهل بيت مصر .
وابرى سباعتك يام هاشم .

هذه الابيات كلها لتصوير حالة التزام النفسى فى معركة
ضارية وضعها طبيعى فى هذا المكان ولكنه لا يختص بحدث معين
من أحداث لقاء الزناتى بدياب إلا حين ذكر السرداب فهو من
المعالم المهمة فى مقتل الزناتى لذا فقد عاد لتكرار جعل من
النص :

ولما جو عند السرداب .
وع الكتف ناقل زناتى .

هذه الصورة أعيدت في السيرة أكثر من مرة في فصل الأيتام وهو المتصل بمواليد البطل ، فتكرر صورة أبى زيد في ميلاده مع ابنه على أبى الحلقان فحين يحارب عدو البياضى يكرر النادى جزءاً من النص السابق بنفس الفاظه :

من الصبح لما أوجب الظهور
وبالطيف ضقت الخلايق

ويستمر ، والغريب فى كل ذلك أن المستمع يستمتع بالوصف فى كل مرة يعرض له عندما تكون اللحظة لحظة قتال . وحين لا يريد الجمهور منه أن يكرر هذه التراكيب فإنه يتوقف لأن لديه بديلاً عنها . أو يحذف جوانب منها ليدخل مباشرة فى موضوعه وفى ذهنه عالم سيرته ، وكيف يصوغ لهذا الجمهور الذى كثيراً ما يكون مدركاً لصنعتة ، وكثيراً ما ينقلب أعضاؤه إلى رواة لهذه السيرة لجمهور آخر . فى لحظة أخرى ، فالسيرة أولاً وأخيراً عرض لحياة أبطال يعيشون أزمة أحياناً مع أعدائهم وأحياناً مع أحبائهم وأحياناً مع أنفسهم ، هذه الأزمة التى تخلق النص وتخلق الانطباع .. ببطولة شخصيات السيرة ، وقد أدرك الغربيون فى ملاحظهم هذا الحس ، فيرى أحد الباحثين " أن الملحمة الحقيقية ، تخلق الانطباع بالبطولة ، وأن هذا الإحساس يتم بالسيطرة على مادة واسعة وأن يدرب على التحكم فى إرادته بوعى " (The English Epic, P.P. 10 - 11) .

ووعى الراوى بدوره هو الذى يجعل منه مؤلفاً للنص لا يفترق فى ذلك رآو عن آخر ، وفى هذا البحث لا يختلف النادى عثمان وعوض الله عن الحاج عبدالظاهر وعبدالسلام حامد . فلم يكن الحاج عبدالظاهر مختلفاً عن الرواة المحترفين ، فهو قد صنع النص بلفته وكان أقل استخداماً لعناصر التكرار اللفظية ، ولكنه كره الحدث . كره ما حدث لأبى زيد فى طفولته وكرهه مع ابنه على

أبى القمصان . وعبد السلام الذى كان يركب عالماً يطيله حين يشاء
ويقصره حين يشاء يولد الكلام ساعة تسجيل النص بطريقة ويركبه
بطريقة أخرى حين لا يكون هناك تسجيل للنص .

فالنصوص التى يتعامل معها هذا البحث نصوص شعبية لأن
مادتها متواترة منقولة من جيل إلى آخر ، وهى أيضاً مؤلفة لأن
رواتها صاغوها الصياغة التى تجعلها قريبة لمستمعهم ، فجعلوا
من النص الواحد عدة نصوص ، وجعلوا من البطل الواحد عدة
أبطال باسم واحد ، وأبطلوا مقولة أن السيرة تاريخ لأن البطل إذا
لم يثبت على حال فى الروايات التى تتحدث عنه فكيف يكون
تاريخاً ، قد يكون هناك سيف فى التاريخ وقد لا يكون ، وقد يكون
هناك المهلول وقد لا يكون ، قد يكون هناك حمزة وقد لا يكون وقد
يكون هناك أبو زيد وقد لا يكون ، وقد تكون هناك ذات الهمة وقد لا
تكون ، وبالتأكيد هناك ببيرس - ولكن من المؤكد أن لا علاقة بين
البطل التاريخي وبطل السيرة - البطل التاريخي يختص بالتاريخ ،
يحقق وجوده من عدمه ، أما بطل السيرة فلا دخل له بالتاريخ وليس
من حق التاريخ أن يحقق فى وجوده من عدمه لأنه موجود صنعه
الفن ، وفن السيرة صنع أبطالاً ، أصبح لهم واقعهم الحقيقي فى
خيال صناعهم من رواة ومتلقين ، فهذه النصوص هى الواقع الذى
يتعامل معه الباحث .. وإى ارتباط بين أحداث حدثت فى التاريخ
وأحداث حدثت فى السيرة . فإنما هى خلفية العمل الفنى ، الخلفية
التي توحى بالوجود الحقيقي للفن ليكف فى موازنة الوجود الحقيقي
للتاريخ . دون أن يحاول الفن أن يرهق نفسه بالبحث عن الصواب
والخطأ فى أحداث تاريخ بطل السيرة لأنه فى نظر الراوى والمتلقى
ثابت حتى وموجود ، لا يبحث فى ذلك عن سند تاريخي لأنه لو
تطابقت صورة بطل السيرة مع التاريخ لبطلت معجزة فن السيرة ،
ولما تعددت صور البطل الواحد ، فأصبح أبو زيد فى نيجيريا
نيجيريا ، وفى تونس تونسيا ، وفى مصر مصريا يتحدث الناس عن

أماكن وجوده .. وفى الجزيرة العربية عربيا ، يذكر الناس أشعاراً عنه بلهجاتهم . ولا يختلف المهلهل عن أبى زيد فهو فى إحدى الروايات مولود فى الجزيرة العربية وفى أخرى مولود فى مصر .. ولعل النصوص التى تناولت مواليد البطل تكشف عن إبداع الراوى ويستحسن أن نقف مع مفتتح النص .



فالنص يبدأ بالفعل الماضى وسيرة سيف تذكر .. إنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان (سيرة سيف ص ١) .

وسيرة عنتره تبدأ بـ " اسمع أيها السامع ماكان من أحاديث العربان وما جرى بين يعرب وقحطان وفزارة وذبيان ، وعيس وغطفان ، وهم مضر وربيعه وأنمار وكان أكبرهم يقال له مضر .. (ص ٢) .

وتبدأ حمزة البهلوان بداية مباشرة بكان " كانت دولة الفرس من الدول العظيمة فى قديم الايام " (ص ٢) .

وسيرة المهلهل تذكر بعد حمد الله وصفا لعالم العرب ثم تبدأ السيرة بقول : " قال الراوى وكان ربيعة فى ذلك الزمن (ص ٢) .

وتبدأ أحداث التقريبية بعبارة : " إنه لا يخفى عن أهل المعارف والآداب بأن بلاد نجد كانت من أخصب بلاد العرب " (ص ٢) . ويبدأ عوض الله سيرة بنى هلال بفصل المواليد بجملة : " قال الهلالى رزق أمير الرجال " ، ويبدأ الحاج عبدالظاهر السيرة بفصل المواليد بعبارة " سيرة بنى هلال كانوا زمان قبائل قبائل " ، أما عبدالسلام حامد فيبدأ السيرة بفصلها الأول من نجد إلى مكة . وبعد الصلاة على النبى : " يبدأ بعبارة نرجع نقول على عرب بنى هلال عرب بيض الله تناهم نشعر نقول على رزق الهلالى " . وإذا كانت البداية هى بفعل ماض فإن حدث السيرة مستقبل ،

والمستقبل بمعنى أن كل مقدمات الحدث إنما تكشف جوانبه ،
وحين نتحرك إلى المستقبل يصبح مضارعاً ، فالمستقبل يتحرك في
دائرة المضارع حركة متوفرة لا تستقر إذ أنها ساعة أن تستقر
يتغير الموقف فيصبح الاستقرار ماضٍ ، لتبدأ حركة جديدة هي
حركة ما بعد الاستقرار ، حركة تتجه نحو المستقبل في صراع
ممتد مع حركة الزمن من مستقبل إلى مضارع إلى ماضٍ ، فأداء
راوي السيرة هو حركة مضارع تتجه إلى المستقبل ولا تتوقف هذه
الحركة إلا حين يتوقف الراوي . ففي ساعة التوقف يصبح الحدث
وحالة الأداء حالة ماضية ، ما تلبث أن تتغير الحالة عند المتلقي ،
إذ إنه ساعة أن ينتهي الراوي من أدائه تلبس المتلقي حالة خلق
أو حالة معايشة للنص يتحول الحدث فيها إلى حالة مضارعة
ومستقبله عنده حتى يتوقف عن التفكير في النص أو إعادة خلقه
من جديد لأي سبب من الأسباب الحياتية .. وحين التوقف يصبح
النص ماضياً إلى أن يعود في الذهن من جديد ، وهذه العودة
للنص سواء كانت مع الراوي أو مع الذات فهي حالة مضارعة
متجهة نحو المستقبل ونحو تشكيل الحدث . فالمضارع هو نقطة
الحركة وهو مستقبل ليتحول في النهاية إلى الماضي . ثم ليعود
الماضي مرة ثانية نحو المضارع فالمستقبل في علاقة متجددة لا
تنتهي إلا ساعة توقف النص تماماً .

وفي السيرة تتلاشى العلاقات بين الماضي والمضارع
والمستقبل ، وبطل السيرة "لا يشعر بحدود فاصلة بينه وبين
الماضي والحاضر في هذا العالم ولا يكاد يميز نفسه كنقطة
محدودة من الزمان والمكان" (البطل . ص ٧٥)^(١) .

فالماضي معروف والمستقبل معروف ، والمضارع هو حالة
الأداء التي تعيش في زمن لا ينتهي والحدث يتحرك في قدر مسبق
كتب في لوح محفوظ منذ الأزل قبل ميلاد البطل .

والبطل حالة آنية مستقبلية تتحرك نحو المضارع لتحقيق الماضي أو ما كتب في اللوح المحفوظ منذ الأزل .

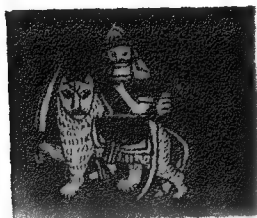
فمستقبل البطل معروف قبل مولده مكتوب عليه أن يمر في طريقه . غير أن تكوينه الجسمي والنفسي يحتم عليه السير في هذا الطريق الذي قد يكون مجهولاً له معروفاً لغيره ، وربما يكون الغير هم أعداؤه . وقد يدفع فعل أعدائه لمنع تحقيق ما وجد له أو ما كتب عليه أن يصنعه ، فتتجه الأحداث نحو تحقيق ما هو معروف وحركة الشخصيات تجعل الحدث دينامياً متطوراً ، يدفع هذه الدينامية والتطور صراع لا ينتهى حتى تتحقق الإرادة الكونية .

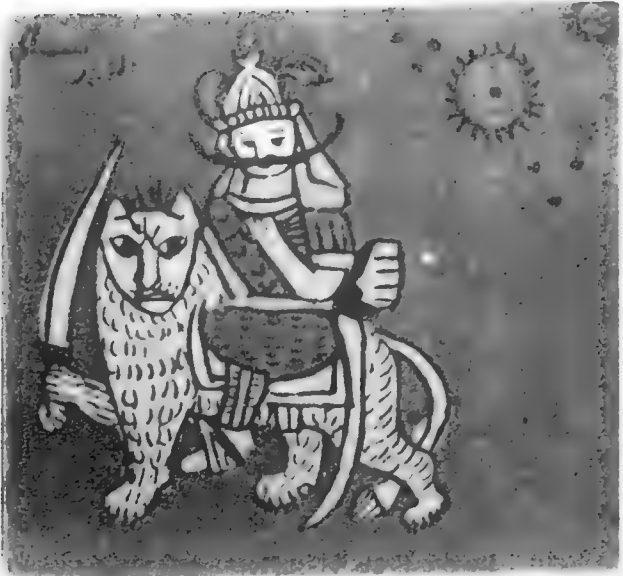
وحتى إذا تعرفت الشخصية على قدرها فإنها تعيش صراعاً وكأنها لا تعرف عن مستقبلها شيئاً وحين يحدث المستقبل أى يتحقق القدر يكون ذلك إرادة للحياة نتيجة طبيعية للصراع فى محاولة غير مقصودة لإيقاف القدر .

ومواليد البطل هى المقدمة الاولى للسيرة ، تبنى عليه أحداثها .. وتكشف عن الدور الذى سيلعبه البطل ، أما لماذا يتكشف دور البطل هنا . فذلك لأن جمهور السيرة مساهم فى عملية خلقها . فهو متابع لراويها ومتحكم فيه : يتابع الراوى فى أدائه للنص وفى الوقت نفسه يتصور ما يمكن أن تدور عليه أحداث النص ، وتصرف الشخصية ، والراوى يحاول أن يتفهم رغبات سامعيه وتصوراتهم .. ويتحرك مع هذه الرغبات والتصورات ليرضيهم ، وهو يعلم أن أدائه يفشل حين لا يحاول تحريك هذه الرغبات والتصورات ليرضيها أو يثيرها فى الوقت نفسه ، فإنه كلما أثارهم فإنه يثير قدرته أيضاً .. وإثارتهم تحقق لهم الرضا . كما تحقق للراوى . وحين لا يتحقق الرضا لكليهما ، الراوى والمتلقي ،

فإن عملية الأداء تفشل ويسقط النص لأن الراوى يكون قد خسر أحد معاونيه فى الخلق الفنى للسيرة وبالتالي أحد معاونيه فى الأداء ، وإذا انسحب متلق من عملية الأداء ، فإن معنى ذلك أنه خسر واحداً من معاونيه ، وكلما كثر المنسحبون من حلقة الراوى كلما عد ذلك حكماً عليه وعلى أدائه بالفشل ، فداء الرواية هنا هو عملية متكاملة يتداخل فيها المتلقى مع الراوى تداخلاً تاماً .

ومن هنا تكمن أهمية البداية بمواليد البطل فهى التى تحمل بذور تطور النص وحركته نحو المستقبل متمشياً مع منطق المتلقى . لتكون الوحدة الأولى فى المواليد هى النبوءة .





النبيوة

او قدر البطل

قد لا يوجد بطل لسيرة من السير لم يرتبط ميلاده بالنبوءة فهي ترتبط بوجوده الفعلى ، تحدد له المصير المعد له والدور الذى سيلعبه فى حياته ، وهو دور عليه أن يلعبه ، وليس فى مقدوره أو مقدور أى إنسان ان يعوق هذه النبوءة عن التحقيق ..

وقد كان بيبرس الوحيد من بين أبطال السير الشعبية الذى لم تكن النبوءة بمصيره سابقة لميلاده ، وإنما جاءت بعد أن اختطف من أهله وبيع ، وقد جاءت النبوءة لحظة مرضه فى عبوديته لتنقذه من عذابه وتدخله مرحلة الاعتراف به بطلا ، فكانت بذلك ممثلة لميلاد جديد لابن الملك المريض ..

وتلعب النبوءة دورا كبيرا فى إخراج البطل من حيز الإنسان العادى إلى حيز الإنسان الأسطورى ، أى من الواقعى الى الأسطورى ، وفيها يدخل دائرة الكون الكبير ليصبح مرتبطا به ارتباطا وثيقا .

والنبوءة هى الإخبار بالمستقبل قبل وقوعه ، أى أنها قراءة الغيب وتعرف ما هو مكتوب فى قدر الإنسان . ولقد احتفت السير العربية الشعبية بالنبوءة التى تحدد مصير أبطالها ، وهى ليست فريدة فى ذلك ، فإن النبوءة معروفة فى الآداب العالمية الشعبية ، وقد لعبت دورا كبيرا فى بنيتها القصصية ، وفى الأدب اليونانى كانت النبوءة قاسما مشتركا فى حياة أبطال الملاحم والقصص الشعبى . ولعل من أشهر النبوءات . النبوءة الخاصة بأخيل وكعبه والنبوءة الخاصة بأوديب والتى حملها معبد دلفى إلى والد أوديب بأن ابنا سيولد له يقتله ويتزوج بأمه وحاول الاب أن يتخلص من الابن خوفا من تحقق النبوءة ، وكانت محاولته هذه هى التى أدت الى تحققها .

وكما قامت النبوة بدور كبير في القصص الشعبي فإنها قامت بدور مهم في بعض القصص الديني ، ولعل من أشهر نبوءات هذه القصص ، النبوة الخاصة بيوسف وموسى عليهما السلام .

والنبوة هي رسالة إلى الإنسان ، قد تكون رسالة إلى عدو البطل فيحاول أن يحتاط للأمر ويحاول أن يوقفها فتكون محاولته تحقيقا لها . وقد تكون خبرا يريح صاحبها ، ويمنحه اليقين ويزيل عنه الخوف من نفسه . وقد تكون يقينا للجماعة بدور بطلهم المقدر عليه .

وهذا المبحث يدرس الكيفية التي يتم بها التعرف على النبوة ، إذ أن هناك عدة وسائل للتعرف عليها . منها الرؤيا أو الحلم ، والإلهام ، ورصد النجوم وقراءتها ، وقراءة الطالع بضرب تخت الرمل ، وهناك النبأ المكتوب في الكتب القديمة التي تركها أحد الحكماء القدماء ممن ألهموا أو كانوا يرصدون النجوم أو يضربون تخت الرمل .

وترتبط النبوة في كثير من الأحيان بالزمان والمكان ، فليس كل وقت أو مكان صالحا للرؤية الصادقة ، كما أن الزمان مرتبط ارتباطا كبيرا بقراءة النجوم ومواعيد ظهورها وعلاقتها بالنجوم الأخرى ، ويلعب الزمان والمكان دورا مهما في استجابة الدعوة ، فإذا دعيت الدعوة في الأماكن المقدسة في الزمان المقدس فإن فرصتها كبيرة في التحقق ..



ولقد كتب على الأمير حمزة البهلوان أن يكون « الفارس الذي يرفع نير الفرس عن العرب ويهدم معابد النيران وتقع بينه وبين الدولة الكسروية حروب قوية يفضى بها إلى الخراب والدمار وينشر

دين الله وعبادته بين عبدة الأوثان وناكرى الحق سبحانه وتعالى ،
[السيرة ص ٥] ... أما الملك سيف بن ذى يزن فقد كتب عليه أن
يحقق دعوة نوح عليه السلام فى ابنه حام . ويحدد الرمال هذه
النبوءة قبل أن يولد سيف .

فإن مليكا يملك الأرض كلها

يكن حميريا تبعيا ومسلما

بدعوة نوح داعيا كل أسود

لأولاد سام تابعين وخذما

يقاتل أبطال الجيوش بعزمه

وينقذهم من ظلمة الكفر والعمى (ص ١٥)

وقد كان دور عنتره المكتوب عليه أن يذل العرب الجابرة حتى
يمهد الأرض لمحمد صلى الله عليه وسلم . وتروى القصة أنه
« حدث المحدثون وأخبر المخبرون الذين نقلوا كلام العربان
الأولين بما رواوا من حديث عربان الجاهلية الشجعات وعبادتهم
للأصنام وانعطافهم على الأزام والأوثان وقد أضلهم وأغواهم
الشیطان حتى ابتلاهم الله بالمذلة والحرمان لأنه لم يكن قصدهم
من ذلك الزمان إلا أنهم يتفاضلون على بعضهم البعض وكأن كل
منهم يريد أن يكون ما مثله أحد على وجه الأرض ويقهر شجعانهم
بالطول والعرض .. كانوا لا يخافون الله ولا يخشونه ولا يحترمونه
(ولما) أراد الله سبحانه وتعالى هلاك أهل تجبرهم وتكبرهم أذلهم
الله تعالى وقهرهم بأقل الأشياء عليه وأحققهم لديه وكان ذلك غير
عسير عليه . وذلك بالعبد الموصوف بأنه حية تطبق الوادى الذكى
الفؤاد الطيب الميلاد صاحب الوداد عنتره بن شداد الذى كان فى
زمانه شرارة وخرجت من زناد فقمع الله به الجابرة فى زمن
الجاهلية حتى مهد الأرض قبل ظهور سيدنا محمد خير البرية

وكذلك تنبأ الإمام الصادق جعفر بن محمد لعبد الوهاب بن ذات الهمة بأنه سيكون ترس قبر النبي صلى الله عليه وسلم . والخليفة الهادي يسمع في منامه من الرسول بأن عبد الوهاب : « هو من يطلب لعزتي وبه تسير في الدنيا كلمتي ويبذل نفسه في طاعة الله وطاعتي » [ج ٨ مجلد ٢ ص ٢٥٧] .

وفي سيرة المهلهل يذكر التبع اليماني الأحداث التي ستنبع موته حتى نهاية العالم ويسميتها ناسخ السيرة الملحمة الكبرى للتبع حسان ، وفيها يتنبأ بقتل كليب وظهور الزير لينتقم من قاتليه « ويأتي الزير أبو ليلى المزامل

فيصلي الحرب في كل البلاد

ويقهر كل جبار عنيد

يضرب السيف في يوم الجلاء ، (ص ٢٥)

ويذكر أيضا أن ابنا لكليب يولد من بعده يثار له ويقتل خاله :

« ويظهر لك غلام بعد موتك

يسمى الجرو قهار الأعادي

ويقتل على يده جساس خاله ، (ص ٢٥) .

وقبل أن تنتهي السيرة تحدد نبوءة لمستقبل ذرية الجرو وهم بنو

هلال فتلمح بشتاتهم في الأرض العربية .

فقد دعت عليهم السيدة فاطمة الزهراء بالشتات والاندحار .

وتشرف جدهم هلال بمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم وقبله بين

عينيه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل في وادي العباس

وفي تلك الأيام كان يحارب بعض العشائر فعاونه الأمير هلال وأمدّه

بالعسكر وقاتل معه وكانت فاطمة الزهراء رضى الله عنها راكبة في

هودجها فلما رأت الحرب زجرت جملها لتخرج عن مشاهدة القتال

فشرذ بها فى البرارى والفلوات . ولما رجعت دعت على من كان
السبب فى البلاء والشتات فقال لها والدها صلى الله عليه وسلم
ادعى لهم بالانتصار فإنهم بنو هلال الأخيار وهم لنا من جملته
الأحباب والانتصار فنفذت فيهم دعوتها على طول الدهر . (ص

١٦٠)
وأبو زيد الهلالي تحدث النبوة فيه من كلام جده الشريف
قرضة يحدث والده رزق فى رواية عوض الله عبدالجليل :

إذا جابت مولود كبر وانتشا
أبو زيد يطلع فارس يكيد العدا

وقد انجبت بعد زواجها بنتا أسمتها شيحة ثم توقفت عن
الإنجاب أحد عشر عاما . تروى سيرة بنى هلال المطبوعة أنها
حملت بعد ذلك وتمنت : « أن يرزقها الله ولدا ذكرا وخرجوا مرة
الى بستان فرات غرابا اسود يطرد الغربان ويقهرهم ويفتك بهم
فقالت إلهى اسالك أن ترزقنى ولدا ذكرا ولو كان اسود اللون
لعله ينشأ يغلب الفرسان ويقهرهم مثل هذا الغراب » (ص
٢٦) .

وقد أجمعت هذه الروايات على أنها توقفت تماما عن الحمل وأن
ذلك كان يسبب لها ضيقا .

وفى رواية عبدالرحمن شيفة أنها تصدقت بقصعة من الكسكسى
للطيور للتوسل بها إلى الله لعله يرزقها ولدا ووضعت القصعة فى
البرية فكان أول طير وقع عليها غراب فدعت ربها :

« اللهم يارب يارباه ياغايت البكماء بدر السحاب ومائه أن
ترزقنى بوليد صفته ها الطير وحلاه اللى يضربه بالسيف يسيل
دماه » (ص ٥٧)

وتذكر رواية الحاج عبدالظاهر أن نساء الهلال عابروها لتوقفها عن الإنجاب طيلة هذه المدة أما الرجال فقد ضايقهم ألا يكون لزعيمهم رزق ابن ذكر يحمل اسمه . فطلبوا إليه أن يطلقها غير أن رزق لم يستمع في زوجته كلاما وأبقاها معه .

وفي يوم من الأيام ذهبت ومعها نساء بنى هلال إلى عين ماء .

وهناك وجدت طيرا أبيض وآخر أخضر ، فتمنت كل امرأة أن تأتي بغلام يشبه الطائر الذي تحب أما هي فقد توقفت حتى جاء طير أسود قاحم السواد أخذ يضرب الطيور ويسيل دماها فتمنت ابنا مثل هذا الطير .

« هي توجهت للكريم وقالت يارب ادينى وليد اسود غطيس وكل اللى ينكشه يسيل دماه كان ربنا وباب القدر مفتوح قبل دعاها واقعها رزق بن نائل حبلى ... »

ولم تحدد رواية عبدالسلام حامد المدة التى مكثتها خضرة متوقفة عن الإنجاب بعد شريحة . وإنما تذكر الرواية أن رزق الهلالى كان متألما لعدم إنجاب ابنه من زوجته ، وطلبت منه زوجته أن يتزوج عليها فرفض لأنه صابر على المكتوب .

وذات يوم خرجت مع أربعين امرأة من نساء بنى هلال إلى نهر العرب وكان الطير نازلا يشرب من النهر ، كل واحدة تمنى . زوجة الملك سرحان تمنى على طير أبيض وزوجة غانم تمنى على طير احمر المسمى بدياب .

ثم أتى طير أسود بشوكة استلم الطيور تشبثا وهنا أخذت تدعو ربها .

وقالت يارب يا رباب ادينى طير ومحلاه

وكل من يضربه يسيل دماؤه .. هو السبب والحكاية
وحملت كل النسولين الأربعين كل واحدة جابت رجاله

وفى رواية عوض الله عبدالجليل تفصيل لأزمة الأب وحزنه لعدم
إنجابه ابنا وحزن الزوجة حبا فى زوجها متمنية أن يكون له ابن .
فقد جاء إليها باكيا وعندما سألته عن سبب بكائه :

« قال لها يا خضرة حصل لى كلام
ما قرم فارس إلا ابنه بيلعب معاه
ما قرم إلا ابنه بيلعب معاه ع الفراش
بصيت لقيت نفسى بنيتهم بلاش
نزلت دموع خضرة تغنى طشش
من هرج رزق اللى طراها حداء
من هرج رزق اللى طرى هذا الجواب
كان عند خضره عقل فى الراس وغاب »

وجامتها شمة بنت الحسب سيد النسب فوجدتها متكبرة
وابلغتها خضرة بسبب حزنها .

فجمعت شمة تسعين سيدة من جميلات بنى هلال وساروا وراء
خضرة وكأنهن ساعاتها حتى وصلوا إلى النهر وهناك وجدوا الماء
الزلال حوله طيور بينها طير أسود شديد السواد .. وهنا طلبت شمة
من النسوة أن يتمنين والطائر الأسود يشمت جميع الطيور ثم يطير
بمفرده وهنا أخذت خضرة تدعو متمنية من الله أن يرزقها غلام مثله
يفتح تونس .

« خضرة تقول ادينى غلام اسود كيف الطير ده

لملكو تونس وواڊى حماه
املكو تونس بحدّ الحسام
من لجل يقولوا خضره جابت غلام
من الهلالى ابن نايل رزق موافى الزمام

.....

.....

اسالك يا مولاي بنور باهى الجمال
لانى اجيب مولود يكيد العدا
لانى اجيب مولود يكيد العدا
ابو زيد يزقى العوازل حفضل بكلس الردى

وعادت خضرة إلى منزلها لتلبس أحلى زينة لتلتقى برزق لتحمل
وتنجب أبا زيد الهلالى ..

وتختلف قليلا رواية عرب الشوا النيجيرية فى أن هذا الطائر
اللى تمنته لم يكن متميزا عن غيره بالسواد وإنما كان نسرا قويا .

طلبت أنده من بزله أن تذهب إلى الماء لتغير ملابسها وكانت فى
أيام الطهر فحملت كل واحدة منهن أوعيتها وذهبت إلى البحر وهناك
وجدت جثة فرس وقد تجمعت الطيور حولها تأكل لحمها ثم جاء نسر
وطرد الطيور ومكث يأكل بمفرده فتمنت بزله أن تأتى بغلام مثل هذا
النسر .

وجاء نسر آخر طرد هذا النسر وحمل جثة الفرس ورفعها ثم
حطها على الأرض ثلاث مرات .

ولما رأت ذلك تمنت أن تأتى فى طهرها بغلام مثل هذا النسر .
وتصور الرواية هذه اللحظة :

« أئده شافت قالت ليزله . يا بزله أنا أريد فى طهرى هذا القى ولد فحل ومنيع مثل النصر هذا أسميه أبو زيد » (Stories of Abu zeid) (النص ص ١) ويعد أن غسلت كل منهما ملابسها وذهبت إلى بيتها لتحمل كل واحدة منهن وتأتى بما تمننت . جاء ليزله دياب ولأئده أبو زيد .

فنبوءة البطل هى مدخله إلى عالم الخير والحق . ففى النبوءة يتحدد الاتجاه الذى يسير فيه مستقبل البطل لتدخله عالم القداسة فى الوقت الذى كتب على البطل أن يسير فيه .

ونبوءة الميلاد لاستوقف عند النبوءة بالبطل الخير وإنما تتعداه لتتنبأ بالشخص المواجه للبطل anti hero

والبطل لا يواجه نوعا واحدا من الرجال وإنما يواجه نوعين من الرجال :

الأول : وهو البطل المعادى .

الثانى : وهو البطل المضاد .

والبطل المضاد يمكن أن ينقسم إلى نوع محارب ونوع لا يحارب وهو الذى يدخل دائرة شخصية المحتال . وهو هنا المحتال العدو وليس المحتال الصديق .

والبطل المعادى ليس بالضرورة متناقضا فى سلوكه مع البطل ، إذ قد يكون بطلا مثيرا للإعجاب يملك كل مقومات البطولة وله من المعجبين من جمهور المستمعين عدد لا يقل عن عدد المعجبين بالبطل كشخصية الزناتى خليفة التى لا تفتأ السيرة تطلع عليه القاب الشجاعة والعظمة فهو بطل الغرب الذى يواجه بطل الشرق أبازيد .

فالزنتاى ليس مضاداً للبطل من حيث تكوينه الخلقى والخلقى وإنما هو مضاد للبطل من حيث وقفة كل منهما فى مواجهة الآخر دفاعاً عما يراه كل منهما حقاً . فأبو زيد بطل والزنتاى خليفة أيضاً بطل جعلتهما الظروف أعداء مع إعجاب كل منهما بالآخر فهو ليس مضاداً للبطل فى المعنى العام للبطولة وإنما فى وقفته المعادية للبطل .

ولقد عبر عن أحاسيسه بصدق تجاه أبو زيد بإحساس لا يصدر إلا من بطل عظيم . فأبو زيد يقدم عليه ومعه بنى هلال وهو فى سن الثمانين بلا معين من أهل أو أصدقاء فلا أحد يسمع كلماته . لقد كبر الزنتاى وفاح الكبر من عينه وهذا ما يسبب له الألم . فلو أنهم جاءوا له فى صغره لكان له معهم شأن آخر . وهو يعبر عن هذا الألم لابنته سعدى كما يروى النادى عثمان .

« إلا جئوني فى سن ثمانين
بعد الكبر ما فاح من عيوني
ولاد عمى الدننيين
أشور شورتي يخلفوني »

وحين ينتظر إلى أبى زيد يعجب به ويقارن بينه وبين أبى زيد فى القتال ويصور شدة أبى زيد وقوة حريته التى لا يوصف لها دواء .

أنا جعلت القليد أبو زيد مركب صغيره
تريه يابنتي سفينة أنا عمت فى جوارها
هزنى من الزرادية حسيت بروحي ضاعت وقعدت مكانها
هزنى من الزرادية شبه جده تجلع من درارى عيالها
أنا حربتي ناقره فى حجر

اما حربة الامير ابوزيد متعته في جبالها

انا حربتي وصفوا لها دوا

اما حربة ابوزيد قليلا دوا ليها

انا حربتي بيضه زي اللبن

اما حربة القليد ابوزيد تشلع نيرانها

هذا الصدق لا يكون إلا من بطل عظيم لذا فليس من السهل أن

نطلق مصطلح البطل المضاد على الزناتي خليفة وإنما البطل

المعادى ، لأن العداء هو صفة الحالة التي التقى عليها الزناتي مع

ابى زيد . فيصبح من الغريب أن يسمى ابوزيد بطلا وهو القادم

لغزو تونس ولا يصبح الزناتي خليفة بطلا وهو الذى يدافع عن

أرضه ..

فهو البطل المدافع عن أرضه تختلط فى نفسه الاحاسيس تجاه

ابى زيد . فهو قادم ليسلبه أرضه ونفسه ومع ذلك فهو يحبه . يحبه

فارسا شجاعا بطلا ويكرهه أيضا فهو يقف فى المعسكر المعادى .

ولا يفتأ يعبر عن ذلك لأعز الناس لديه ابنته سعدى . فهو رجل لم

ينجب ابنا وكان يتمنى أن يكون ابوزيد ابنه أو ابن عمه أو قريبا له

فإن الزناتي يستطيع به أن يعارك الدنيا ويقسمها دون خوف .

انا احب ابو زيد يابتي واكرهه

كما الحرة متحبش الدنس فى عزالها

انا احب ابو زيد يابتي واكرهه

كما الفاجر منكروه عوالى رجالها

انا احب ابوزيد يابتي واكرهه

كما الناقه متحبش فراق عيالها

احب ابوزيد يكون اخويا ولأ ابن عمى ولأ من أعز قرايبي

كنت اقسم الدنيا واعارك قبالتها

محمد نصلى عليه

أما دياب فهناك روايات تجعل منه بطلا معاديا وأخرى تجعل منه بطلا مضادا لأبى زيد ، ومن هنا انقسم جمهور المستمعين إلى قسمين ، وقف قسم مع أبى زيد والقسم الآخر وقف مع دياب ... ولقد ربط دياب بمولد أبى زيد فقد كانت أمه عند الماء مع أم أبى زيد فهو ابن الدعوة ، والدعوة المستجابة نبوءة .

وهناك روايات تقلل من شأن أبى زيد فلا يظهر بمظهر الفارس ففي حكاية من حكايات أبى زيد فى قلب الجزيرة بعنوان «عليا وأبى زيد » .. تتحدث عنه على أنه محب شريف نظيف وزعيم معروف ومع ذلك يقتل ابن اخته عزيز بن خالد الذى ساندته فى رحلته واستطاع أن يجمعه بحبيبه فقد وجدته حكيما وخاف على زعامته منه [أساطير شعبية ص ١٧٧ - ١٩٣ -] وهى قريبة لرواية من روايات التغريبة (ص ٣٠) هذه الرواية لا يستطيع أن يلقيها راو من جنوب مصر على جمهوره فأبوزيد فى الروايات مختلف تماما . فهذا الرجل ليس أبازيدهم وبالتالي ليس البطل الذى يعرفون .

أما الشخص المضاد للبطل الذى يملك القدرة على الاحتيال فتمثله شخصيات كثيرة : شخصية عقبة بن مصعب من ذات الهمه وجوان فى الظاهر بيبرس .

وكثيرا ما يقف البطل المعادى موقفا متناقضا من وقفة البطل مع العدل والحق .

البطل	البطل المضاد
المهلل	جسس

الحكيم سقرديون	سيف
ظالم	مظلوم
الحارث	ذات الهمة
عقبة	عبدالوهاب
دياب	أبو زيد
جوان	بيبرس

وتلتقى شخصية المحتال سقرديون وعقبة وجوان . ويقف سقرديون ضد سيف حتى لا تتحقق دعوة نوح عليه السلام في أبناء حام .

أما عقبة بن مصعب فهو ممثل إبليس وداعية الكفر وقد رسمت شخصيته في سيرة ذات الهمة مطابقة لشخصية المحتال مطابقة دقيقة . وقد تحدثت السيرة عن النبوة في مولده :

« قال الراوى : وكان عقبة قد نشأ في بنى سليم نشوء العرب ، وما كان أحد يقع له على مذهب وقد ذكروا المنام الذي رآته أمه لما أن كانت حاملا به وأنها قد فسرتة على الحكماء فقالوا لها يأتى ولد شرانى يلقي الفتن بين الناس من النساء والرجال ويكون سفاكا للدماء كثير الحيل والزنا مفسدا عاصيا لرب العالمين ، فاحفظى سرك ولا تشيعيه واكتميه وإذا رزقته فاهجره .. فعندها كتمت عالية امر عقبة ولم يطلع على هذا الكلام أحد ولما أن ولدته لم تجد له فى قلبها حلاوة الأولاد لأنها رأت آثار العلامات عليه وظهرت فيه من الصغر لأنه ما يخطى بين يديها إلا ويفسد كل شيء حوالها إلى أن كبر ونشأ فكان يلقي الفتن والشرب بين النساء فى الحي وهم لا يؤاخذوه لصغر سنه » (السيرة جـ ٨ مجلد ٢ ص ٢١١) .

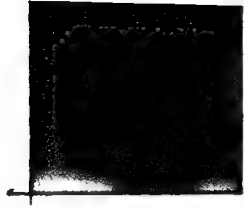
وهنا يرتبط المعادى للبطل أيضا بقوى كونية ، هذه القوى يمثل جانب الدنس فيها إبليس فيصبح البطل وقد تجلى عليه الكون برؤى تكشف الخير فيه فتحيله إلى مقدس بينما يتجلى الكون على المعادى للبطل برؤى تكشف الشر فيه فتحيله إلى دنس وإذا كان البطل قد ولد أبطالا يحملون نزعة الخير فإن الشخص المعادى للبطل قد ولد أشرارا يحملون نزعة الشر . كما حدث للأبطال من سلسلة ربعة والد كليب والمهلل ، وكما حدث لسيف بن ذي يزن فقد حدث أن خرج من عقب عقبة هذا شرير رجيم وهو جوان الذى وقف معاديا للبطل بيبرس وقد تنبأ بظهوره قبل ميلاده بمدة طويلة الحكيم يونان الذى سطر تاريخه على صحائف من ذهب . فجوان هو الدنس الذى يعادى الخير .

ويروى عبد الحميد يونس أنه « لولا أن هذه الشخصية هي مدبرة الشر لقلنا إن هذه السيرة أخرى بها أن تكون سيرة جوان لأن حوادث القصة كلها تكاد تكون بتدبيره ووصيته » [الظاهر بيبرس فى القصص الشعبي ص ٧٠] ..

ويمكن أن يقال ذلك على جساس وعلى دياب فهى شخصيات وقفت فى مواجهة الخير فى كل موقف من مواقف السيرة بقوة الشر فيها .

وكثيرا ما يعجز البطل عن مواجهة عدوه دون رفيق . فقوة الدنس مركزة قادرة والخير قد يخذع .. وقد يعجز عن مواجهتها بمفرده لذا فهو يحتاج الى رفيق يساعده ومن هنا فإنه كثيرا ما شملت النبوءة رفيق البطل المصاحب وقد أفرد الرواة له مكانا هاما فى روايتهم للسيرة ولمواليد البطل ...





البطل

المصاحب

وكما كان للبطل أعداء لدودون لعبوا دورا فى بناء السيرة وفى تطوير حياة البطل منذ ميلاده ، فكذلك جعلت له دورا يكبر فيتساوى مع دور البطل وقد يصغر من حيث جوهر فعله فلا يتساوى مع بطله ، ولكن معظم رفقاء البطل كانوا أبطالا ومن هنا كان من الخير أن يسمى بالبطل المصاحب بديلا عن عبارة رفيق البطل ، لأن له دورا بطوليا فى السيرة يرتبط بالبطل الرئيسى للسيرة ويدعم وجوده . وهناك قلة من الأبطال وجدوا بلا رفقاء وإنما كان قدرهم أن يواجهوا العالم بما يحملون من عبء بمفردهم ..

فالزير كان وحيدا فى مواجهة أعدائه . والصديق الوحيد الذى كان نديما له قبل أن يبدأ رحلة الثأر هو همام أخو چساس . فتحولت الصداقة إلى عداوة وانتهى إلى أن قتله وقتل ابنه . لقد كان المهلهل ذاتا بمفرده وكانت ذاتا مرة لا تملك روح السخرية ولا الدعابة .

كما كان الزناتى بطلا فردا بلا صاحب يقف معه ويسنده ساعة الشدة . كان يعيش فى عالم من الأعداء خارج أسوار تونس وداخل أسوارها . يحمل مرارته فى ذاته ، لم ير أحد أسنانه ضاحكا أو مبتسما ، لم يشك فى حياته إلا مرة لابنته فى لحظة مأساوية وقد أدرك أن عرش تونس يسقط ليسلم لبني هلال ..

لقد كانت بطولة فرد لتحمى جماعة هشة متساقطة ، بينما كانت بطولة عدوه بطولة تقف وراء الجماعة لتحميها ، ليس للزناتى من صديق سوى سيفه وفرسه فى مواجهة واقع ولى بعيدا عنه واقتربت نهايته ومع ذلك فقد ظل يعيش بكبرياء وعظمته بينما كان لأبطال آخرين رفقة قاموا بدور البطل المصاحب .

البطل	البطل المصاحب	اخوه
عنقرة	شيبوب عبد	عبد
ذات الهمة	مرزوق	عبد
أبو زيد	قصان	عبد
عبد الوهاب	محمد البطل	حر
بيبرس	جمال شبحه	حر
سيف	عاقصة جنية - أخته فى الرضاع	

والبطل المصاحب قد يكون إنسيا وقد يكون جنيا . فقد لعبت الجنية عاقصة أخت سيف فى الرضاع دور البطل المصاحب له ..

وقد أثار وجود الجنية عاقصة اختا لسيف فى الرضاعة خيال المتلقى، فقد كان وجودها مسلما ومثيرا وقد برر الراوي هذه العلاقة :

« وكان فى ذلك الزمان وذلك العصر والأوان الانس يصحبون الجن ، والجن يصحبون الانس ويتحدثون معهم ولا يفزعون منهم ولا يمنعون بعضهم عن بعض ويظهرون على وجه الأرض إلى زمن ظهور سيد الملاح ورسول الملك الفتاح سيد الانام ورسول الملك العلام الذى ظهر من بين زمزم والمقام وأبطل السحر والكهانة ببركة الشفيع فى العصاة يوم القيامة محمد « صلى الله عليه وسلم » (السيرة م . ١ ص ٤٧)

كانت عاقصة بقوتها الكونية قادرة على إنقاذه وإنفاذ أوامره ، وهى مختلفة فى تكوينها عن شخصية الجن المعروفة لدينا فى خاتم سليمان أو القمقم فإنها شخصيات فاقدة للحس قوية قادرة كانت فى الخاتم تؤمر فتطيع وفى القمقم شخصية مرة تؤمر فتطيع ولكنها حاقدة ، أما شخصية عاقصة فهى تملك قدرة كونية كما أنها صاحبة مشاعر يمكن أن نطلق عليها مجازا مشاعر إنسانية .

أما شخصية البطل من الإنس فهي تنقسم إلى قسمين . عبد وحر !

أما العبد فهو شيبوب ومرزوق وقمصان وقد لعب وضعهم الاجتماعي دورا في تقليل شأنهم في السيرة فكان شيبوب تابعا لأخيه عنتره لم يرتفع ليكون بطلا . كان يفكر ويدبر ويساعد أخاه ولكنه لم يرتفع لدور محمد البطل أو دور شيعة في السيرة .

أما مرزوق فقد لعب دور الخادم . لم يكن صاحب فكر ولا حيلة ولا قوة لقد ولد معها وربتها أمه فكان بذلك أخاها في الرضاعة ولكنه تحول إلى عبء عليها ، ويساعد الحارث عدوها وزوجها وابن عمها في النيل منها فقد سقاها منوما أدى إلى أن يدخل الحارث عليها .

ولم يكن حظ قمصان كبيرا مع بطله أبي زيد . لقد كان أبوه عبدا لمرزوق . ولقد ولد معه وصحبت أمه والدته في رحلة غربتها لذا فقد تربى معه وولد ابنه مع الأيتام في غربتهم ولكن حظه في السيرة لم يكن كبيرا فلم يرتفع فيها ليكون بطلا حقيقيا . ولقد ولد قمصان في يوم ميلاد أبي زيد ولم يخرج عن الدور الذي حدد له من أن يكون العبد المخلص لسيده حتى إنه كثيرا ما يختفي ولا يظهر ! أثر في النص . وكثيرا ما يبرز فجأة .

كأن ينادى أبو زيد .

« يا قمصان هات لي الشحطان » أي الفرس

ولم يكن جمهور الراوى الشعبي في حاجة إلى أن يتقبلوا تطويرا لشخصية قمصان . ولقد ذكر النادى عثمان أنه كان يغنى السيرة فى قرية « المطاعنة » جنوب الأقصر فى منتصف الطريق بين أرمنت وإسنا وكثير من أهل هذه المنطقة يرون أن لهم علاقة بالزناتى خليفة فهم زغايبى . أخذ النادى عثمان يتغنى بخروج أبى القمصان لملاقاة الزناتى خليفة ومنازلته فى ميدان القتال

خليفة نادم يا قمصان
سود الليالى تعيبك
يا فطيس يا شراية المال
راح فدين ابو زيد سيدك
ورد عليه قمصان
ابو زيد سيدى مالك بيه
يلبو العمامة النضيفة
إن كان ع الحرب خليه
انا كفوكم يا خليفة

وإذ يواحد من المستمعين يقترب منه وقد ظهر على وجهه الغضب
وبان فى عينيه عدم الرضا وقال له

يا أخى قبلنا أن ينازل أبو زيد الزناتى خليفة فهو ابن الشريفة خضرة
وبعدها تترك عبدا ينزله .
وهنا استمر النادى عثمان فى غناؤه معلنا رفض الزناتى خليفة أن
ينازل العبد قمصان ويعود قمصان ليصر على ملاقاته وهو يقول : « العبد
بيحارب على حس سيده »

وضعه النادى فى حجه الذى يريده له الجمهور . من هنا امتزجت فى
شخصية أبى زيد شخصيتان . شخصية البطل المقاتل وشخصية
المحتال .. امتزجتا امتزاجا كاملا فكان أبو زيد بطلا داخله محتال أو
محتالا داخله بطل فكان البطل :
ذات + ذات = أبو زيد .

فهو صاحب جراب الحيلة المتكرر فى أكثر من ثوب وهو يحمل معه
منطقة جايل المتحكمة فى الجان وهو أيضا الإنسان البطل : ولقد عبر عن
أزمته فى حديثه عن نفسه أمام الزناتى خليفة !

انا من يوم ما خضرة جلبتني
مرضعت لبن الهمليل (لم يرضع لبنا غير لبن امه)
ولا يوم هيه نططنتني
ولا بت ع الفرش نديم
من يومى ما بزرع زرع
ولا غُرَّ النقلة بإيدى
ولا حيلتى إلا الشر
سوق الغفاليق عيذى

لقد عاش شيبوب مع عنترة وعاش مرزوق مع ذات الهمة وعاش قمصان
مع أبى زيد ولكن الجمهور حكم عليهم الا يتجاوزوا الدور الذى حدد لهم
عبيدا ، يعيش كل منهم مع سيد هصور .

وإن كان شيبوب أكثر حياة منه فى نص سيرة عنترة فهو أخوه من أمه
وصاحب العقل المدبر لحركة عنترة يوجهه للدفاع عن حقه مع قبيلته
ويدبر له حين يفقاد عنترة وراء عواطفه .

أما عمر العيار ومحمد البطال وجمال شبيحة فقد لعب كل منهم دورا
خطيرا لا يقل عن دور البطال الاصيل للسيرة .
ولقد ولد عمر العيار فى يوم مولد الأمير حمزة ، مع ثمانمائة طفل آخر ،
من أب عبد ولكنه خص بنبوذة بزرجمهر التى تجعل منه أقرب المقربين
لحمزة فقد قال للأمير ابراهيم والد حمزة :

« ليكتب هذا الغلام من رفاق ابنك حمزة ويكون له ساعدا قويا عند
ضيقانه ويخلصه على الدوام عند وقوعه فى الشدائد والمصاعب فخذ
وربه مع ابنك واعتن به كل الاعتناء فهو عصا ابنك يتوكأ عليها فى حياته
ويحتاجه فى كل أوقاته وكان وجه هذا الغلام صغيرا مستديرا . صغيرة
جدا مستديرة كأنها الثقوب ويديه وحليه صغيرة دقيقة أشبه بالخيطان

لانه لم يكن كامل البنية فأجاب الأمير طلب الوزير ودفع الغلام الى المراضع ليكون على الدوام مع ولده وقد سماه عمر وهو عمر العيار ويكون عيار الأمير .

وقد لعب دورا خطيرا في حياة حمزة البهلوان كان ساعده الايمن وصاحب الحركة السريع الواقف بجوار سيده في كل خطوة يصاحبهم الاطفال الذين ولدوا يوم مولد الأمير .

أما محمد البطال فقد أضيف اسمه على نص سيرة ذات سيرة ذات الهمة على أنه أحد أبطالها في إحدى طبعاتها ، فيكتب العنوان هكذا .

« سيرة الاميرة ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير محمد البطال وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال » .

لم يذكر أن محمداً البطال ولد مع الأمير .. وإنما ذكر أنه كتب في ديوان المجاهدين دون أن يكون مجاهداً ، فهو لم يحضر قط حرباً ولا طعناً ولا ضرباً لأنه كثير الغزع والهلع زائد القذارة والكسل ، مقعد لا يقدر أن يقوم على قدميه وإن أكل يكسل أن يحرك فمه وشفتيه وإن بال بال على أذياه وإن تكلم سال ريالاً يفزع من الماء إذا سر ومن الثور إذا ثار ، وكلما زقزق الغار في الدار يهرب في ثياب أمه ويقول هذا من العار . ومن جملة كسله أنه إن كان نصفه في الظل والنصف الآخر في الشمس وهو نائم يكسل أن يزحف من الشمس إلى الظل .. [السيرة م ٢ - ج ٨ ، ص ٢٠٠] .

ولقد فقد والده الأمل من أن يصبح فارساً فوجهه إلى القاضي عقبة رأس أهل الشقاء ليتعلم منه .

فكان أن عني به عقبة واجتهد في تعليمه وإتقانه والاعتناء به لئلا

نهار فكان كلما لقنه الفقيه عقبة شيئاً يحفظه .. وما يحفظه الاولاد
فى شهر يحفظه فى يوم واحد والقى الله فى ذهنه الفهم والفطنة .

وكان الحق اُمت نفسه الحيوانية واحيا نفسه الروحانية [ص
٢٠١] تم له ذلك على يد عقبة ليتعلم من عالمه فيكون عليمًا بالشر
ويكون هو الشخص المختار لمواجهة شرور الشيطان المتمثلة فى
عقبة ..

ولقد ذهب إلى القتال فإذا به يخشى عليه وصار لا يعرف ما بين
يديه من شدة الخوف والفرع ثم تمالك البطل نفسه بعد أن انقذ من
سهم أصاب ثعباناً عظيماً فلما رأى ذلك زال منه الخوف والحذر
وتحرك فى المعركة شخصية جديدة ليصبح أحد أبطال المسلمين
يهدمهم بمشورته ويساعدهم .

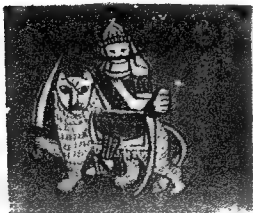
فكان ذلك يومه الأول صاحب قوة وصاحب خيل وهنا قام الأمير
عبدالوهاب وقال ياسادات العرب وذوى الرتب اشهدوا على أننى
خاويت أبا محمد البطل وأنه أخى فى الدنيا والآخرة بعدما
تصافحا وأننى أولى به من غيرى [ص ٢١٧] ولقد أصبح منذ
هذه اللحظة فى السيرة مزواجا لشخصية عبدالوهاب ومقابلا
لشخصية عقبة .

يواجه الأمير القوة إذا احتاج وبالدهاء الذى تعلمه من عقبة يرد
على عقبة مطاعنه وشروره ويصبح دوره فى هذه السيرة لا يقل عن
دور عبدالوهاب وعقبة مجتمعين إلا أنه تظل لعبدالوهاب تلك القوة
البدنية التى لم تكن تستغنى قط عن عقل البطل ودهائه .

ويرث جمال شيعة فى سيرة ببيرس شخصية البطل فى سيرة
ذات الهمة ويرث نفس دوره فيها فتصبح علاقة جمال ببيرس
موازية لعلاقة البطل بعبدالوهاب وكما كان البطل واقفا لعقبة

بالمرصاد مبطلا الاعيبه الشيطانية ، فإن جمال لعب نفس الدور مع
حفيد عقبة جوان .. كان ذلك هو قدره الذى سجله إينان بن يونان
على صحائف من فضة .

وهكذا فإن ثلاث شخصيات كل منها ترتد إلى الآخر وتتطور
عنه ؛ عمر العيار ومحمد البطال وجمال شيحة وكل شخصية من
هذه الشخصيات تعيش ببطل آخر تخدمه ولا تستغنى عنه ولا
يستغنى عنها لتكتمل صورة البطولة . وإذا كان البطال حين يوجد
كثيرا ما كان يصاحبه فى ميلاده رفيق فى رحلة بطولته فإن السيرة
اهتمت اهتماما كبيرا بالحديث عن نسب البطال قبل مولده لتحقيق
نقاء نسبه .. فالبطال الاول للسيرة لابد أن يكون كريم النسب ..





نسب

البطل

يدخل نسب البطل فى النسيج العام لبنية السيرة الشعبية فى فصلها الأول :

ولاتكاد تخلو سيرة من السير الشعبية العربية من الاهتمام بنسب البطل ، فقبل أن نتكلم عن البطل ترسم صورة لميراثه العرقى والنفسى من خلال العناصر المكونة لهذا التراث ، فالبطل لا يقود جماعته من هامشها العرقى ، وإنما يقودها وهو من صلبها ومن أعرق أعرافها .

وهذه ليست قاعدة تفردت بها السيرة الشعبية وحدها ، فأقدم نص لسير من السيرة العربية معروف لدينا هو سيرة ابن هشام التى تروى سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . ويستغرق الحديث عن نسبه (ﷺ) وآله من الصفحة الأولى حتى الصفحة الثامنة والخمسين بعد المائة (١٥٨) ، وهى الصفحة التى تتحدث فيها السيرة بالتفصيل عن مولد الرسول الكريم (ﷺ) فتروى رواية ابن اسحاق ورواية قيس بن مخزومة ، ورواية حسان بن ثابت (السيرة ص ٥٩) ، ثم فى الصفحة التالية لها نسب حليلة ونسب أبيها ، ونسب والد الرسول (ﷺ) فى الرضاع فالدم الزكى المتوارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يجب الا يدخله لبن غير زكى .

ولو تركنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سورة سيدنا يوسف عليه السلام لوجدنا أنها تحكى سيرة حياته .. ومع أن السورة كانت تهدف إلى توضيح العلاقة بين يوسف عليه السلام وإخوته (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين) (١٢ ك ٧) إلا أن الآيات عرضت لقصة يوسف عليه السلام كاملة ، وفى الآيات الأولى تحدثت عن نسبه عليه السلام بإيجاز وإحكام دون إطناب أو تفصيل ، وكشفت عن نسبه الطاهر من حديث والده إليه (وكذلك

يجتنبك ربك ، ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق . إن ربك عليم حكيم) (١٢ ك ٦) . وبعد أن كشفت الآيات عن نسبه وميلاده الطاهرين حكى بعد ذلك الأحداث التى تقود يوسف عليه السلام نحو تحقيق الحلم ، وجميعها رسم ليوضح سيرته .

لقد اتخذت السيرة الشعبية مسارا واضحا يحدد نسب أبطالها ، فهى تارة توجز ، وتارة أخرى تسهب ، فهناك أبطال لم تتحدث السيرة الا عن آبائهم مثل الأمير حمزة البهلوان والأمير سيف والظاهر بيبرس . وقد تفصل فى الحديث عن نسب البطل كما حدث للمهلل وعنترة وذات الهمة وأبى زيد الهلالي سلامة .

والإيجاز والإسهاب فى ذكر نسب البطل يرجعان إلى الظروف التى وضع فيها ، فإن كان البطل ابن ملك فى حاضره لا يحتاج إلى تناول نسبه بالتفصيل ، فحمزة وسيف وبيبرس أبناء ملوك .

أما إذا كان البطل قبيليا فإن السيرة تكشف عن نسبه وقد تستمر فى سرد النسب إذا خرج من صلبه أبطال تمتد بهم السيرة ..

تذكر سيرة حمزة أن والده هو الملك إبراهيم حاكم مكة . وليس هناك مكان أشرف لدى المسلمين من مكة ، ففيها بيت الله الحرام ، وهى مهبط الوحى ومهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . ولذلك لم تقض السيرة فى الحديث عن هذا النسب إذ يكفى أنه ابن أمير مكة ليكون من أشرف الناس نسبا وأعلاما حسبنا .

أما سيف بن ذى يزن فقد تحدثت السيرة عن والده كثيرا حتى قتل قبل أن يولد سيف ، فهو ابن يزن ملك اليمن وأكبر ملوك الأرض

طرا ، وليس راوى السيرة فى حاجة إلى أن يتحدث عن نسبه بأكثر من ذلك . ويذكر فى عنوان نسخة السيرة أنه من سلالة التبع حسان ، وقد ذكر فى الملحة الكبرى للتبع حسان وهو يخاطب كليبيا :

« وسيف ذو يزن سيظهر وتصحبه السعادة فى العباد ،
(قصة الزير ص ٢٥) .

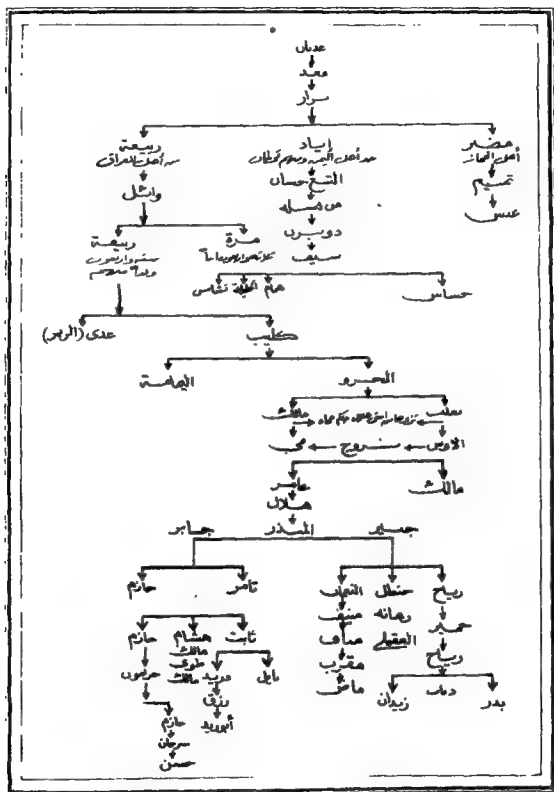
وذكر القاص الشعبي أن بيبيرس ابن ملك خوارزم القاف شاه جمك . واهم الاميرة أبق . فهؤلاء الأبطال أبناء الملوك . أما الأبطال من غير أبناء الملوك فإن نسبهم قد امتد ، ليؤكد نقاء دمائهم وصفاء شرفهم ، فعنصرة المختلطة دماؤه بين الرجل العربى السيد وبين المرأة الحبشية المستعبدة ما كان يمكن أن يتركه الراوى دون أن يغوص فى نسب أبيه ونسب أمه ، فأبوه سيد من سيد سادات عيس . وقد بدأ حديثه عن العرب منذ جدهم الاول إبراهيم عليه السلام وأنساق بعد ذلك ليتحدث عن ابنه اسماعيل عليه السلام ، وكيف تناسل العرب من اولاد قيدار حتى عدنان ثم معد فنزار ، وأنمار (ص ٥٢) وجعل من نزار والدا للعرب جميعا دون استثناء فهو أبو إياد جد العرب . كما أنه أبو ربيعة ومضر وأنمار . وهو جد النبى صلى الله عليه وسلم وقد جعل نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه ، وانتهى إلى الحديث عن نسب ملكهم وهو أحد أبناء عمومة شداد بن قراد والد عنصرة ، فهو زهير بن جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عيس بن غفلان بن معد ابن عدنان وقد سقط اسم نزار فى هذه السلسلة ، وربما يكون ذلك خطأ مطبعيا أو إغفالا من الناسخ للاسم لذكره قبل ذلك ، فعنصرة يلتقى مع الملك فى الجد الرابع وهو عيس أما والدته فهى أميرة من أميرات الاحباش سبيت فأصبحت أمة حتى سبأها والده .. وأنجبت منه بشهادته وشهادته أصحابه عنصرة .

وقد استغرق الحديث عن نسب ذات الهمة وتاريخ أبائها الأجزاء الستة التي يتكون منها المجلد الأول الذي ينتهى قبل أن تولد ذات الهمة ، ويبدأ الحديث عن والدها وعنهما فى الجزء السابع فى المجلد الثانى .

وذات الهمة ، كما يوضح نص السيرة من بنى كلاب ، فهى ابنة أبطال مغاوير مشهورين من بنى كلاب ، فجدّها الأكبر : الحارث الكلابى الذى أنجب البطال جندبة ، والآخر أنجب الصحصاح ملك العرب ، وأنجب الصحصاح مظلوما ، وأنجب مظلوم ظالما وفاطمة ، فأنجب ظالم الحارث ، وأنجبت فاطمة عبدالوهاب .

ونسب أبى زيد الهلالى سلامة يجمع عدة حلقات من حلقات النسب ، حلقة تمثل اتصال نسبه بالجد الأكبر للهلالية وهو هلال ، وحلقة أخرى تمثل اتصاله بجد هلال الأكبر الجروين كليب وابن أخى المهلهل ، وحلقة ثالثة تصل هذا النسب بعدنان ، الجد الأكبر للعرب .. وجزء من سلسلة النسب هذه يؤخذ من رواية سيرة الزير سالم المطبوعة . والجزء الباقي يؤخذ من سيرة بنى هلال المطبوعة .. وقد استند عليها عبدالحميد يونس فى إيراد النسب الشعبى لبنى هلال (الهلالية ص ١٠٢ - ١٠٣) كما استند إليها شوقى عبدالحكيم (سيرة بنى هلال ص ٧٦) وفيما يلى محاولة لوضع خريطة توضح نسب أبى زيد وأجداده حتى عدنان :





ونسب أبى زيد فى هذه الرواية يختلف إلى حد كبير عن نسبه فى الروايات الشفهية ، فالحلقة التى تربطه بكليب لم اسمع راويا من الرواة الشعبيين الذين استمعت اليهم من رواة الوجه القبلى يتحدث عن هذه العلاقة . فهى علاقة مرتبطة ارتباطا كبيرا بمدون واحد . هو الذى دون سيرة المهلهل المتداولة فى العالم العربى دون غيرها من السير التى تناولت المهلهل . ونفس الناسخ الذى دون سيرة بنى هلال إذ تبدأ عبارتها الأولى بالعبارة التى ختمت بها سيرة المهلهل واستمرت فى الحديث عن أخبار الأمير هلال وأبنائه من بعده ، بما يوضح أنه يعتمد على رواية واحدة للسيرتين ، فهما تبدوان وكأنهما سيرة واحدة دونت فى جزئين ، الأولى سيرة الآباء والثانى سيرة الأبناء ، وهى الرواية التى تلتقى مع رواية الوجه البحرى الشاعر فتضى سليمان والشاعر على الوهيدى .

ويخالف النص الشفوى النص المكتوب فى تحديد نسب أبى زيد الهلالي . فهو فى الأخيرة لا يتعدى ذكر الجد الثانى ، فهو أبو زيد بن رزق بن نائل بن جرامون من بنى هلال .

وتتفق روايات عبد الظاهر وعوض الله وعبد السلام حامد على أن سرحان أخو رزق ، كما تتفق على أن القاضى فايد ابن عمهم فهو ابن بدير ، ومن هؤلاء الثلاثة تتكون قيادة الجماعة الهلالية ، ويخرج من أصلاهم حسن بن سرحان أمير بنى هلال وأبو زيد بن رزق الزعيم وبدير بن فايد القاضى .

ولا تشير السيرة الشفهية لعلاقة بين أسرة أبى زيد وأسرة دياب ، فدياب من الزعابى والزغابى من حمر اليمن . وتذكر الروايات الشفهية أن غانما والد دياب ترك قومه وقد طرده أحد أبناء عمومته وهو الزناتى خليفة عندما كان فى اليمن قبل أن يرحل إلى تونس ، فخرج بمن معه والتجأ إلى بنى هلال واستقبلوه بترحاب ، وأصبح حليفا لهم له حقوق الهلاليين وواجباتهم وتربى ابنه دياب

وتذكر سيرة بنى هلال المطبوعة أن ديابا تزوج بنت القاضي فايد فأنجبت له ثلاثة أبناء : بدرا وديابا ، وزيدان (السيرة : ٣٩) كما تذكر التغريبية أن الأمير حسن تزوج بأخته .. وتجمع الروايات الشفهية التي معى لا تذكر له ابنا يسمى بدرا كما يذكر الحاج عبد الظاهر أن زيدان ليس أخا دياب . وإنما ابن عمه ، فهو زغابى ، وأنه ابن أخت أبى زيد فى الرضاعة أى ان شبيحة أخت أبى زيد قد أرضعته وكان يناديه بالخال وحاول أن يدافع عنه أمام دياب فى فصل السيرة الأخيرة (الأيتام) .

ونتيجة لاختلاف نسب الهلالية عن نسب دياب ، فالهلالية عرب حجازية والزغابى عرب يمنية ، فقد خشى الهلالية أن ينضم دياب إلى الزناتى خليفة فى حربهم معه ، فتركوه يرمى الإبل ثم طلبوه عندما تبين لهم أنه حانت لحظة مقتل الزناتى خليفة بعد أربع وعشرين سنة من المعركة فرفض فدفعته الجاذ بطليفه عامر الخفاجى لأن يدخل المعركة ليقاتل الزناتى خليفة وهى تعرف أنه ليس كفؤا له وأن الزناتى لاشك قاتله ... وفعلوا قتله .. فلما سمع دياب بذلك عاد لينتقم من قاتلى خليفة ، عاد وقد أصبح هناك ثار جديد بينه وبين الزناتى خليفة .

أما أم أبى زيد فهى خضرة الشريفة بنت الشريف قرضة حاكم مكة ، فقد أقامت السيرة المطبوعة علاقة نسب بين والدها الشريف قرضة بنى هلال فجعلته هلاليا ، فعندما سأل الألبشع عن حاكم مكة قالوا له : قرضاب الشريف بن هاشم وهو من بنى هلال ، (ص ٢ السيرة) وتختلف جميع الروايات الشفهية التى بين يدى فى هذا فلا تجعل علاقة نسب بين بنى هلال وبين الشريف قرضة ، فهو من نسل الرسول عليه الصلاة والسلام . ولقد اكتسب أبو زيد علاقته بالرسول من خلال والدته .

ولقد اختلف فى الطريقة التى تزوج بها رزق الشريفة خضرة أم أبى زيد فقد ذكرت سيرة بنى هلال المطبوعة أن قرضابا استنجد ببني هلال ليقيموا معه ضد الأبيشع ملك الروم الذى ينوى غزو مكة . فذهب بنو هلال وعلى رأسهم رزق بن نايل حتى تقابل الفريقان فأعلن الشريف قرضة جائزة لمن يقتل الأبيشع الزواج من ابنته خضرة فطمع رزق فى الزواج منها فنزل لملاقاة الأبيشع فقتله وهزم الروم وتشتتوا فى البرارى ورجع الأحياء منهم إلى بلادهم .

وتتفق رواية عبدالسلام حامد مع هذه الرواية وهو يبدأ السيرة بفصل يسميه من نجد إلى مكة ، وفيه يذكر أنه ذهب إلى مكة مع مثنى فارس ليصلى هناك فرض الإله . وهناك وجد الأعداء يحيطون بالمدينة يطلبون من حاكمها الشريف قرضة الجزية ، فحاربهم رزق وهزمهم ومكث ضيفا عند الشريف لعدة أيام وحين عودته أعطاه ابنته الشريفة خضرة ففرح بها كثيرا وعاد بها إلى أهله . ولا تخرج رواية عبدالرحمن ثيفة كثيرا عن ذلك إلا أنها لا تجعل الحرب فى مكة نفسها وإنما تنقلها إلى الشام ؛ فقد ثار أهلها على الشريف مكة ، فأرسل إلى أبى على أمير بنى هلال لينجده ، فبعث إليه برزق الهلالى ومعه ثلاثون فارسا من بنى هلال ، وزوج الشريف ابنته من الأمير رزق ..

وتختلف بقية الروايات الشفهية عن هذه الرواية فلا تذكر أن رزقا حارب فى مكة . تبدأ رواية عرب الشوا بلحظة أمنية أنه (خضرة) أم أبى زيد ، أى أن زواج رزق تم عن طريق الصدفة ، وليس عن طريق تدبير سابق . ورواية الحاج عبدالظاهر فى جملتها الأولى بعد التعريف بزعامة رزق بن نايل لقبيلته تتحدث عن زواجه من خضرة الشريفة .

وبدأت كذلك رواية عوض الله عبدالجليل برغبة رزق في أن يتزوج حتى ينجب ، فحدد له الهلايل الزوجة .

« قالوا الهلايل هم فرسان تمام
بنت الشريف قرضه من الناس تمام
نسبة نبينا المصطفى عليه السلام
بنت الشريف قرضه ملك في حماء

وقد فصلت رواية عوض الله بهذا الزواج تفصيلا دقيقا يكشف مكانة الشريف قرضة ومدى إعزازه لابنته . وقد وقعت الرواية هذا الحديث توقيعا شعريا مثيرا ، فقد قسمت مطالبه الى قسمين : قسم يقدم للخدم والسعاة ، ثم خزنة ذهب مهرا لهذه الشريفة يماثل مهر أمها :

« قال الشريف قرضه انا علوز اربع تلوف
وخمسميت هانج وميتين كلاه
وخمسميه من خيال الخيول
وربعميه لجل شيل الحمول
دوله ودوله يا ذوات العقول
كلوا طميعة للخدم والسعاة
كلو طميعة للخدم والعبيد
في مهر خضره اللي لقاها سعيد
وميتين حبشيه من ارض الصعيد
وميتين مملوك يجينا هناك
وميتين مملوك تاجي تسد الطلب
تخدم الامارة عالية الرتب
ومهر خضرة في المال خزنة ذهب

لو كان بدك يا هالالى دايرع النسب
انا ليلة الدخلة على العشا
فى مهر خضره اللي جات م الحشا ،

وإذا كانت سلسلة نسب البطل قد كشفت عن رؤية للعالم المحيط به والعالم الذى خرج معه والعالم الذى يمكن أن يواجهه ، فإن لحظة ميلاد البطل فريدة فى الزمان ، فالكون يستقبل بطلا ويحتفى به فى عدة مظاهر غريبة توضح أنه مرتبط بقوى ما وراء الطبيعة منذ اللحظة الأولى التى يواجه فيها هذا العالم ، فساعة الميلاد جزء مهم فى بنية السيرة وفى بنية البطل ..





الميلاد

هناك كثير من النظريات التى تتحدث عن البطل وميلاده ،
 وجميع هذه النظريات تربطه بالأسطورة برباط وثيق ، وكثيرا ما
 تربطه هذه النظريات بالشمس فتعد "الميلاد الجديد للبطل هو
 الشمس الشابة المشرقة من السماء ، تواجه أولا بالسحب
 المنخفضة ولكنها فى النهاية تنتصر على جميع العقبات (The
 Myth of The Birth of The Hero, "P.7.") وهناك من
 يعترض على هذا التفسير فيربط جميع الأساطير فى أصولها
 بالقمر . وفكرة ارتباط الأساطير بالقمر قد أخذت فى الشيوع
 (Ibid.) . ولقد ربطت جميع الشعوب الأولية والمتحضرة فى
 العصور القديمة والوسطى وبعض الأمم فى العصر الحديث ميلاد
 أبطالها بالأسطورة "فتاريخ الميلاد والحياة المبكرة لهذه
 الشخصيات غلفت بوجه خاص بعلامح وهمية" (P.3.) . وكل ذلك
 لا ينطبق على شخصية البطل فى السيرة الشعبية العربية ولا على
 تفسير مولده عند عامة المتلقين للسيرة . وبطل السيرة الشعبية
 يرتبط بكثير من المعتقدات الشعبية ولكنه لم يصبح جزءا من عقيدة
 العامة ، هذا إذا استثنينا الأبطال الدينيين الذين يميزهم عامة
 الشعب عن غيرهم من الأبطال من أولياء وقديسين . وهؤلاء لا يمكن
 تفسير الأساطير المتعلقة بهم بالشمس أو القمر ، فقد حددت
 القوى الكونية المتصلة بالبطل سواء أكانت معه أو ضده ، فأصبح
 الخضر عليه السلام يقوم بدور من أهم الأدوار الكونية فى بعض
 السير ، كما استبدلت الآلهة اليونانية بقوى الجن . وتدخل السحر
 ليلعب دورا هاما فى أحداثها . ومع كل ذلك فلم يخرج البطل عن
 دائرة البشرية والتزيدات الأسطورية التى قبلها العامة ، هاجمها
 كثير من العقلانيين من علماء المسلمين . مما جعل علاقة البطل
 بالأسطورة لا تخرجه عن دائرة بشريته .

ولقد حدد لورد راجلان نمطاً للبطل يتمثل فى اثنين وعشرين
 عنصرا يرتبط البطل بها أو بمعظمها . وقد طبق هذا النمط على

واحد وعشرين بطلا من حضارات مختلفة ، وكان أكمل بطل انطبق عليه هذا النموذج هو أوديب وكان أقل الأبطال الذين طبق عليهم هذا النموذج قد تحقق فيه أحد عشر عنصرا . ولا يمكن تطبيق هذا النموذج كاملا على أى بطل من أبطال السيرة الشعبية العربية ، فهناك عناصر لا يقبلها المعتقد العام للإنسان العربى كأن يكون البطل من أم عذراء أو أن يعد ابنا للإله ، فهذا يخرج عن دائرة العقيدة الى الكفر كما انه فى البناء العام كثيرا ما لا تذكر وفاة البطل ، وبالتالي فالعنصر الخاص بوفاته من فوق كل غير متحقق وكذلك العنصر الخاص بوفاته . وهناك عنصر آخر يذكره راجلان وهو أن أبناءه لا يخلفونه ، وهذا متضاد مع واقع بطل السيرة الشعبية العربية ، فابناؤه فى حالة وفاته يحلون محله وفى حالة عدم وفاته يظهرون كمن يحتلون مكانته .

وهذه الاختلافات الكثيرة بين العناصر التى ذكرها راجلان فى نمودجه وبين بطل السيرة العربية ، لا تنفى أن هناك أوجه اتفاق جديرة بالتسجيل ؛ ومن أهمها الظروف الخاصة بميلاد البطل ، فهى ظروف غير عادية ، وهذا ينطبق على جميع أبطال السيرة العربية دون استثناء .

ولقد حاول شكرى عياد أن يطبق هذا النموذج على أبطال من العرب وغير العرب (انظر ، البطل ص ١٢٠ - ١٢٧) .

وعلى كل فإن هناك الكثير من التفسيرات الاجتماعية والنفسية والاسطورية التى تفسر البطل وميلاده . وأرى أن البطل الشعبى فى أدب أمة من الأمم هو نتاج لواقعها الاجتماعى ومن أهم عناصره السياسة ، وواقعها الثقافى ومن أهم عناصره الدين ، فالبطل هو نتاج لهذه الخلطة ممتزجة امتزاجا تاما . وليس البطل الشعبى فى السيرة الشعبية العربية بدعا بين أبطال السيرة فهو تعبير عن الجماعة التى أبدعتها . ولما كانت ظروف الأمم تختلف

من أمة لأخرى فإن الخلافات بين أبطال السير في الأمم المختلفة يرد إلى هذه الظروف الاجتماعية والثقافية . كما أن التشابه بين بنية هؤلاء الأبطال يرد إلى عناصر التشابه في البنية الاجتماعية والثقافية . وهذا يفسر لنا عناصر التشابه في بنية البطل بين الأمم المختلفة دون وجود أخذ مباشر أو غير مباشر .

وعلى كل فهذا البحث محاولة لاستقصاء لحظة ميلاد البطل في السيرة الشعبية العربية ، فهي لحظة هامة في حياته وحياة الجماعة التي ينتمي إليها ، فلحظة الميلاد تفصل ما بين مرحلتين من مراحل حياة البطل : مرحلة ما قبل ميلاده ، ومرحلة ما بعد ميلاده . ومرحلة ما قبل الميلاد تتجمع كلها لتتمركز في لحظة الميلاد لتصبح جميع أحداث السيرة قبل الميلاد (الإنارة) التي تتحرك لترسم صورة عالم البطل قبل مولده . وبعد الميلاد تأتي مرحلة جديدة يصبح فيها البطل مركز الأحداث . ويتطور الحدث العام للسيرة للامام ، وقد أخذ شكله الطبيعي مستقرا عند ذات البطل ، ليكون صانع الفعل منمى الأحداث . وفي لحظة ميلاد البطل يتأكد تفرده في عالمه وغالبا ما يكون هذا الميلاد غريبا على المحيطين به مصاحبا بمظاهر عجيبة .

وليس هناك سوى قلة من الأبطال لم تذكر السيرة شيئا عن ميلادهم ، وهؤلاء الأبطال هم الزير سالم والزناتي خليفة والظاهر بيبرس . وقد ظهر الزير سالم في السيرة وهو ابن العاشرة ، واهتمت السيرة بطفولته أكثر من اهتمامها بميلاده ، وربما يرجع هذا إلى أن السيرة المطبوعة هي بقية لسيرة أكبر ، أي أن السيرة التي لدينا مفتتة عن سيرة كانت أشمل منها .

وروايات السيرة الشفوية للزير سالم تهتم به منذ أن وقف ضد مؤامرات زوجة أخيه الجليلة وأهلها لمحاولة قتله . أما الزناتي خليفة فقد برز دوره منذ اللحظة التي هاجم فيها الأشراف وقتلهم

فى تونس ، لتبدأ رحلة جبر القريشى حاكم تونس السابق إلى بنى هلال ليساعده على الثأر من الزناتى خليفة . وهنا يبدأ دوره فى مواجهة أبى زيد الهلالى وجميع أبطال بنى هلال وحلفائهم .

ومع أن السيرة المروية التى بين أيدينا لا تهتم به قبل ذلك فهى تذكر أشياء عنه فى صلب مواجهته مع الهلالية ، تستعيد بها لحظة ميلاده الأولى بأنه ولد بضلع واحد كاللوح ، وأن جرحه يطيب على الندى . ويروى النادى عثمان عنه أنه :

ابو ضلع واحد كما اللوح

جرحه يطيب ع الندى

وهذه العبارة نفسها تدور عند عوض الله عبدالجليل وعند معظم رواة السيرة ، لكن كيف ولد وكيف كان حاله وحال أمه وإن ذكرت رواية أنها جنية غير أن هذا لا يهتم به الراوى كثيرا ، وربما كان لمولده فصل مستقل من فصول السيرة ، ولكن الروايات التى بين أيدينا لا تفرد له هذا الفصل ، هذا مع ضرورة التنبيه ألا يغيب عن ذهننا أننا نتعامل مع روايات الهلالية فى آخر مراحل تطورها .

أما الظاهر ببيبرس ، فلم يظهر فى السيرة إلا مع نهاية مرحلة طفولته وبداية مرحلة المراهقة ليكون ذلك ميلاداً جديداً يبدأ بذكر الملك الصالح أيوب له .

ويمكن تقسيم الأبطال ساعة مولدهم إلى ثلاثة أقسام :

قسم يولد بين أهله "الميلاد الغريب" دون أن ينزعج أهله به وبالمظاهر المحيطة به .

والثانى تحدث ولادته وما فيها من مظاهر غريبة أو ظروف محيطة به تؤدى إلى اغترابه أو غربته عن عالمه .

والثالث يولد فى الأصل غريباً بعيداً عن أهله .

يضم القسم الأول حمزة البهلوان ورجاله وكذلك الرناتى خليفة .

ولد الأمير حمزة والوزير بزرجمهر ينتظر ولادته خمسة عشر يوماً ، فوصل إلى مكة ليشهد ميلاد البطل فالتقى بأبيه وقال له : " امرأتك حامل قال : نعم وهى فى الشهر الأخير قال إنى بإلهامه تعالى أتيت لأخبرك أنها تأتى بولد ذكر كأنه القمر يرتفع مقامه ويعلو شأنه ويخرج أشجع من كل من حمل القنا ونقل الحسام وركب الجواد " (السيرة ص ٦) .

وانتظر خمسة عشر يوماً فولد حمزة وكان وليدا متميزاً بين الأطفال حتى إن والده : " تعجب من كبر جسمه وحسن طلعته وبهاء جبهته لأنه كان يديع الصورة جداً لا يوجد أجمل منه فى رجال زمانه ويعد أن قبله قدمه للوزير بزرجمهر فأخذه وأمعن النظر فى وجهه وجعل يسبح الله سبحانه وتعالى على ماخلق ويفعل وتأكد كل التأكيد سعادة ذاك الغلام وحسن استقباله وثبت عنده أنه هو الأسد الذى رآه سيده فى حلمه " . (ج ١ ، ص ٧) .

وكان من الأشياء الغريبة التى صاحبت ميلاده ؛ أنه فى نفس اليوم ولد ثمانمائة غلام وقد أمر بزرجمهر أن يربى كل غلام منهم على نفقة كسرى إكراماً لحمزة وليكونوا أعوانه فى مستقبل الأيام . ولقد تبع ولادة حمزة ولادة عمر فقد كان أبوه عبداً متزوجاً من جارية سوداء وكانت حاملاً فى الشهر السابع أى لم يتم حملها بعد ، فحين رأى ما يحدث للأطفال الذين يولدون مع حمزة من كرم والده ؛ لعب به الطمع فسأل زوجته أن تلد عساها تأتى بولد ذكر فيكون لهما الخير العظيم ولما تعجبت المرأة من مطلبه " أخذ ذقن الباب وضربها به على ظهرها وهى تصيح وهو يضربها ويعذبها حتى سقط الولد وإذا هو ذكر أسود " (ص ٨) . وترك زوجته مغمى عليها وذهب بالطفل إلى الأمير الذى علم بفعلته من أحد جيرانه . فغضب الأمير إبراهيم على الرجل لفعلته لكن الوزير نظر إلى الطفل وتمعن فيه وطلب أن يخلى سبيل الأب ليكتب المولود مع

رفاق حمزة ويكون اقربهم إليه .

ولاتذكر السيرة شيئاً غريباً عن مولد الزناتى خليفة ، غير أن بعض الروايات تروى أن أمة كانت جنية ولاتذكر أى رواية من الروايات تفصيلاً لذلك .

أما النوع الثانى من الميلاء الذى ارتبط بأعتراب صاحبه وغريته غربة غير بعيدة عن الأهل هو ميلاد عنتره وعبد الوهاب وكذلك كان ميلاد سيف بن ذى يزن وأمه ذات ألهمه . فلقد ولد عنتره أسود أدغم مثل الفيل أفضس المنخر واسع المناكب واسع المحاجر صنعه الملك الجليل معبس الوجه مقلل الشعر كبير الأشداق مكر المنافس متسع الظهر صلب الدغائم والعظام كبير الرأس (ج ١ ، ص ٧٧) .

كان يشبه أباه فى الخلقة وكان إذا منعه الرضاع همهم وصرخ ودمدم ويزوم كما تزوم السباع وتحمر عيناه حتى تصير كأنها الجمر إذا أضرم وكل يوم يلبسونه قمطاً جديداً لأنه يقطعه ولو كان من حديد ولما أن صار له من العمر عامان بالتمام صار يدرج ويلعب بين الخيام ويمسك الأوتاد ويقلعها فتقع البيوت على أصحابها ويعاقر مع الكلاب ومن أذنانها يمسخها ويخنق صفارها ويقتلها ويضرب الصبيان وإذا رأى ولداً صغيراً هبشه فى وجهه ورماه على ظهره وبلغ منه المراد وإن كان ولداً كبيراً يعاقر معه حتى يفتت منه الأكباد ولم يزل على ذلك الحال حتى خرج عن حد الرضاع" . (السيرة ص ٧٨) .

ولقد كان ميلاد ذات ألهمه يمثل أزمة لوالديها فلقد كان ميلادها يمثل خيبة أمل لهما فلم يودا أن يأتيا بأنثى ، كانا يرغبان فى ولد ذكر فولدت ذات ألهمه "جارية قوية السواعد والأطراف هائلة الاكتاف" . (السيرة ج ٧ مجلد ٢ ص ١١١) .

أصاب أمها الحزن الشديد وفكر والدها فى قتلها . تروى السيرة أنه :

”وقعت على أمها الخدمة والهموم والغوم ولقد فزعت من زوجها مظلوم فقال لها عسى أتخلى عن الإمارة بحسن عبارة وإن شئت قتلتها ونقول للعرب والسادات قد جاعنا ولدًا ومات“ . (السيرة)

فقد كان مظلوم على خلاف مع أخيه ظالم الذى قال له :
أعلم أن زوجتك وزوجتى حاملتين ، وأنت أمير وأنا أمير ، فاجعل الشرط بيننا ويشهد هؤلاء علينا من جابت زوجته ولداً ذكرًا كان الملك له والإمارة من دون الآخر ويكون الأمر والنهى فى العرب له“ . (ص ١١٠) .

ورضى مظلوم بقول ظالم فإنه إن أنجب كل منهما ولداً تصبح الإمارة مشتركة بينهما .

وكان ميلاد ابنهما أيضاً غريباً يمثل أزمة شديدة لهما ، ولقد ولد أسود اللون لأم وأب أبيضين ، أخفت أمه ”الوجع وتجادلت . وأعانها على الولادة صاحب الإرادة فولدت غلاماً عند السحر ولونه مثل الليل المتعكر ، أسود أغبر مقتول الذراعين أزج الحاجبين“ (السيرة ح ٨ مجلد ٢ ص ٢١٥) . تسبب هذا الميلاد الغريب فى اغتراب عبدالوهاب اغتراباً مرا .

وكان ميلاد أبى زيد مقارباً لمولده فهو أسود لأبوين أبيضين وإن كان من الطبيعى ألا تجعل رواية عرب الشوا السواد موضوعاً فى السيرة . فإن ولادة أبى زيد تتعدد بتعدد الرواة والروايات التى تتحدث عن هذا الميلاد ، ففى إحداها يشبه مولد عنترة وفى الأخرى يشبه ولادة عبد الوهاب ، ففى رواية عرب الشوا عنه أن والده ذهب فى اليوم السابع ليراه عند أمه فأمسك الطفل بيد والده وعجز الأب عن أن يخرجها ثانية وكانت خادمتة سعيدة تقتل سبعة أفيال وتطبخهم لتطعمهم للطفل حتى وصل إلى سن البلوغ . (النص ص ٢ Stories Aabu Zeid) .

أما فى سير بنى هلال المطبوعة فقد حضر الأمراء بعد سبعة أيام من مولده لينتقلوه فوجدوه أسود مثل العبيد . (السيرة ص ٢٧) . ويتشابه الروايات بعد ذلك فالحاج عبدالظاهر يروى أن من عادة السلاطين "يردوا طست من ذهب ينزلوا بيه المولود وسط الديوان عشان يشوفوا إيه يباركوا له .. لرزق بن نائل . ودوا الطست الذهب ده ينزلوا فيه المولود ، نزلو وسط العرب لقيوه عبد أسود يعنى غطيس عبد" .

ولا تختلف رواية عبدالسلام حامد عن ذلك إلا بزيادة أن الذى كشف وجه الغلام كان أخا رزق السلطان حسن ، ويضيف فيه على سواد الطفل أن "ضمايله ضمايل حر (ص ٥٨) . أى أن خلقته خلقه حر .

ورواية عوض الله عبدالجليل تصور لحظة كشف الطفل يوم السابع ، وهو اليوم الذى أجمعت السير على أنه يوم كشف القناع عن وجه الطفل . وفيه وجدوا الهلالى بلون العبيد ولكن بوجه جميل حدده بأنه أحلى من العنب والزبيب :

واندقت الأفراح فى ليلة السبوع
قربوا على البطل أبوزيد وكشفوا القلوع
لقيوا الهلالى أسمر ولا جا لباه
لقيوا الهلالى أسود بلون العبيد
لكن وجهه أحلى من العنب والزبيب"

ولقد ولد سيف وعلامة الملك على وجهه فإنه بعد أن اكتملت مدة حمل أمه قمرية "جاء الطلق بإنذن خالق الخلق فولدت غلاما ذكرا كأنه البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر على خده شامة كما كانت على خد أبيه لأن ملوك التبابعة تعرف بها من قديم الزمان" .

كانت هذه الشامة هي التي حدثت مصير الفلام في غربةٍ
واغتراب .



والنوع الثالث من الأبطال الذين ولدوا مغتربين الهجرس
والأيتام .

فلقد ولد الهجرس يتيماً غريباً بعيداً عن أهله فحين طردت
الجليلة بعد مقتل كليب كانت حاملاً بطفلها فسكنت عند أخيها
جساس وهناك أنجبت الهجرس ، فتربى دون أن يعرف حقيقته .

أما أيتام بنى هلال فقد ولد كثير منهم في المهجر بعيداً عن
أهلهم ، إذ أن دياباً قرر أن يقتل أطفال بنى هلال ويقر بطون
الحوامل حتى لا يأتين بفرسان يحاربونه ، فكان أن هربت الجازية
بالأطفال وبالحوامل من نساء قبيلتها وفي الطريق توقفت الناعسة
زوجة أبي زيد فقد جاءها الطلق فتركها الجارية في الطريق لتسرع
بإنقاذ من يسيرون معها من أطفال ونساء .

ويعد رحيلها ولدت الناعسة مخيم دون أن تعلم الجاز التي
وصلت إلى مستقرها ، وهناك ولدت النسوة مجموعة من أبطال بنى
هلال . تروى بعض الروايات أن علياً أبا القمصان بن أبي زيد
الهلالى وبريق ابن حسن السلطان قد ولدا في الغربة .

هذا الميلاد الغريب لم يأت عفوا وإنما وجه أحداث السيرة
وشخصياتها توجيهها فنياً ، فقد خلق صراعاً امتد في نفس البطل
وولد دافعا لتحقيق البطولة . وكثيراً ما أدى هذا الميلاد إلى الحكم
عليه بغربة أو اغتراب أو بهما معا .

الغربة

والاغتراب

منذ اللحظة الأولى لميلاد البطل وهو يعاني داخله من فقدان التوازن بينه وبين مجتمعه ، ولعل البطلين الوحيديين للذين لم يواجهوا هذه المعاناة هما حمزة البهلوان وفيروز شاه اللذين عاشا بين أحضان والديهما وأحضان مجتمعهما دون أن يعيشا صراعاً يذكر وهما يسيران نحو هدفهما . ومع ذلك فقد عاش حمزة وفيروز شاه غربة واغتراباً .

وما يقصده هذا البحث بالغربة هو البعد الجسدى للبطل عن عالمه ومجتمعه ، وقد يسمى باسم غير اسمه الحقيقى منتسباً لغير أبيه مبتعداً عن عالمه ابتعاداً كبيراً حتى أنه حين يلتقى به لا يتعرف أحدهما على الآخر ، وقد يقف كل منهما فى طرف معادٍ للآخر . وفى هذه الغربة يفقد البطل تناغمه مع العالم ومع نفسه ، فهو يعيش وجوداً زائفاً يبحث من خلاله عن وجوده الحقيقى ؛ أى عن إيقاف الغربة والعودة للاهل والوطن أى للتناغم مع الجماعة .

وما أقصده بالاغتراب هو الغربة الروحية والنفسية عن الجماعة . فقد يكون البطل بين الجماعة ولكنه ليس متسقاً معها ، فهو يقف معها فى مواجهة كما حدث لعنترة ، فالمجتمع يسلبه حقه فى الحياة ويقف ضد رغباته . ولا يمكن أن يتحقق له وجوده إلا برفض الاستلاب باسترداد حريته فى أن يكون ، وفى الغربة قهر وفى الاغتراب قهر . وهنا كانت مواجهة البطل للتصدى لكل ما يعوق وجوده واستلابه . وهى لحظة لا بد من مواجهتها قبل أن يحقق عبوره وتعرف الجماعة عليه واعترافها به .

وقد تكون الغربة بعداً اختيارياً عن الجماعة بمحض إرادة البطل ، كما حدث للمهلل ، أو أنه اغتراب يتم بإرادة الأم كما حدث للجروين كليب ولسيف بن ذى يزن . وقد يتم الإبعاد برغبة الأم والأب لأن المولود أنثى ، وقد يكون الإبعاد برغبة الأخ لأنه غير شقيق فقد يسلبه السلطة ويشاركه الميراث الذى ورثاه عن أبيهما

كما حدث لظالم بن الصحصاح . وقد يتسبب اللون فى غربة البطل واغترابه كما حدث لعنترة ولعبدالوهاب بن ذات الهمة ولابى زيد والهالى سلامة .

ورحلة غربة البطل فى طفولته تمثل مرحلة هامة من مراحل المواليد ومكوناً هاماً من أهم مكونات بطولته .

ويعد الزير أقدم أبطال السيرة الشعبية ، فقد جعلت السيرة المسماة باسمه تاريخه أسبق منهم جميعاً . نشأ الزير يتيماً بعد أن قتل التبع والده فتأمر عليه أبناء عمه ليقتلوه وهو فى العاشرة من عمره ، فقد "ضربوا تختاً من الرمل ليروا ما حل بهم ويجرى عليهم وما يصيبهم فأبان الرمل لهم أن الأمير (جساس) يقتل الأمير كليب ويظهر الزير ويأخذ ثأره ويقتل معهم كل أمير وجبار بعد وقائع تستحق الاعتبار" . (قصة الزير سالم . ص ٢٤) .

فالقدر هنا قد حدد المصير الذى سيواجهه البطل ، وأهل جساس يحاولون أن يقفوا ضد القدر بقتله . وهم لم يفكروا فى الوقوف ضد القدر بمنع جساس من قتل كليب وإنما وجهوا أختهم الجليلة لتدفع أخاه كلياً ليتخلص منه ، فأرسله أول مرة ليرعى النوق والجمال . وفى المرة الثانية أرسله أخوه إلى وادى العباس وهو مكان منقطع عن الناس كثير النمر والأسود وإذا بأسد يهاجم كلياً فيخرج له الزير وهو طفل فيطعن الأسد بخنجر فيقسمه قسمين ويخرج قلبه ويأكله ، وهنا صفا قلب كليب لأخيه ولكن الزوجة أخذت توغر صدره ليقته واستطاعت أن تقنعه أن يأخذه إلى بئر السباع ويدليه بحبل على نية أن ينشل الماء وحينئذ يقطع الحبل فيسقط فى البئر ويموت .

وهناك جفلت الخيل وهى تشرب من ماء البئر فسمعتها الزير وهو فى قاعه فصرخ على الخيول صرخة ارتجت لها الوديان واضطربت

لها الفرسان وجعلت منها الخيل وتأخرت وانفصل بعضها عن بعض
فندم كليب على ما فعل بأخيه فأخرجه من البئر وعاد به إلى الديار .

وقال كليب محددا لزوجه رايه في أخيه :

تقولى اقلته وارتاح منه

فقولك جهل ماهو قول عاقل

فإني لا أبيع به بالف مثلك

ولو مهما جرى منه فعليل (ص ٤٠)

ولكن جليله لا تياس فتطلب من زوجها كأسين من حليب السباع
لانه يقوى الاعصاب علاجاً لمرضها حتى تأتي بولد ذكر وذهب
الزير دون سيف وجاء بلدين السباع بعد قتل اللبوة وساق ابناهما
امامه . ثم وقف الزير امام أخيه مدركاً ما تريد زوجة أخيه وهو
يوجه إليه نصحاً :

فاهل العقل لا تسمع لانتى

لأن كلامها لاشك كاذب (ص ٤٢)

ولكن الجليلة لم تتوقف عن التآمر ضده ولم يتوقف أخوه عن
الاستماع إليها وكانت آخر مؤامراتها أن يطلب أخوه منه شربة من
بئر السباع لتشفيه من مرضه .

أخذ الزير حماراً وذهب إلى بئر السباع وكانت السباع في ذلك
الوقت سارحة في البرية سوى سبع واحد كان راقداً على حافة
البئر فرأى الزير أن من العار أن يقتله وهو نائم فترك حماره بجوار
البئر وأخذ القرب ونزل البئر فاستيقظ الأسد واكل الحمار وحين
خرج الزير من البئر لم يجد حماره ووجد الأسد فأصر على أن
يحمل الأسد القرب فضربه ضربة شديدة وأوقعه على الأرض
فنهض الأسد بعدها كالسكران فوضع القرب على ظهره وركبه
وساقه إلى أخيه وأمام أخيه قتل الأسد ثاراً لحماره . وعبر كليب
من ندمه وطلب منه أن يبقى معه ولكن غربة الزير تحولت في داخله

إلى اغتراب عن واقع أخيه فقد أصابه إحساس بالمرارة بما صنعت زوجة أخيه وتآلم من تقبل أخيه لكلامها ، فعبر عن هذا الحس المغترّب بأنه يريد أن ينفرد عن الناس ويكون وحده بعيداً عنهم . فاختار بمحض إرادته البعد لتكون غربة واغتراباً اختياريين وقد صمم على الارتحال "لأن العزلة أفضل للرجال الاحرار" . (ص ٦٦) .

وقد برر ذلك بأن له ثأراً على السباع فقد قتلوا حماره ولا بد من قتل جميع الاسود ، وذهب إلى بئر السباع ليقاتلها ويبنى من جماجمها قصراً ، ولقد طال عليه الزمان في هذه العزلة لتبنى في داخله القدرة على مواجهة المصير المكتوب عليه ؛ أن يقاتل في حرب للثأر أزيعين عاماً دون أن يمل أو يستسلم ، فقد بقى في عزلة لا يربطه بالعالم غير صديقه همام بن مرة وكانا يشربان المدام ويتناشدان الأشعار ، حتى أحس كليب بريح المأساة فذهب إلى أخيه في أول لقاء له منذ اغترابه ، وطلب منه أن يعود ليكون ملكاً على القبيلة ورفض الزير فأخبره بمخاوفه ومن توقعه للشر من جساس وأهله فضحك الزير ورفض أن يعود معه وطلب إليه أن ينظر إلى القصر الذي بناه بجماجم السباع . فإنه إذا كان قادراً أن يبنى قصراً من رموس السباع ثأراً لحماره فإنه أيضاً قادر " أن يبنى من رموس الاعادى مدائن و"ضياعا" و"حصونا" و"قلاعا" . (ص ٥٢) . وهنا طلب من أخيه أن يذهب دون أن يخشى شيئاً ، أما هو فإن مهمته لم تنته ثأراً لحماره فما زال هناك أسدان أو ثلاثة لم تقتل بعد . وبقي الزير في مكانه حتى علم بمقتل أخيه لتبدأ رحلة عذاب جديدة ورحلة ثأر طويلة لرجل تمكنت الغربة والاغتراب من نفسه .

عاد إلى انتمائه لقبيلته وليجعل اغترابه القديم ثأراً يعذب به قبيلة جساس وكل من يقف معهم وتدور رحى الحرب أربعين عاماً ولا يريد أن يهدأ حتى يفنى آل جساس جميعاً إلى أن دبر جساس

أن يلتقى الزير فى نزال مع ابن أخيه فإن قتل أحدهما بيد الآخر فإن المنتصر يعيش عذاباً لا ينتهى .

وإذا كانت غربة الزير اختيارية ، سببها إحساس بالاعتراب عن أخيه وكانت زوجة أخيه الجليلة وقومها السبب فى ذلك ، فإن هذه المرأة نفسها سببت غربة لطفل آخر هو الجرو ابن أخى الزير ، وكانت هذه الغربة سبباً فى اغترابه .

فإنها حين خرجت بعد مقتل زوجها إلى منازل أهلها كانت حاملاً فى ابنها مجرس الملقب بالجرو فربى مع أخواله وأبنائهم فهو ربيب قتلة أبيه وأعدائه وظل بينهم ينادى خاله جساسا بأبيه وينسب إلى خاله شاليش الذى قتله الزير .

ولكن خاله خاف منه عندما راه فى سن الخامسة عشرة من عمره "وقد برع واشتهر وعلى فرسان القبيلة افتخر" . (السيرة ص ١٣٣) .

فكان يبدو كالليث والشر طائر من عينيه ولا يقدر عليه أحد ، فالخال يدرك أنه قاتل أبيه وصانع يتمه وأن بينهما ثأراً لا يعرفه الغلام . واتفق ذات يوم أن تلاعب مع عجيب بن جساس بالجريدة فطعنه الجرو بالجريدة طعنة أسقطته عن ظهر الجواد إلى الأرض "فنهض غضباناً وشم الجرو وأهان بالكلام وقال له أهكذا تفعل يا ابن اللثام بأبناء السادات الكرام" . (ص ١٣٤) . ثم لمز عجيب الجرو فى نسبه وحين جاء عمه سلطان وقف معه وأهان الجرو وقد غضب وتآلم لما حدث له وأخذته نخوة الفارس فقرّر الرحيل عن هذا الوطن ليبدأ غربة جديدة يعرفها تختلف عن غربته التى لا يعرفها . فهو قد عاش غريباً دون أن يعرف واختار بعد هذه الحادثة البعد عن عالمه فخرج منه رافضاً له وقد تحقق له الاعتراب عن هذا العالم . وكان خروجه فى الليل خروج هارب تحت جنح الظلام ليس خوفاً من أحد ولكن عدم تقدير لأحد .

قطع الجرو مع أمه وعبيده وخدامه البرارى والأكام مسافة عشرة أيام ، وفى اليوم الحادى عشر التقى الجرو بشيخ كبير مع أبنائه العشرة يطلبون الصيد فى البر الأقر فكان هذا الشيخ هو خال والده منجد بن الأمير وائل فعاش معه دون أن يعرف العلاقة الوثيقة التى تربطه به فقد كتمت أمه عنه ذلك حقداً على عمه الزير فهو يتصور أنه قاتل أبيه وقد حدد فى حديثه مع الملك منجد أزمة اليتيم والغربة والحقد حتى إنه يتمنى أن يأخذ بثأره منه .
إنا اسمى اليتيم أيا مسمى

ولا اعرف أبى ولا خوالى

وإنى قد سألت أمى مراراً

فتسكت ولا ترد لى سؤالى

تقول أبوك شاليش بن مرة

قتله الزير فى يوم النزال

فاطلب من إله العرش ربى

لأخذ الثأر منه بالقتل - ص ١٣٧

وقد ساند الجرو خال والده فى حربه مع أحد ملوك العربان وانتصر عليه بفضل الجرو مما رفع مكانته وأقامه ملكاً على تلك الديار . وهنا احتاجه أخواله طامعين أن يقوم بقتل عمه الزير فعاد إليهم ليبدأ حرباً مع أمه تكون هذه الحرب بداية جديدة له .

وإذا كانت هذه الأم قد سببت لابنها غريته واغترابه ، فإن أم سيف قد تسببت أيضاً فى غريته واغترابه مع الفارق بين موقف المراتين من الابن والهدف من تغريبه .

لقد قصدت الملكة قمرية أن تتخلص من ابنها سيف لتحرمه من ملكه ، فلقد كانت هذه المرأة دسيسة على والده حتى وهى حامل بابنه سيف وحين ولدته "ورآته على هذا الحسن والجمال أخذتها

الغيرة الشديدة وقالت فى نفسها إن قعد هذا الغلام وعاش أخذ منى المملكة واحتوى على ما تحت يدى من المال والشجعان والابطال" . (السيرة ، حـ ١ ، ص ٢٢)

وهنا أخذت تستعين بـ"زحل" وتدعوه أن يميت الطفل وقد امتلأ قلبها قسوة وتنكرت لامومتها وبدأت لا تشبعه من الرضاع ولا تهتم بفدائه حتى يموت . ولكن أمر الله أراد غير ما تريد .. "فصار الغلام كل يوم فى زيادة وكمال وحسن وجمال ولم تعلم الملعونة أن الله خلاف الظنون وهو يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير الذى خلق آدم من طين وأولاده من ماء مهين" . ص ٢٦ .

ولما كمل الطفل أربعين يوماً وراه أهل مملكته وعبروا له عن ولائهم له ازداد الحقد فى قلبها وقررت التخلص منه بأن تقتله وأخذت قطعة سلاح بيدها وقد منع الله من قلبها الفزع والخوف وأمسكت رأسه بيدها الشمال وأرادت أن تنزع الرأس عن الجسد "وإذا يدها قد ييست بأمر الله تعالى لأمر يريده الله وهو طول عمره ويقاؤه" (ص ٢٧) . وهنا دخلت الداية وافقت معها أن ترسله مع أحد الخدم ليرميه "فى البرارى والآكام ويكون بعيدا عن الأوطان ، فإن عاش عاش لأجله ، وإن مات مات لأجله" . (ص ٢٧ - ٢٨)

وحين أقبل الليل بالظلام طلبتا البرارى والتلال والسهول والجبال مدة أربعة أيام وليال . وفى اليوم الخامس أقبلتا على واد فسيح ، فوجدت الام شجرة شوك ، وقد نزع الله الشفقة منها والرافة . فأقبلت نحو الشجرة ووضعت الطفل ، وقد نصحتها الداية أن تضع عقدا من الجواهر فى رقبته وكيسا به ألف دينار تحت رأسه وبعد أن تركته أمه وعادت إلى ديارها مرت عليه ملكة من ملوك الجان وكان معها ابنتها الوحيدة التى رزقت بها بعد مدة طويلة من التوقف عن الاتجلب واستمتها عاقصة ، وقد أخذت ابنتها وسارت

لبعض أشغالها إلى أن جاءت البرارى فجلست تحت شجرة الشوك وأرادت أن تنام هناك وإذا بها تسمع صوت ذلك الطفل الصغير ساعة الهجير فأتت إليه وحنت عليه وأرضعته من لبنها فشرب حتى اكتفى ، ثم تركته وأخذت ابنتها وذهبت إلى منازلها فى جبل القمر ومنابع النيل . وأتت إلى الموضع الذى وضع فيه المولود سيف غزالة والدة حديثا أخذ الصياد أولادها ، وحين عادت كان الصياد يترقبها فجرت منه فوجد الغلام ، فأخذه وذهب إلى بيته ليبدأ الوليد غربته بعيدا عن عالمه .

أخذ الصياد العقد والمال ، وحمل الطفل إلى الملك افراح ، فلما رآه القى الله محبة الغلام فى قلبه ، وهنا يظهر سقرديون وزير الملك سيف أرعد عدوين الأب ، فيخاف من ترك الغلام حيا ، لأنه هو الذى سينفذ دعوة نوح فى أبناء حام وكان من رأيه " أن الصواب أنك تقتله وعلى الأرض تجندله وهذا ما عندى من الرأى السديد والأمر المفيد لأنى أخاف أيها الملك الهمام من تربية هذا الغلام فيكون على يديه إنفاذ دعوة نوح عليه السلام فيبديل من وجودنا إلى إعدام ويسبقنا كنوس الحمام لأنه مستجاب الدعوة بين الأنام" . (ص ٣١)

وصادف فى تلك الساعة أن أنجبت الملكة دهشانة زوجة الملك بنتاً ذات حسن وجمال كأنها بدر التمام على خدها فال مثل الذى على خد الغلام . وجيء بالفتاة ووضعت بجوار الفتى فلما رأى الوزير سقرديون الشامتين على الخدين "لطم على رأسه ومزق جميع ملابسه وثيابه ورمى عمامته على الأرض واختببط بعضه ببعض وفتق لحيته ورمى نفسه إلى الأرض وشخر ونخر وسب الشمس والقمر وصار يخبط رأسه حتى تتعتعت أضراسه وهو يصيح بأعلى صوته ويقول يالزحل وحق زحل فى علاه والنجم وما سواه فإنى خائف من هاتين الشامتين واجتماعهما مع بعضهما"

(ص ٣٥) . ثم خير سقرديون الملك بأن يقتل سيف أو يقتل ابنته ، فرفض الملك وقرر أن يفرق بينهما فى المنازل والأوطان حتى لا يجتمعا وأفرد لسيف مراضع وودادات يخدمونه صباحا ومساء . وهنا جاءت ملكة الجن وطلبت من الحاضنة أن تعطىها الغلام ليبقى عندها وتحضنه ثلاث سنوات فخافت الجارية وتركتها لها .

أخذت ملكة الجن سيف وأرضعته مع ابنتها عاقصة لتكون غربة سيف الأولى غربة كونية فى عالم ما وراء الطبيعة ليدرب دربة غير عادية فى مواجهة عالمه وقد قضى تربيته الأولى فى عالم الجن ثلاث سنوات لتعود به الجنية إلى الملك أفراح ، أى إلى عالم الإنس بعد أن اكتسب أما وأختا من عالم ما وراء الطبيعة .

كبر الفتى حتى صار له من العمر سبع سنوات فى حجر الملك أفراح واشتاق لركوب الخيل فاجأوا له بمهر صغير فلم يعجبه ولم يرض ركوبه فاتوا له بجواد أدهم وطلب رماً وسيفاً طويلاً ونزل الميدان يلعب الشجعان وينكس الفرسان فاشتهر بالفروسية . علم سقرديون بوجوده فهدد الملك بحرب طويلة إن أبقى هذا الغلام عدوهم فى أرضه فأرسله إلى حصن بعيد وادعى أن الجنية أخذته .

ذهب سيف إلى منفاه ؛ حصن عظمم خراق الشجر ليعيش غربة جديدة ، غربة يعرفها تخلق فى ذاته اغتراباً عن العالم الذى يعيش فيه وليدرب ليكون الفارس الذى يتحمل مسئولية "ماهو مكتوب عليه" فقد أخذ عظمم يعلمه كيف يخرق الشجر فكان يركب على ظهر جواده ويحمل على الشجرة ويطعن بالقنطارية فيخرقها ويميل عليها فيميزقها ولهذا لقب خراق الشجر . وأخذ يعلم سيف كيف يخرق الشجر وجاء إلى شجرة مقدارها عشرة أشجار فطلب منه أن يطعن الشجرة بكل قوته بالقنطارية فنفذت منها ،

وجاءت سور الحصن وخرجت منه إلى الفلا وهي كأنها حجر منجنيق قد وقع من حجر السور . ولما نظر عظمم إلى صنيع سيف "أخذته الحيرة والاندھال وتعجب من هذه الأعمال فرمى تاجه من على رأسه وقلع نعليه من رجله واطم على رأسه حتى تقععت جملة أضراسه واطم بيده على خديه حتى برز الدم من عينيه" (ص ٤١) . فقد أدرك أن في يد هذا الغلام تحقيق دعوة نوح عليه السلام . فقال له وقد امتلأ بالغضب الشديد : " ما أدراك لعلك تكون أنت الذى على يدك إنفاذ دعوة نوح عليه السلام ، وأعلم يا غلام أن هذه الأرض ما هي أرضك ولا أرض أبيك ولا جدوك من قبلك يا غلام ، بل هي أرضنا وبلادنا من قديم الأيام من مدة جدنا حام ، وأما أنت فأخرج من أرضنا يا ابن اللثام وفي أى وقت وجدناك أو أدركناك فيه قتلناك" (ص ٤١ - ٤٢) . فهو يعيش فى أرض غير مرغوب فيه فيها ، وكلما نزل مكاناً ووجه بالنبوة فيطارده أهل هذه الأرض فسار مدة يومين يبحث لنفسه عن مستقر وهو يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار بالليل والنهار متألماً لنفسه وما حدث له من تحول بعد العز والدلال إلى حال التشرد فى الآفاق حتى أشرف على غار فقصدته فسمع صوت إنسان فتقدم نحو الصوت فوجد رجلاً أعجمياً يسمى عبد لهب شنيع المنظر يطير من عينيه الشرر ويعد أن تعارفاً ذكر له الرجل أنه ينتظر فى هذا الغار منذ سنين ففيه "كنز عليه خدام من الجان وفيه سوط مطلسم وعليه الخدم فى ذلك البر والأكام ولا يستطيع أحد أن يأخذ ذلك السوط من دون الملا إلا غلام يقال له وحش الفلا غريب يأتى من ذلك البر والخلا" (ص ٤٢) .

حصل سيف على السوط المطلسم وخرج ليجد إنسية خطفها جنى ليتزوجها فأنقذها سيف وتكشف له أنها شامة بنت الملك أفراح فأحبها وحين خطبها من أبيها فرح الأب إلا أن سقرديون خاف أن تقترب الشامتان ؛ شامة سيف مع شامة شامة ؛ ففي

اقتراهما خراب بلاد الاحباش . لذا طلب منه سفريون راس سعدون الزنجى مهرا لها متصوراً أن سعدون سيقتل سيقاً ولكنه عاد بسعدون الزنجى نفسه . لذا شعر بخيبة أمل فطلب المطلب المستحيل فى نظره ؛ وهو أن يأتى بكتاب تاريخ النيل ، لتبدأ رحلة البطل فى محاولة ليقضى على اغترابه وليحقق انتماءه فى العالم الذى ألقته أمه فيه منذ أن رمته فى الفلاة .



ولم يكن حظ ذات الهمة بخير من حظ سيف فقد ألقى بها والدها فى رحلة الغربة والاغتراب واشتركت أمها معه فهى لم تحاول أن تقف دون إبعادها ، فقد كان والد ذات الهمة يتمناها غلاماً وعندما تكشف أنها بنت وقعت عليها "الخدمة والهموم وفكر والدها فى قتلها فإن بقاها معناه أن يسلم بإمارة العرب لابن أخيه ظالم وقد تدخلت الداية وكان رأيها أن يعطوها لبعض إمائهم وأن يهبوها شيئاً من أموالهم حتى تربيها لهم وسما كلامها وأعطياها لامة تسمى سعدى لترضعها مع ابنها مرزوق وأعلنت الداية بعد ذلك أن زوجة مظلوم أنجبت ولداً ومات ودفن يوم ميلاده .

كانت الداية ترضع البنت فى النهار "وفى المساء تأتى بها لوالدتها أى أنها تغترب عن بيتها نهاراً لتعود إليه ليلاً والاب لا يقربها ولا يشتهى أن يراها إلى "أن صار لها من العمر خمس سنين فى قدر من لها عشر سنين وقد أعطيت من الذكاء والافضال مايزيد عن الحسن والجمال فسبحان من خلقها على هذا المثال" (ح ٧ مجلد ٢ ص ١١٢) . وحين بلغت السادسة من عمرها ذهب مظلوم وأخوه مع بنى كلاب لقتال قبيلة طيء وفى غيبتهم أغارت طيء على مضاربهم وسيوا سعدى وابنها مرزوق وذات الهمة ووقعوا فى قسم أمير يقال له الحارث بن مشير وهو يظن أن ذات الهمة ابنة سعدى وسار بهم الأمير إلى أرضه لتبدأ ذات الهمة غربة جديدة قطع فيها ذلك الخيط "ربيع الذى كان يربطها بوالدتها

والدها لتعيش أمة في عالمها الجديد . وأخذت ترعى الجمال والخيل .

كانت فاطمة تدرك أن هذا ليس عالمها وأنها غريبة فيه وعجزت عن التواؤم مع هذا العالم ، فلم يكن لها صبر على الذل وكانت تشد البرقع على وجهها بخلاف زى الإماماء فما كانت الشمس تراها فهي مازالت مرتبطة بعالمها الأول عالم مظلوم الذى ظلم وجودها كامرأة من عالم بنى كلاب ، تنتظر منهم العودة ليخلصوها من العبودية ، وطالت المدة ولم يأت بنو كلاب فكانت تخلو لنفسها وتتعلم الكرم والفرو والنزال والطراد وتقطع ورق الشجر والقصب وتتعلم المرافعة والممانعة" (ص ١١٥) . لم تتوقف ذات الهمة عند تدريباتها الجسدية وإنما قامت بتدريبات روحية أخرى فقد قامت لحب ربها وألقت بالدنيا وراء ظهرها وصارت تصوم نهارها ، كل ذلك وقد اكتمل لها من العمر سبع سنين .

وقد راودها فارس من فرسان طيء يقال له فريج بن قابوس الطائى ، وكان فارساً شجاعاً لا يبالي بالرجال ولا كثرة الأبطال ، فاشتكت لسيدها الذى اشتكى لملكهم ولكن الفارس لم يتوقف عن مراودتها عن نفسها وجرى خلفها فوق فرسه فى عرض البرية ، فهربت منه وهو يلاحقها حتى انتهى الأمر بأن قتلته واضطر سيدها أن يدفع دية القتيل ألف بغير وعشرين رأساً من الخيل وعشرة دروع وعشرة سيوف وعشرة رماح ولم يبق لهذا السيد ساعة ولا راعية . أيقن القوم بعد ذلك أن السيد سيقتلها ، وقد دخل عليها وهى مقيدة بالسلاسل وبيده شوط من جلد بغير مدبوغ وهو مملوء غيظاً فقد أصابه الهم والفقر وهم أن يضربها فسالته أن يعطيها جواداً وسيفاً ورمحاً وأنها ستعوضه عما خسر . خرجت وقد تبعها عبدها مرزوق وسارت سبعة أيام وفى اليوم الثامن استولت على أموال ضرغام السعدى وعادت بها إلى سيدها ، وأخذت تقوم بقطع الطريق ، حتى جاءت فى طريقها 'ربعة آلاف ناقة من نوق والدها ؛

حمر الوير كثيرة اللحم . موسوقة الشحم فاستولت عليها ذات الهمة
لتلتقى مع أبيها وجهاً لوجه وتبدأ رحلة جديدة من رحلات حياتها .



وتختلف غربة مظلوم واغترابه عن بقية أبطال السير الشعبية
فقد كان الأخ هو صانع غربة واغتراب البطل . فلقد مات والدهما
البطل الصحصاح وهو فى ريعان شبابه ، مخلفاً ابنين الأكبر ظالم
والأصغر مظلوم ، ورعى مظلوم عند أهل أمه فقد جلس ظالم مكان
أبيه الصحصاح بعد وفاته ، وقد اجتمعت إليه العربان من كل مكان
ليعزوه فى أبيه ويهنوه بما هو فيه . كان ظالم جباراً من الجبابرة
تلوح علامات الشجاعة بين عينيه ظاهرة والشرر يقدح منهما وهيئته
تقع فى قلب كل من ينظر إليه . جلس ظالم فى عز وشأن يحكم بين
سادات القبائل والعربان وكان جباراً من الجبابرة وعندما علم أنها
ستحضر ابنها إليه أنكره وأنكر أن يكون أخوه فهو لم ينبج سواء
ولم يتزوج غير أمه وتوعد من يشهد بغير ذلك أن يضرب رقبتة
وعندما علم أن الأم ستأتى بابنها إليه غضب وطار الشرر من عينيه
لأنها تطالبه بإرث أخيه وقد ورث أموالاً تعجز الجمال عن حملها
وأعلن أنها إن أتت به سيهتك سترها وسيذبحه على صدرها .

وعندما بلغ الخبر بنى الوحيد خافوا وتفرقوا عن أم مظلوم فقل
صبرها وخافت من ظالم واحتسبت أمرها لله .

وأخذت تربي ابنها فى اليتيم بعيداً عن قومه ولا تنقطع عن البكاء
ليل نهار ، وعندما كتب الخليفة لظالم بمنشور الولاية والامارة على
العرب ذهب أهلها بنو الوحيد لتهنئته وقد أشار عليها مشايخ الحلة
أن تذهب إليه وتهنيه لعله يمن على أخيه ويعطيه حقه فلما دخلت
على ظالم بأخيه وعمره خمس سنوات ووضعت أمامه وسالته بحق
النبي المنتسب ألا يقطع ما بينهما من النسب متبعاً فى ذلك السنة
والإجماع والشريعة .

كان رد ظالم قاسيا عليها وعلى طفلها وسلك سلوكاً لا يليق بأمر
فى مثل موقعه فقد قامت عيناه فى رأسه ولطم الصبى على رأسه
حتى كاد يطير استنانه . خرجت المرأة باكية من عنده وقد حدد
موقفه بإعلانه رفض الاعتراف بأخيه حتى لا يقاسمه فى حقه :

الا يلجئة الصياح عودى بخيبة

ولا تعلمى مظلوم فى مل ظالم

فهيهات اين الاعتراف بمثله

يرجى رجاء ان يكون مقاسم

(ذات الهمة ، ج ٧ مجلد ٢ ص ١٣٠)

ثم حاول ظالم أن يطلبها ليقتلها فمنعه مشايخ بنى كلاب وقد
رقت قلوبهم للصغير . عادت الأم إلى أهلها لتربى ابنها بعيداً عن
قومه ليقضى طفولته غريباً ومفترباً ضائع الحق منكر النسب والأم
تحاول أن تنشئه تنشئة طيبة إلى أن مشى فنبغ فى الفعل والعقل
والبلاغة والملاحة والشارة والفروسية والنجدة والبأس والقوة وهى
الصفات التى يتحلى بها الأبطال فكان لا يزل عن جواده ليلاً أو
نهاراً ، ولكن ذلك لم يزل غريبته فالطريق طويل للعودة إلى ديار أبيه
إذ لابد من المواجهة .



وكما عانى مظلوم من الغربة والاعتراب ومن قبله المهمل
وهجرس وسيف ، فقد عانى أبطال ثلاثة الغربة والاعتراب بعامل
مشترك جمعهم معاً : عترة وعبدالوهاب وأبو زيد الهلالي .

كان هذا العامل المشترك هو اللون فالأبطال الثلاثة هم أغربة
السير الشعبية العربية لكل واحد منهم قصة تختلف عن قصة
الأخر تفسر حقيقة ألوانهم . وقد حدد اللون عقدة البطل وعقدة
الأحداث ووجه اغتراب البطل عن جصاصته وجمل طريقه وعراً بينها .

كان لكل واحد من هذه الأعربة (الأبطال) سبب مختلف في سواد لونه ورحلة اغتراب مختلفة أيضاً . فلقد كان عنترة من الطبيعي أن يكون أسود اللون فأمه أميرة حبشية اختطفت وسبيت ثم وقعت في يد الفرقة الزائفة من بني عبس وكانوا عشرة أعضاء يمتلكون أقوى فرسان عبس وكان شداد واحداً منهم وكانوا كثيراً ما يقومون بالغزو والإغارة ونهب أموال العربان .

وفي إحدى غاراتهم وقعت زبيبة وابناها جرير وشيبيوب وقد راقت في عيني شداد فأخذها بعيداً عن أنظار أصحابه وحاول أن يغشاهما فرفضت لأنها كما يقول الراوي من بيت كبير فقال لها : "ويلك أنت بقيت زوجتي وأولادك عندي وأنا أكرمك طاقتي" (ص ٧٦) . وهنا استسلمت له ، وحين عاد أصحابه وحاولوا أن يفعلوا مثله رفضت الأمة رفضاً قاطعاً ، وهربت من بين أيديهم وغارت نفس الأمير شداد عليها ، وردهم عنها ، وقد ذكرت السيرة أنه : "قال لهم إنني جعلتها في عصمتي ورضيت أن أخذها في قسمتي فرفضوا بذلك الحال ثم عادوا عنها راجعين ومما أملوه خائفين ولم ينالوا منها أربا سوى الأمير شداد" (ص ٧٦) .

كانت محاولتهم نيلها ورفضها لهم ووقوف شداد منهم هذا الموقف شهادة بأن ما في بطنها إنما هو ابن شداد . ولم ينكر شداد بنوته لابنه ، ولكنه حين كبر وأصبح ابن أربع سنوات كان قوياً يقارب أبناء العشرين ، ولما سمع به فرسان هذه الفرقة تمنى كل واحد منهم أن يكون هذا الطفل له فاختمصوا شداداً بأنهم حين اقتسموا غنيمتهم كان لهذه المرأة ابنان ولم يدخل هذا الطفل في القسمة فاختلفوا وكاد يقع بينهم ضرب الحسام .

فذهبوا إلى الملك زهير لينظر ظلامتهم . نظر الملك إلى صورة الطفل فتعجب غاية العجب منه ومن قوته وأدرك أنه سيكون أشجع الشجعان . ولم يحكم الملك زهير في القضية وإنما وجههم إلى

القاضى بشارة ابن قطبة الفزارى الذى حكم وحين تأكد لديه أن أحداً لم ينل منها سوى شداد "فهو الذى افترسها فقال لهم : إذا كانت هذه شهادتكم على أنفسكم وهى بإرادتكم وما أرى أحداً منكم بمجدها فكيف أخذ ولد الرجل وأعطيه لكم . وإنى قد لاح لى وجه آخر وهو أن هذا الغلام أشبه الخلق بشداد وأنا قد حكمت أن يكون له من جملة الاولاد فكفوا عن الشر والعناد وارجعوا إلى طريق الصلح والرشاد" (ص ٨٠) . وقد تصالح الجميع ورضوا حكم قاضيههم ليعيش عنقرة ابناً بالدم لشداد لا يعترف ببنوته اعترافاً اجتماعياً وليعيش على هامش القبيلة يغترب يومياً فى رحلته راعياً لإبل سيده الذى لم يناده بأبى وإنما كان يناديه بسيدى .

كانت رحلة الرعى غريبة . فالفتى ينمو مختلفاً متميزاً عن الآخرين حتى إن والده وأعمامه خافوا أن يسبب لهم مشكلات مع الأحرار ففكروا فى قتله إلا أن الأب تراجع فى اللحظة الأخيرة وقد رأى ابنه يقتل أسداً وبعد ذلك أتى شجرة يستظل بظلها وقد جعل من رأس الأسد وسادة . ولم يغير ذلك من الوضع الاجتماعى لعنقره فهو مازال عبداً .

ويذهب الأحرار للغزو ويبقى عنقرة فإذا بالأعداء يأتون الدور يحاولون استرقاق فتيات القبيلة ، فيحمى الفتيات وينقذ شرف القبيلة ، وحين يقع فى الحب لا يحترم أحد قلبه لأنه مختلط الدم غير معترف به . والقبيلة لا تعترف بأن له قلباً مثل الأحرار ولا تعترف بأن قوته الجسدية لها ما يقابلها فى قلبه من حب شديد لفتاة الحى عبلة ، وكان يقابل ذلك الألم الشديد من قبيلته بالتمرد على عالمها الذى يضعه فى قاع مجتمع القبيلة ، فهو حين يعود إلى مضاربها يظل غريباً ومغترباً عنها .

تحتاج إليه القبيلة ليحميها فيعطيهما الحماية ويحتاج إليها لتمنحه الحب والانتماء فترفض القبيلة عليه ذلك وتتركه يعيش بينها

غريباً ومفترباً . ويزداد ألم الإحساس بالاغتراب والقبيلة لا تحرك ساكناً لتزليل اغترابه .

تختلف أزمة عبد الوهاب عن أزمة عنتره اختلافاً كبيراً . فلقد ولد عبد الوهاب بن ذات الهمة من ابن عمها الحارث بن ظالم مختلف اللون عن امه وابيه . إذ جاء أسود اللون .

لقد أحب الحارث بن ظالم ابنة عمه ذات الهمة حباً قوياً وحاول جاهداً أن يتزوجها ، وفي مجلس الخليفة المنصور وفي وجود ذات الهمة عرض أمره على الخليفة فكانت ترفض وقد أخبرت الخليفة أنها لا تحب قرب الرجال وقد بغض الله إليها أخبية النساء وربات الجمال وقد أحببت القتال والتقلد بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولا تعد نفسها من جملة النسوان .

وقد قالت صراحة للخليفة "إن سيفي حجلي والغبار كحلي والحصان أهلي فما الذي أصنع يا أمير المؤمنين بالحارث وبغيره من العالمين" (السيرة ج ٧ مجلد ٢ ص ١٧٩) . ولم يقنع قولها الخليفة ، ففي رايه انه ليس للمرأة إلا بعلها حتى يستترها عن يراها ، ووجه الخليفة لها أمراً أن ترجع إلى ما يأمرها به إمامها . "فأمره فرض الله على الأمة فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ثم قال المنصور للقاضي ابن حفصه السلمي : "أيها القاضي اعقد عقد النكاح بابنة عمه ذات الهمة فاعزم وتوكل فأجابه بالسمع والطاعة" (ص ١٨٠) . وتم العقد والأميرة ذات الهمة دموعها كوابل المطر إذا انهمل وظهر واضحاً أن المنصور قد أكرهها على عقد النكاح ، لذا لم تمكن ذات الهمة الحارث من نفسها وفي قلبه منها نار لا تنطفئ ولا يشفى ولا يستطيع أن يقترب منها فوجهه أحد أبناء بني سليم إلى عقبه بن مصعب ليجد له حيلة ليدخل عليها فأعطاه دواء من بنج طيار إقريطش مطحون بالكبريت الأزرق ، لوطعم حبة منه

لجمل لغاب عن الوجود جميعه ، ولم يكن هناك شخص يستطيع أن يقدم لها هذا البنج سوى أخيها فى الرضاع مرزوق الذى تربى معها على ثدى واحد . وقد استطاع الحارث أن يقنعه أن يعاونه فى أن يقضى منها وطراً ، فهى زوجته على سنة الله ورسوله ، فأخذ مرزوق منه الدواء ، ولما عادت ذات الهمة من تجوالها فى البر تجرى خلف الوحش فى الهجير قدم لها مرزوق الشراب ، وقد وضع البنج فيه ، وما إن استقر الشراب فى جوفها حتى مالت على فراشها لا تعلم الليل من النهار وهنا جاء الحارث ليقضى منها وطراً كان ذلك كما يقول الراوى : "بقدره الله لما يريد من إظهار ترس قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الأنجاب وهو الليث المهاب والأسد الوثاب والبطل المهاب الأمير عبدالوهاب" (ص ٢١٤) . ولقد بدأت رحلة "عبدالوهاب مع الغربية منذ مولده ، فإن ذلك الميلاد الغريب أدى إلى تعجب النسوة فقد وقعت على النسوة المصاحبات لها فى الولادة الخدمة فالولد أسود والام والأب أبيضان ، وكانت ذات الهمة قوية قادرة مؤمنة واجهت الموقف بثبات وكان رأيها أن "هذا الولد صنعة الملك القادر الذى يصنع الأكابر ويرفع الأصاغر وهو الأول والآخر يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويخرج الأبيض من الأسود ويخرج الأسود من الأبيض ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد" (ج ٨ مجلد ٢ ص ٢١٦) .

وقد طلبت منها بعض النسوة أن تقطع سرة الغلام وتقتله وتخفى أمره لئلا يبقى معيرة وتفضح بين الأعداء . ورفضت ذات الهمة أن تقتل ابنها أو أن تترك أحداً من النسوة يقتلنه وودعته ذات الهمة وقد سلمته إلى حاضنة تربيته وشاع بين الناس أنها انجبت وداً ومات .

وقد عاش عبدالوهاب غريباً ينشأ وأمره مكتوم غير معلوم إلى أن صار له من العمر ست سنين وهو يظن أن أمه هى التى تربيته حتى طلب فرساً فلجأت الحاضنة إلى ذات الهمة التى

التقت بابنها لأول مرة فلما رآته حنت إليه وأخذت الحاضنة تحضره ليلاً وتأخذه نهاراً . ولكن الأمر افتضح فقد أخبرت جارية لها عبداً من عبيد الحارث بالغلام المخفى أمره لتبدأ رحلة طويلة من رحلات اغتراب الغلام ، إذ كان عليه أن يواجه والده الحارث وجده ظالماً وكل من وقف معهما إذ إن ابناً أسود يولد لهما يعد أمراً عجبياً حقاً .

ولقد كان موقف الغلام أبوزيد مختلفاً عن عبدالوهاب . فأمه لم تكن تستطيع أن تخفيه عن الناس ، فهي زوجة غريبة لأمير من أمراء بني هلال وتقف الروايات من سواده موقفين : روايات تفسر سواده تفسيراً مقبولاً بمنطق الجمهور الشعبي وبمنطق الدراسات العلمية الحديثة ، وروايات تفسرها تفسيراً مقبولاً للجمهور ولكنه تفسير كوني . وقد تجاوزت رواية عرب الشوا عن سواد أبي زيد ، فهو ليس موضوعاً من موضوعات السيرة وهذا متسق مع الرواة ، فأبو زيد الهلالي هناك هو فعلاً عربي ولكنه من العرب الأفارقة ، والعرب الأفارقة من منطقة جنوب الصحراء الكبرى قد اكتسبوا السواد ، ومن الصعب فصل الوانهم عن غيرهم من الأفارقة ، وقد حدث تحول درامي من مشكلة سواد الطفل إلى مشكلة قدرة الطفل الفائقة حتى خاف منه الأب ، فهو يخشى أن يكون ابنه سعلالة من السعالي أي غولاً يأكل لحوم البشر ، فيأكله ويأكل أبناءه حين يكبر ، لذا طلب من بني هلال أن يغادروا المكان الذي يعيشون فيه ليتركوا الغلام مع أمه وخادمتها ، فالغربة هنا قد تمت للطفل دون أن يغادر مكانه ، تمت بحركة القبيلة للهجرة وترك الغلام مغترباً بلا أهل .

وتقوم سيرة بني هلال المطبوعة بتفسير سواد لون أبي زيد

تفسيرا علميا يركز على عوامل الوراثة ، فقد كانت جدة خضرة
لامها سوداء ، كما كان جدها كذلك ، وقد أوصى الشريف
قرضة رزقا أنه إذا جاءها ابن أسمر لا يظن فيها السوء :

تري ستها سودا كلن لونها
وجدها كان اسود كالعبيد (ص ٢٢)

وحين جاء أبوزيد أسود اللون بلون العبيد نسيت هذه
الكلمات في أمرها وأمره . أما الروايات الشفهية فقد قامت
بتفسير سواد لون أبي زيد تفسيراً كونياً ، فقد جاء أسود
اللون لأن دعوة أمه قد استجيبت . وحين اتضح لرجال القبيلة
أنه أسود واجهوا الموقف بقوة ، فتذكر رواية عبدالرحمن ثيفة
أن الأمير رزقا لم يكن موجوداً ، وأنه طلب من سلطان بني
هلال أن يطردها ويرسلها إلى أهلها .
وفى السيرة المطبوعة أن سرحان مزح معه :

يامير رزقي ليس هذا خليفتك

هذا أبوه عبد اسود (السيرة ص ٢٧)
وهنا تعجل الأب فطلق زوجته وطلب أن ترحل غدوة إلى
أهلها . ورواية الحاج عبدالظاهر تجعل الأب أكثر حرباً على
ابنه ، فهو لا يشك في زوجته ، ولكنه مضطر إلى أن يخضع
لموقف القبيلة التي ترفض أن تضم هذا الابن إليها وتحكم
عليه بالحرمان من حقه في البقاء فيها ، فقد توجه شيوخ بني
هلال نحو الطفل المائل أمامهم ، يرون قتله إلا أن رزقا يحصى
ابنه بجسده حتى لا يقتل . وفى رواية عبدالسلام حامد أن
الذى أراد قتله هو أخو رزق السلطان سرحان ، غير أن
القاضى بدير طلب منهم أن يرفعوا أيديهم عن الغلام ، ولقد
واجهت خضرة أزمة ، فلقد كرمها جميع العرايب لأنها أنجبت

فرخا من عبيد الجلايب . وفى رواية عوض الله عبدالجليل أن
الامير سرحان اظهر دهشته من هذا الغلام وهو يحدد من
البداية أن قتل الطفل حلال وقد حكم ، وكان حكمه قاسيا ،
ولكنه متسق مع تقاليد القبيلة :

ابن الزنا قتله وموته حلال
لا خيرة فى مولود ميجيش لباه
لا خيرة فى مولود بيجى من الزنا

واخذ سرحان يدفع رزقا ليطلق خضرة وبرغبته فى تزويجه
من زغبية جميلة منعمة :

طلق خضره يارزق تنول المنى
طلقها ياهلالى فى هذا السنا
واديق زغبية عليها كلام
واديق زغبية عليها القول عجب
شواطع من فضة والمناطق ذهب .

طلقها رزق الهلالى تحت هذا الضغط الاجتماعى ، فالطفل
يجىء غريباً عنه وعن زوجته فى لونه ولا يجد له وسيلة ليواجه
قومه به ، فكان بطلاقه من خضرة قد ترك ابنه لرحلة الغربة
والاغتراب ليربى بعيداً عن قومه لتأخذ السيرة طريقها الذى
تعودته حين يغترب البطل ليعيش بعيداً عن عالم يصارع
الواقع بحثاً عن الانتماء .

وفى رواية ثيفة أعطيت ما أنت به من بيت أبيها من مال
”ويزيدها قدو من حر ماله“ (من أقاصيص بنى هلال
ص ٥٨)

وفى رواية عبدالسلام حامد أن قاضى العرب ضرب دبوسه
فى العراء فكان جميع ما وصل إليه الدبوس يعطى لخضرة
فأخذت خضرة ثلثى مال رزق .

أما الحاج عبدالظاهر فقد روى أن مشايخ العرب حكموا أن
جميع من ولد مع خضرة الشريفة وفيهم حسن ودياب وجميع
الأبل والماشية التى ولدت فى هذا اليوم تذهب معها فى رحلة
غرية ابنها البطل الطفل .

وتذكر رواية عوض الله عبدالجليل أن رزقا طلب من عبده
نجاح أن يرمى الدبوس ومحل سقوطه يكون حدا لما يعطى
لخضرة من ماشية وأغنام فى رحلتها حتى لا يصبح ابنه معرفة
بين العرب .

محل ما يحط الدبوس وعينك تشوفه من بعيد
إديه لخضره ياعبد وليها جباه
ولا يصير ابنى البطل أبوزيد
وسط الفوارس (الهلايل - العرب) معيه

وحين أراد نجاح أن يرمى الدبوس أخذه منه الخضرورماه
فسار فى الجبل يقسم مال سرحان ورزق نصفين . وخرجت
خضرة مع ابنها لتذهب إلى ديار أبيها والقاضى فايد يسير
معهما ولكن المرأة بعد مسيرة ثلاثة أيام ترفض أن تتجه إلى
منازل أبيها .

وفى رواية الحاج عبدالظاهر أن عشرة فرسان ذهبوا معها
ليأخذوها إلى ديارها وأنها طلبت منهم أن يعودوا من حيث أتوا
وأن يقولوا لرزق إنها ذهبت لأبيها وأن يتركوها والعيال والمال
ورزقها على الكريم .

ولقد أبرزت رواية عوض الله عبد الجليل تقدير المرأة
لزوجها فهي لا تستطيع أن تتجه نحو والدها حتى لا تضع
زوجها في مأزق ولا يظهر بمظهر المستهين بها :

قربت على القاضي خضره .. باست يده
قالت له أنا مقدرش اصوب يم أبوى فى هذى السنه
إن قلتم رزق الهلالى هون فينا
مقدرش اقول القول ولا انكلموا

وهنا غلب الألم على المرأة فأخذت تدعو الله أن يجازى من
ظلمها :

ياما الزمن حكام على ناس كثير
اللى امر بالفتراق شملنا يامير
يفقد من الهلايل وتطفش نساء

تبين القاضي فايد بن مناع أنهم وصلوا إلى أرض الزحلان
فتركها خوفاً منه فهو من أعدى أعداء بني هلال .

يذكر الحاج عبد الظاهر أنه بعد أن تركها الفرسان أتت إلى
بلد الزحاليين وسلطانها أبو الفضل الزحلان الذى رحب بها
وبابنها ومن معها ، وفى هذه الأرض الغربية رعى الطفل
أبو زيد وكل من ولد معه وحكم عليه بالنفى .

وفى رواية عبد السلام حامد أن قاطع طريق من بني عقيل
اسمه الضباع وقف فى طريقها . وجدها جميلة فأراد أن يهتك
سترها ، سألت الله أن ينقذها فخلق الله لها رسولا من تحت
الأرض شئت الضباع ، وشئت رجاله ، وفى الصباح كان
المال قد وصل إلى أرض ملك الزحلان ، فاتجه نحو أصحاب
المال فوجدها ، فاستجارت به . فأجارها ومكنت ليعتري أبو زيد

فى غربته عنده . أما رواية عوض الله عبدالجليل فتذكر أنه
تصدى لخضرة فى الطريق قبل أن تصل إلى الأمير أبو
الفضل الزحلان عطوان وعربه ، فخرجت إليهم ملثمة تبكى
دون أن تفقد شجاعتها ، فأخذت تسبهم لأنهم معرفة للفرسان .

جوها عرب عطوان يهزوا القنا
قال ادخلوا الصيوان مادالى هنا
طلعت خضرة الشريفة ومثلته
تبكى لكن دموعها دما
عيب على فرسان تعر الحريم
الفعل ده ميفعلوش إلا اللثيم
اللى يكون طاهر وجسمه سليم
لم يفعل المكروه لطول المدى
لم يفعل المكروه لطول الدوام

وقد وصفت خضرة عرب عطوان بأنهم أراذل حفاة وأراذل
طموش ، وعندما سمع قولها زعيمهم داغر امتلا بالغيظ وسأل
رجالها أن ينهبوا أموالها ويسلبوا الأطفال وأن يتركوها فى
الفلاة وحيدة تقاسى الذل والمهانة . وفى قمة الأزمة جامها
إنقاذ كوني من الإمام الخضر عليه السلام ! جاء فى صورة
سبع ليشتت عرب عطوان وتبدأ علاقة كونية بين طفلها أبى
زيد وبين الخضر عليه السلام ليدخل عالم البطولة متصلا
بالعالم الغيبى .

"إلا وسبع اضرع عليه السلام
ياتى من الخلا يمشى ويسرع بالعجل بخطاه
راح ليها لقيها تبكى وجنبها ابنها
شنت نياهم بإنن واحد أحد"

بعد هذا حزم الخضر أبا زيد وباركه ليواجه غربته قويا .
ثم اختفى فجأة عن الأعين . وبعدها قدم مباشرة أمير
الزحلان فاستقبلها الرجل أحسن استقبال ليبدأ الطفل حياة
الغربة في كنف هذا الأمير وقد منحهما الأمان والسلام .
”ربي وليدك أبو زيد في هنا وأمان“

وسارت طفولة أبوزيد معبرة عن البطل الطفل . وإذا كان
الامر قد استقر للطفل عند الزحلان بعيداً عن أبيه فإن الأب
أيضاً عاش غربة واغتراباً فرضهما على نفسه منذ رحيل ابنه
عنه . ففي رواية الحاج عبد الظاهر أن رزق بن نائل حلف يميناً
ألا يقعد في نجع هلال ، ولقد أخذ ابنته شبيحة وذهب إلى
الجبل الأخضر ليعيش بعيداً عن أهله وعن كل ما يربطه بهم
متوحشاً هناك . وقد اختصرت رواية عوض الله عبدالجليل
الموقف في تعبيرها عن الاغتراب الإرادي للرجل بأنه حلف
يميناً ليطلق فراش السلطان مع طلاقه لامراته .

”حلف يمين واثق وباع واشترى
طلق فراش السلطنة والمرء“

كبر أبوزيد ، تربيته أمه ويهتم به أبو الفضل الزحلان .
ويروي الحاج عبدالظاهر أنه ”رحب بيهم وأداهم منازل
وأداهم كل حاجة وعمل لهم مدرسة لأولادهم وكل حاجة
تمام“ . وفي الكتاب نبغ أبوزيد حتى وصل من العمر سبع
سنين ليكشف عن وجه الطفل البطل .

وفي رواية عبدالسلام أنه اختلف مع عريف الكتاب فقتله .
ويتفق رواية عوض الله عبدالجليل في أنه قتل العريف وتذكر
الرواية أن المعلم كان مخطئاً .

طلع الفقى عليب وعيبه جزاه
طلع الفقى عليب وعيبه غلب
رحلوا الكتّاب ابوزيد ده اللى كتب
وانتهى الامر به إلى قتل العريف .

ويروى عبدالسلام أنه قتل اثنين من عرفاء المكتب .
وتجمع الروايات التى بين يدى أن أبا زيد الهلالى درب على
الحرب مع رفقاء طفولته ؛ كان يسبقهم ويبرز من بينهم على
أنه الطفل البطل ، وقد بدا من علاقته بأمه أنها ملاذه الوحيد
وأنه ينمو محترماً لها مقدراً تربيتها له ، ومع أن مربيه فضل
الزحلان لم يكن يقترب من مساكن خضرة وابنها إلا أن الطفل
ربى معتقداً أنه أبوه وهنا جاء أحد أعداء القبيلة ليأخذ منها
الجزية .

تختلف الروايات فى تحديد هذا العدو . فالسيرة المطبوعة
تروى أنه ربى مع نعم ونعيم أبناء فضل الزحلان وأن عريف
المكتب بعد أن أخطأ مع أبى زيد حاول أن يرضيه بتعليمه
علوم الحياة وعلوم الحرب فعلمه اللغات كما علمه علم
الصباغات وهى العلوم التى ساعدته على القدرة على
التخفى .

سامحنى يلبركات واجبر بخاطرى
لانى ندمت على ضربك كتير
وانا أعلمك لسان الترك والكرد
ولغة الطليان ولغة البرير
ولسان فارسى واجنبى ينفعك
ولسان سريانى تصوير مشير

وأعلمك علم الصباغات كلها

مختصر مثلى فاهما وخبير" (السيرة ص ٣٠)

كما علمه لعب الرمح وأبواب الحرب ليل نهار مدة خمس سنوات ، حتى تعلم جميع العلوم ، وقد جازى أبو زيد معلمه بإعطائه كل يوم ديناراً . وبعد أن اكتمل فارساً وصل كتاب أحد أعداء الملك - وتسميه الرواية هنا أبا الجود - يطلب أموالاً من الزحلان . أخذ أبو زيد الرسالة ورد عليه رداً مهيناً ، فغضب أبو الجود من الملك الزحلان غضباً شديداً ، وأرسل وزيره قطعنه أبوزيد فى صدره فوق قتيلا . وحين علم أبو الجود بمقتل وزيره خرج للحرب قطعنه أبوزيد بالرمح فى صدره فطلع يلمع من ظهره . تسامعت أخبار أبى زيد لبني هلال وقد أمحلت أرضهم فى تلك الأيام .

يروى عبدالظاهر أن العدو الذى جاء لحرب الزحلان كان اسمه جايل صاحب المنطقة السحرية التى تتحكم فى الجان وقد استولى عليها منه أبوزيد فى هذه المعركة كما قتله أيضاً .

ويروى عبدالسلام حامد أنه بعد أن قتل العريفين أرسل أهلها إلى الملك الضباع يخبرونه بغنى الملك فضل الزحلان ويطلبان منه أن يأخذ من الملك الجزية وعشر المال ، فقتل أبوزيد الملك الضباع فجاء للثأر أخوه الملك سنان ملك القليفيين فقتله الملك فاضل ، ثم جاء الاخ الثالث وهو الملك مرهف ليثأر لأخويه فقتله أبوزيد فجاء جايل . أى أن أبازيد قتل ثلاثة ملوك قبل أن يلتقى بجايل . وطالت الحرب بينه وبين أبى زيد إلا أن أبازيد هزمه ، واستولى على منطقته بواسطة الخضر عليه السلام ثم قتله

وتذكر رواية عوض الله عبدالجليل أن أعداء طغاة نزّلوا
أرض الزحلان واسم قائدهم عطوان ، وهو ابن داغر الذي
تصدى لها فى رحلتها من أرض الهلالية إلى أرض الزحلان .
واستولى عطوان عنوة على عشرة آلاف جمل والزحلان غائب .
كان هذا المعتدى عطوان وقومه قد جاؤا بالعديد والعدد :

”نزلت على الزحلان أعلاى طغاه

نزلت على الزحلان أعلاى فجور

من لجل عشر المال على من يكون

عطوان وأبوه يحكم على ألف سور

ماليين قلاعهم من الحرب العسير”

وأرسل رسولاً إلى الزحلان الذى جاء بالعجل فاستدعى
الغلام الذى أقسم بحياته للأمير أن يعيد المال .

”وحياة دراعى أنا

لو راح جمل منهم دراعى فداه

لكنت أموت ولا يكسبوه العدا”

ركب الأمير أبوزيد فرسه ومعه أبو القمصان وركبت معه
الفرسان ليواجه عطوان . وصرخ الزحلان على عرب عطوان
يهددهم بالآ يفرحوا بالمال فقد أتى أبوزيد . والتقى بعطوان
فضربه بحربة خرجت من قفاه وما إن قتل عطوان حتى هرب
جيشه مختفياً . وتوجه سريعاً إلى فضل الزحلان الذى كان
يتصوره والده .

خبّلوا بحربه عودها تمر

طل الخشب غير الحديد من قفاه

طل الخشب غير الحديد من القفا

وشال دراعه من ع الجواد واكتفى

لما كتل عطوان وجيشه اختفى
راحوا لآبوه الكل وقالوا له النجى

وهنا هب داغر غاضبا فدى طبول الحرب فتقدمت الآلوف
إليه مستعدة للقتال بجانبه :

نبه طبول الحرب وجولوا غفاه
نبه طبول الحرب وجولوا الوف
زرد يمانى والدروع ع الكتوف .

تصف الرواية أبا زيد بأنه مازال ولدا . فالرواية تذكر حربه
بحرب الولد كما تذكر أيضا أن داغراً استهتر بعلم الولد
البطل :

واتمنعوا اللي شافوا حرب الولد
ع اللي راوه محدش جاى له جلد
استهتر داغر بعلم الولد

وتدور رحى المعركة بين الرجل المدرب على القتال
والطفل . وقد ظهر واضحا أن أبا زيد يحاربه وهو يعرف أنه
تصدى لوالدته حين كانت فى البرارى تحمله . فضربه ثلاث
ضربات فآلقاه على الأرض قتيلا ، وعاد الفارس الطفل
بصحبة الرجال وخلفه مائة حرة تزغرد وراءه . ولم تنته
المعركة عند هذا الحد ، وإنما ذهب عرب عطوان إلى الأمير
جايل الذى تصفه الرواية بأنه صاحب الاعيب وحيل :

بلد الأمير جايل وصاحب لعب
ليه شواطح من فضه والمناطق دهب

وجميع الروايات الشفوية التى استمعت إليها - من
محافظتنا وأسوان - تجعل أبا زيد يحصل فى هذه المعركة

فى المنطقة ذات القدرة الكونية بمساعدة الخضر عليه السلام ويقتل جايل ليعود الطفل الغريب إلى بنى الزحلان ليرتبط اسمه باسمهم طيلة حياته . ولكن غربة البطل لا تنتهى إلا حين يتم التعرف على عالمه .

وكانت أسباب اغتراب الأيتام عن قبيلتهم مختلفة عن أسباب اغتراب غيرهم من الأبطال ، إذ لم يكن ذلك غضبا عليهم من القبيلة وإنما كانت بإرادة قيادة الجماعة حرصا عليهم من أعدائهم .

والأيتام مصطلح يطلق على الجيل الذى ترك أهله ووطنه - من بنى هلال - وله من العمر سنتان ، وكذلك الأطفال الذين ولدوا فى هذه الغربة . ويتناول الأيتام فى فصل كامل روايات ثلاثاً : للحاج عبدالظاهر ، والنادى عثمان وعوض الله عبدالجليل . وتجمع الروايات الثلاث على أن رحلة الغربة قد بدأت حين استولى دياب على الحكم ، وفقد أبوزيد بصره حزنا على موت حسن السلطان وحكم عليه دياب أن يعمل على بير خليفة سبالا ، يملا للنسوة دلاعهن ، وقد قرر أن يقتل الأطفال وأن يقرر بطون الحوامل حتى لا يظهر من بنى هلال فرسان يحاولون أن يثأروا لأهلهم وينازعوه السلطة . علم أبوزيد بما ينوى أن يفعله دياب فاستدعى الجاز زوجته السابقة وابنة عمه وبنت السلطان سرحان من شمة بنت الحسب سيد النسب .

وتلعب الجاز فى هذا الجزء الدور الرئيسى فى حماية الأيتام فى غربتهم . ولقد حازت هذه المرأة إعجاب الجمهور من مستمعين ودارسين حتى إن شوقى عبدالحكيم يراها فى موقع الكاهنة القمرية ، والام لهذا التحالف القمرى (سيرة بن هلال ص ٢١) . وقد وصفت الجاز بأوصاف كثيرة ، ولكن الشيء الواضح للباحث

أن أجزاء كاملة من أحداث السيرة بنيت وفق تصرفاتها ، فهي التي اقترحت توجيه أبي زيد ليرود الغرب .

وكانت القوة التي تجمع الهلاليين في معركة الغرب ، وتراقب معنوياتهم وترفعها حتى لا تسقط في معركة كبيرة كهذه ، وهي التي أوحى إلى أهلها بإبعاد دياب عن المعركة حتى تحين اللحظة الحاسمة . وحين تحتاجه توحى بإخراج الخفاجي لملاقاة الزناتى خليفة . وكانت وراء كل التدابير الحاسمة في السيرة منذ أن بدأت التفرية . ومن هنا كان طبيعيا أن يجمع بنو هلال بأن لها حق إرث أبيها في الملك بوصية والدها ، فيكون لها الثلث في المشورة لا يقضى أمر دونها . ولا يفتأ يذكرها الراوى الشعبى النادى عثمان .

ست العيون الرياشى

كلامها وسط العرب جاز

كلامها مصدق وماشى

وعند التغنى بها لا تنسى الرواية أن تذكر دائما أنها امرأة . وهي نفسها لم تنس أنوثتها ، فهي الفتاة الجميلة صاحبة المشورة :

بعثوا للجاز أربع مراسيل

قال ياعزك يخبروك

إحضرى ياسست الخلاخيل

ولاد عمك عزازوك .

ولكنها كانت تتخلى عن أنوثتها وتتناسى عشقها للرجل وتترك كل ما يتصل بوجودها في سبيل القبيلة ، فقد تركت زوجها الأمير شكر الذى تحبه لتصبح بنى هلال في رحلة التفرية ، وكانت علاقتها بأبي زيد فريدة ، فلقد كانت المرأة المقابلة له والمساوية له في وقت واحد . كما كانت هي المرأة الوحيدة التى لجأ إليها أبو زيد في

محضه بعد أن فقد بصره وحكم عليه أن يكون سبلا على بشر
خليفة . فاستدعاها أبوزيد ، فهي أقدر النساء وأقواهن ، إنها
الوجه الآخر له . ولو تحول أبوزيد إلى امرأة لكان الجاز ولو تحولت
الجاز إلى رجل لكانت أبا زيد . فبعد أن أنزل دياب غضبه على بني
هلال وقدر أن يقتل الأطفال في الفجر وأن ييقر بطون الحوامل ،
سرى الخبر إلى الجاز واستدعاها أبوزيد إليه .

تصور السيرة حكمة كل منهما ، وماتزال الرواية تصف الجاز
بأم العيون الكحيل والحزن يطغى على أبي زيد ويرهقه :

ولا عقدة ان ما كان اتحلت

وعلى يد ولد الشريفه

وفاح الخبر للجاز

وام العيون الكحيل

ولمت بنات الهلاليل

ولمت بنات دريد .. ودى مافى الهم حجاز

وبحياة طرقه لمانه

وراحت للهلالى سلامة

وراحت لرئيس نجد

يدوس الاراضى المخيفة

وعميلان وصاييه الوجد

ياخساره وليد الشريفه

ياخساره البطل أبوزيد

يكون على البير سبال

يكون سبال ع البير

ويتفق النادى عثمان وعبد الظاهر فى اسم البير بينما تسمى فى
رواية عوض الله عبدالجليل "عين توزه" . وتذكر رواية النادى
عثمان اللقاء الذى تم بين دياب وأبى زيد بعد أن عرف أنه قد فقد
بصره ، فتتمر وأخذ يسب أبا زيد وقد تدخل والده متشفعا فيه :

دياب قال له غور من وشى ياقوار
واحكم وارسم بكيفى
لحسن اقوم حمقان اخذ راسك بحد سيفى
وقال غور من وشى ياقوار
انا ابو سؤال ع الكل راضى
لحسن اقوم حمقان القحك ع الاراضى
تعالى ، قال له ايا عبد يلكير
تبقي العواقب سلامة
ومعك غلضت الصراصير
نفخوك بقولة سلامه

انتظرت الجاز راى ابنى زيد . إنها اللحظة الحاسمة التى يتحدد فيها مصير بنى هلال ومستقبلهم . ويتغير الموقف فى السيرة ، فبعد أن كانت المشورة للجاز والفعل لآبى زيد صارت المشورة لآبى زيد والفعل للجاز ، فيطلب منها أن تذهب إلى محمود البياضى ، وتخبره أن آبا زيد يرسلهم إليه - كما فى رواية الحاج عبدالظاهر أيضا . وفى رواية النادى عثمان تذهب الجاز إلى آبى زيد للمشورة :

قالت له تعالى ايا بركات
دياب قايم بركات
راح يقق كل الثقيله

فيوصيها أبوزيد أن تذهب إلى محمود البياض ولا تخبره أنها من بنى هلال وإنما تخبره أنها بنت الزناتى خليفة : ابن عمه .

لم يعيش الأيتام كلهم مع الجاز ، ففى احدى الروايات روى مخيمر بعيدا عنها فى الغربية ، كما روى صبرة بعيدا . وفى رواية عوض الله أن المخاض جاء الناعسة فى الطريق فتركها الجاز فأخذت تربي ابنها زيد فى هذه البرية . أما رواية النادى عثمان

فتجعل الجاز مربية لجميع اليتامى ، اى أنهم ربوا جميعا عند محمود البياضى . كما أجمعت الروايات على أن الجاز قامت بتربية الابناء خير تربية وفى ذهنها أن تعيدهم إلى أرض الوطن وإلى الهلالى المنتظر عند بير خليفة .

ولا تذكر رواية عوض الله عبدالجليل شيئا عن معتد جاء إلى أرض البياضى قبل رحيل الأيتام . غير أن رواية الحاج عبدالظاهر تذكر أن عدوا للبياضى جاء يطلب الجزية واسمه جرامون ، وهو نفس اسم الجد الثانى للجاز ولأبى زيد . فهل كان ذلك من عبدالظاهر مجرد اسم لعدو أى عدو ؟ أو أنه تعود أن يرويهِ هكذا فى كل مرة عندما يتحدث عن الأيتام . والرواية تقص قصة جرامون مكررة نفس الأحداث التى مرت فى طفولة أبى زيد عندما التقى بالعقيليين . وتحدد الرواية أن عمر الأيتام كان بين ستة عشر عاما وسبعة عشر عاما ، أما رواية النادي فتحدده بين العاشرة والثانية عشرة ، حين جاء عدو البياضى ، وتحدد هويته بأنه يهودى ، فيخرج له على أبو القمصان وريث أبى زيد فى الشجاعة فى رواية النادي .

ولقد كانت لحظة حاسمة للجاز لاختبار قوة ابنائها من بنى هلال وهم يواجهون عدو محمود البياضى اليهودى ، فلقد امتلك أرض البياضى وأخذ يخرب فيها فهدم رجاله الجنان وهدموا السواقي ، وجعلوا أعاليها أسافلها . فتصدى له على ومعه أبناء بنى هلال ، ولم تكن المعركة بينهما هيئة . والرواية تصورهما تصويرا دقيقا يوضح شدة مجاهدة المتحاربين فقد كانا سبعين متوحشين من سباع الجبال .

تحلف وتقول سبعين
نزلين من قرى الاجيال
داق الحلق وسع الملق

هلف الرجال فروطلر
قلعوا لها بالعبابيس
فى نهار بلا السلامة
تسمع رطن الدبابيس
تارت هوال القيامة
ياما نسوان نوحث
ياما خليفة اطوحث
ياما خيل روحت
بعدهامن غير سجعان
ادى السوق إزاط واتراط
ادى اليهودى ضنيفه لقانه
على سطة بمزراق
كسر اربعه من ضلوعه

سقط اليهودى ميتا . ويموته كانت نهاية المعتدين وبداية جديدة
للإيتام ، لتبدأ رحلة العودة ، ومرحلة التعرف والاعتراف .



التعريف

والاعتراف

يعد التعرف هنا تنويجا للصراع الذى يعيشه الطفل البطل . ويمثل بداية الطريق لوضع اسمه فى عالم البطولة ولا يتم التعرف به بطلا إلا بعد عبوره من اغترابه وغربته فهو اعتراف بعبوره ، فالبطل الذى يفترب عن قومه فى السيرة الشعبية لابد أن يعود اليهم مرة ثانية ل تتم المواجهة . فالغربة يتبعها لقاء . واللقاء تتبعه مواجهة حربية ، ويكون البطل الأقدر والأقوى ساعة المواجهة ، فهو صاحب الحق المظلوم ، وهو الطريد المقترب .

وغربة البطل ضرورة ، ليدرب بعيدا عن أهله ، وليمك الدافع الذى يحركه لتحقيق ذاته بأعماله البطولية ، وهو المصقول بتجاربه . وربما لو ربي بين أهله وفى رعايتهم لكان الغلام الهش المدلل ، ولفقد الدافع المحرك لبطولته ، ذلك الدافع الذى يجعله متسيدا عليهم ، فهو فى مواجهته لقبيلته يقف موازيا لها . فقومه يواجهونه بكل رجالاتهم ويستعدون عليه حلفاءهم ، ليقف فى هذا اللقاء ، ويثبت تفوقه ويتأكد فهو هنا يكون قد حقق شعيرة العبور .

وتتعدد صور الصراع لتحقيق هذا العبور ، فقد تتباعد وقد تتقارب وفق طبيعة المواجهة وطبيعة الازمة التى يعيشها البطل ، فآزمة أبى زيد تختلف تماما عن آزمة عبد الوهاب . وتتغاير صور هذا الصراع عند الجرو وعند جيل الأيتام ، فالجرو لا يصارع قومه لظلمهم إياه وإنما لجهله بعلاقته بهم والأيتام فى اغترابهم ليس عن ظلم أهلهم ، وإنما عن ظلم أعدائهم لهم ، فهم يعودون لا ليواجهوا أهلهم ، وإنما ليواجهوا أعداءهم . وكذلك ببيرس ، لا يعود الى أهله فى خوارزم وإنما يعود الى مصر ليحارب أعداء الاسلام . أما حمزة البهلوان الأمير ابن الملك ، فهو الذى يعد الاستثناء الوحيد من بين أبطال السير الشعبية الذى لم يفترب ولم يعد محاربا لأهله . وكان دوره أن يربى بينهم ليعمق إحساسه بعروبته حتى يتعرف دوره ليثبت وجودهم ضد الفرس .

لقد كتب على حمزة البهلوان أن يرفع نير الفرس عن العرب ..

وكتب عليه أن يهدم معابد النيران . وقد عرف والده ذلك ، واهتم به . ولم يكن فى حاجة إلى مواجهته مع قومه ولا حاجة لإثبات أنه أقوام ، فهو الأمير ابن الملك ، ولد سيدا ، وتكشفت بطولته دون منافس ولم يبق إلا أن يتعرف هو نفسه على دوره فى هذا الكون .

وقد درب الأمير حمزة على كل فنون القتال ، وبرز فيها وهزم كل من لاعبه بالسنان ، وكان يخرج ومعه قرينه عمر العيار للصيد فى البرارى ، وكعادة الأبطال اصطاد أسدا . ومثله مثل المهلهل وعنترة احتقر صنيعه ، وكره أن يباهى بقتله «هر البر» .

كان حمزة قد بلغ العاشرة عندما تعرف على دوره الكونى ليبدأ بعد ذلك الرحلة المقدرة عليه قبل ميلاده ، فقد ذهب إلى البر للصيد مع رفيقه عمر العيار . وقد حمى البر واشتد الحر ، فظما فطلب الماء فلم يجده ، فازداد ظمؤه ، وتحول العطش إلى لهيب نار فى جوفه ، ولم تعد له طاقة على الصبر ، فذهب عمر ل يبحث له عن الماء . وسار حدة نحو شجرة كبيرة يستظل بظلها ، وقبل أن يصل إليها لاح له فارس عن بعد ، فأتجه إليه ل يطلب منه شربة ماء فوجده بلحية بيضاء كالثلج يتدفق منها النور ، وعليه من الهيبة والوقار والعظمة والجلال ما لم يره فى غيره من البشر ، فسأله شربة ماء ، فطلب منه أن يقف مكانه ويتعرف على من أمامه ، وقدم له الماء . وبدأ واضحا أن الرجل يحمل الماء خصيصا له ، فنظر حمزة إليه مبهورا وسأله عن هو؟ ومن أين عرف أنه عطش حتى يأتى بالماء؟ .

كشف الرجل عن نفسه ، إنه الخضر الأخضر أبو العباس عليه السلام (ج ١ ، ص ٧) وأنه يعرف ما حدث ويحدث ، وقدم له قربة الماء ليشرب ، فمأواها لذيذ جدا . وبعد أن يروى عطشه يحدثه حديثا جاء ليخبره به .

وارتاح حمزة حين أدرك أنه أمام الإمام الأعظم ، وهنا نزل حمزة عن جواده ، وتقدم بأدب جم ، فشرب من القرية ، واكتفى ورجع الى الوراء . وسأل الإمام الخضر أن يكون مساعده ومعينه وعونه عند ضيقه . وهنا قام الخضر عليه السلام بتعريفه بالدور الذى سيلعبه فى خدمة أمته ، وقد أتاه اليوم ليخبره أنه هو الرجل الذى يترفع به شأن العرب فى هذه الأيام لأن الله لا يحب أن يذل هذه الأمة لمقاصد له فيها ، وسوف يعززها ويكرمها ويرفع مقامها فى الأيام المقبلة ، وأن البداية أن يكون معينا لكسرى ويرفع منه الشدة ، ثم حكى له الخضر حلم كسرى .

وبعد أن تم تعرف حمزة لدوره نصحه الخضر عليه السلام بأن يرجع إلى أبيه ويطلب منه أن يسلمه الثمانمائة غلام الذين ولدوا يوم ولادته ويجعل منهم رجاله المقربين وأن يعتنى بهم ويعلمهم بنفسه كل فنون الحرب التى تنقصهم ويجعل قيامهم وقعودهم بين يديه ، فهم قد وجدوا لمساعدته فإذا غزا قبيلة عاصية أو قاتل ملكا على غير دين الله ، فيكونون رفاقه .

وكان حمزة مطرقا حين كان الامام يتكلم . وبعد أن انتهى من كلامه رفع رأسه ، ليدنو منه ويقبل يديه ، فوجده قد غاب عن عينيه ، ولم يعد له اثر ، وضاعت رائحة البخور التى كانت تلازمه ، وكان لابد أن يبدأ الساعة فى المسير فى الطريق الذى عرفه وهو مازال طفلا امرد ، وخاصته مازالوا اطفالا مردا . (انظر السيرة من ١٤ - ١٦) .

وإذا كان الخضر قد قام بدور الموجه ليعرفه دوره فقد استبدل فى سيرة سيف بن ذى يزن بالشيوخ جياذ ، إذ كان هو القائم بتعريفه دوره . أما فى سيرة المهلهل فقد كان دور العابد هامشيا .

ويتم تعرف سيف على نفسه ودوره وهو فى غريته ، فهو منذ

طفولته يتحرك فى دائرة «القدر» . والصراع الذى يدور حوله صراع ضد القدر ، فقد بدأت المواجهة بينه وبين أهل أمه الذين حكم عليه أن يحقق دعوة نوح فيهم ، فهو أداة القدر ، وأعداؤه يقفون فى مواجهة القدر ومحاولتهم التخلص منه إنما هى محاولة للوقوف ضد حركة القدر ، حتى لا تتحقق النبوءة ، وقد كانت محاولتهم الجادة للتخلص من والد سيف ثم من سيف هى التى أسهمت فى تحقيق النبوءة ، فقد كانوا الأيدي التى وجهت سيف ليساعد فى تحقيق مايشخون منه وهو تحقيق النبوءة .

لقد أرسلوا أمه لتكون دسيسة على الملك ، ومنذ هذه الساعة والنبوءة تأخذ فى التحقيق . وكان الرحم الذى يحمل ابن ذى يزن محقق النبوءة هو رحم بنت دسوها عليه . لقد كانت الوعاء الذى حمل الطفل تسعة أشهر ليخرج الى البرية لترضعه الجنية . ويتعرف عليه الملك أقراح وهناك يلتقى بسقرديون الذى يطلب منه المطلب الصعب ليدفعه للمسير نحو تحقيق «القدر» والصراع كله هنا صراع ضد القدر وليس ضد سيف ، فسيف هذا أداة القدر .

وتأتى اللحظة التى يجب أن يتعرف فيها سيف على نفسه فإن أعداءه يعرفون من هو ؟ أما هو فيعيش طفولته دون أن يعرف حقيقته .

لقد لعب دور المعلم الكاشف له نفسه ، ودور من يعرفه حقيقته ، الشيخ جياذ . قام جياذ هنا بدور البديل للخضر عليه السلام . فقد ذهب سيف لياتى بكتاب النبل وحببيته تنبيه عن عزمه فإن بإمكانهما أن ينزلا فى أى مكان يقيمان فيه حتى تتركهما الوفاة . ولكن سيف يرفض وقد وجه اليه كلمات تعبر عن اعتزازه بفروسيته وأخلاقه العربية ، فقد قال لها : « نحن قوم عرب ، إذا وعدنا

وفينا ، وإذا قدرنا علونا ، وإذا قلنا : نعم لانتقول : لا . وإذا قلنا : لا ، لانتقول : نعم .

(السيرة ص : ٦٨)

ولو توقف عند رأى شامة ماتم له أن يحقق قدره وماتم له أن يتعرف على حقيقته ، وقد عرفها دون أن يسعى إليها ، لقد جاءت إليه الحقيقة ، لأن معرفته توجهه نحو تحقيق قدره .

لقد خرج سيف يقطع البرارى والاكام مدة سبعين يوما بالتمام وهو لا يرى فى طريقه أحدا من المخلوقات حتى أشرف على جبل عال ، وحوله روضة ونزهة للناظرين ، بها أشجار باسقة وأنهار دافقة ، وأغصان مورقة ، ومياه متدفقة ، والطير ناطق يسبح الإله الخالق ، وفى جانب ذلك الجبل من أعلاه صومعة ، فسار حتى وصل إليها ، ولما وقف بباب الصومعة سمع صوت انسان يذكر الرحمن الرحيم وهو يقول : يا حنان يا منان ، ارحم عبدك الفانى ، أنت الباقى وكل من عليها فان . فتقدم إلى باب الصومعة ، وقد تأثر بما سمع فنزلت دموعه متتابعة ، ودخل مطمئن القلب دون أن يعلم إن كان هذا انسيا أو جنيا ، وسلم عليه ، وقد وجده أسمر اللون ، طويل القامة .

وكان لابد للرجل أن يكسب ثقته حتى يخبره مايجب عليه أن يعرف ، فطلب إليه أن يريح نفسه من كرب السفر فهو يعلم أنه سائر شهرين بالتمام ، ثم أبلغه أنه المختار الذى يتفد دعوة نوح عليه السلام . وأخذ يعرفه بالله ، ويعرف سيف أنه يعيش مع قوم يعبدون زحل ، ويدرك بفهمه أن المعبود هو الله ، ولكنه لم يجد من يعلمه شيئا عن الله حتى يتبعه وهنا يتعرف سيف من الشيخ جواد على الله وعلى الاسلام فأخبره بأن المعبود الحق إنما هو الله عز وجل الذى خلق الأرض والسمااء وأجرى بقدرته البحار ، وفجر الانهار ، وهو الله الواحد القهار . وطلب اليه أن يعتمد على عبادته

ولا يركن إلى سواء ، وسأله أن يقول الشهادة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن إبراهيم خليل الله ، وأن محمدا رسول الله وهو آخر الأنبياء وخاتمهم الذى يبعث فى آخر الزمان . من نسل معد بن عدنان ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام أولى الفضل والإحسان . ومد يده ووضعها فى يد الشيخ جواد ، ونطق الشهادتين .

قضى سيف مع الشيخ ليلتين ، علمه فيهما الآداب الإسلامية ، ألا يأكل إلا بعد أن يسمى باسم الله الرحمن الرحيم ، وعلمه الوضوء ، والذكر والاستغفار ، وياتا يستذكران ويستغفران حتى الصباح . وفى الليلة الثانية علمه قواعد الإسلام وعبادة الملك العلام ، حتى مضى الليل بالظلام ، وأقبل النهار .

وأخبره أنه سيقابل الكفار ، فإذا وقع فى قتال ، فعليه أن يذكر اسم الله الملك المتعال حتى ينصره ببركة اسمه على أهل الضلال . وعندما سأله عما يقول عند الضيق ، أجابه الشيخ . قل : الله أكبر ، الله أكبر ، وألا يفتر عن قوله : الله أكبر ، ليضرب فى الكفار بالحسام البتار ، ويطلب النصر من العزيز الجبار ، فإنه لاشك ناصره وحاميه ، فلا يصيبه فى الحرب دمار ، وودعه الشيخ ولم يتوقف عن تذكيره بالله .

ولقد لعبت شخصية العابد النعمان دورا مختلفا فى سيرة المهلهل ، فهو لم يقم بتعريفه بنفسه ، وبالدور الملقى على عاتقه فى هذا الوجود ، وإنما حل له ولأخيه بعض المشكلات إذ قصده كليپ وهو متجه لقتل التبع حسان ، ووضح له ضرورة أن يأخذ حذره من الرصد الذى يحمى التبع ، فعلى الباب الأكبر تعلق سلسلة من النحاس الأصفر وهى مرصدة من سحر ذلك الزمان لهلاك من أراد ضررا بالتبع ، فتقع عليه بالحال ، وتذيقه الويال . وأعطاه سيفا خشبيا ، ثم نصحه بما يصنع لمواجهة التبع .

لقد استمع كليب لنصيحته ، ونفذها تنفيذا دقيقا . ونجحت
الخطه ، وقتل التبع . ولم يذكر النعمان بعد ذلك إلا وهو يبلغ
المهلل بأن يتوقف عن الحرب مدة من الزمن ويخبره بقدوم سبع
سنوات منحوسة عليه وأيامها عليه معكوسة ، ويحذره من أن
يحارب أجدا فى هذه الأيام ، فاستجاب له .

ولا يمثل صنيع العابد النعمان تعرفا لدوره ، فشخصية العابد
الذى يتحدث عن المستقبل فى فترات من حياة البطل كثيرة الورد
فى السير الشعبية . والنعمان لم يقم بدور المعرف للمهلل دوره ،
ذلك الدور الذى يوجه مسيرة حياته ، وإنما قام بهذا الدور أخوه .



لقد ذهب كليب الى أخيه الزير ليعيده من مغاه الاختيارى الى
القبيلة ، ويقمه ملكا عليها ، فهو قد طعن فى السن ولا طاقة له
بمعاطاة الأحكام . وقد وقع النزاع بين قبيلته وقبيلة بكر فعرف قلبه
الهم ، وامتلا بالخوف :

« بنو قيس وقعوا بحلف

وجساس نوى يركب عليا

فقم وشد عزمك يامهلل

لأنك انت جبار عتيا

وإلا راحت البلدان منى

وصرنا معيره عند البريا

(قصة المهلهل ص ٥١)

تعجب المهلهل ان يكون اخاه خائفا ، فهو قد بنى قصرا من
السباع ثارا لحماره :

« سباع الغلب خالفت من نزالى

وتخشلتنى ولم تقدر عليا

فلانذهب يا كليب ولاتبالى

واحكم فى القبائل بالسويا

فإن جارت بنو بكر وخلفت

فلا اترك ، اخى ، منهم بقيا ،

(ص : ٥٢)

بقى المهلهل مكانه ، وذهب كليب ليواجه جساساً وقد ملأت قلبه بالحد سعاد أخت التبع حسان . وذهب جساس قاصدا كليباً ليقتله ، وأخذ يلعبه بالجريدة ، فأصاب كليب ظهره فناداه كليب : يا ابن العم . وسأله إن كان لا يريد إن يلعب غير هذه الجريدة فليسرع ويضربه بها فينتهى الحال . ونزل كليب عن ظهر جواده .. ومشى نحوه - وقد تألم جساس من الضربة حتى إنه لم يعد يستطيع القيام ، وإذا بعبد العجوز سعاد يقدم ويجذبه من يديه ويرفعه ويدعوه لقتله ، فيتقدم نحو كليب والرمح فى يده ويطعنه فى ظهره فيخرج الرمح يلمع من صدره ، فيقع كليب وهو يتخبط على الأرض ويقف جساس أمام كليب وهو مضرج فى دمائه ، فيأخذه الندم ، ويعترف أنه ارتكب جرماً جسيماً بلا عقل ولا تمييز . وبعد لحظة موت كليب من اللحظات المأساوية فى السيرة ، تمثل لقاء بين نبيل مترفع ، وخسيس يضرب فى الظهر . وكليب وهو مضرج بدمائه يعلن لجساس أنه ليس من أقرانه فى الميدان ، ولا فى ملتقى الفرسان ، ويسأله أن يذهب الى مساكنهم ليقرى الأيتام السلام ، ثم يطلب شربة ماء فيسقيه ، ثم يمضى . ويتقدم من كليب عبد سعاد ليجر رأسه فيطلب منه قبل أن يذبحه أن يلقيه بجوار بلاطة قرب الغدير ليكتب وصيته لأخيه سالم الزير .

كان كليب يقوم فى هذه الوصية التى كتبها بدمه بتعريف أخيه بدوره فى حياته ، ويحدد له فيها قاتله ، ويوصيه باليتامى ، ويحدد له عشر وصايا تكون دستور المهلهل فى حياته :

يقول كليب : اسمع يامهلل
 مذل الخيل ، قهار الاسود
 على ما حل من جساس ايا
 طعنى طعنة منها يعود
 ايا سالم توصى ياليتامى
 صغار وبعدهم وسط المهود
 واسمع ما اقلك يامهلل
 وصايا عشر الفهم المقصود
 فاول شرط اخوى لاتصالح
 ولو اعطوك زينات النهود
 وثانى شرط اخوى لاتصالح
 ولو اعطوك مالا مع عقود
 وثالث شرط اخوى لاتصالح
 ولو اعطوك نوقا مع قعود
 ورابع شرط اخوى لاتصالح
 واحفظ لى زمامى مع عهود
 وخامس شرط اخوى لاتصالح
 وقد زادت نيرانى وقود
 وسادس شرط اخوى لاتصالح
 فإن صالحت لست اخى اكيد
 وسابع شرط اخوى لاتصالح
 واسلك دهم فى وسط بيد
 وثامن شرط اخوى لاتصالح
 واحصد جمعهم مثل الحصيد
 وتساع شرط اخوى لاتصالح
 فإننى اليوم فى الم شديد

وعاشر شرط أخوى لاتصالح

وإلا قد شكوتك للمجيد
(انظر : السيرة ص ٦١)

عرف المهلهل أن أخاه قد قتل ، فاشتعل قلبه بلهيب النار واعتراه الاصفرار ، فصار يلطم على وجهه بيديه وقد عظم الأمر عليه حتى رقصت شعرات شاربيه ، ومع ذلك لم تنزل منه دمة واحدة ، فالسيرة تعدّه واحداً من الجبابرة السبعة ولا تذكر بقيتهم .

لقد أخرجته هذه الحادثة من عزلته ليبدأ طريق العودة إلى قبيلته ، واتجه حيث يرقد جسد أخيه ، فوجده مطروحاً والدماء من جسده تقطر وتسوح ، والناس واقفة حواله ، فالقى نفسه عليه ، وهو يبكي ، ملء عينيه ، فلقد أحرق بفقد أخيه . ولما اشتد عليه الأمر أرتة اليقظة وصية أخيه المكتوبة على الصخر ، فالفتاة لا تريد أحزانا ، ولكنها تريد فعلاً من عمها ، أن يتعرف طريقه ، ليس بين الأسود والثلج بالخمر في الفلاة ، وإنما بسماع كلمات أبيها ، فقراها المهلهل وأقسم بالله المتعال ألا يصلح إلى الأبد مادامت روحه في جسده .

(السيرة : ص ٥١ - ٦٩)

وابتدأ المهلهل بعد هذا التعرف طريقاً جديداً . وإذا كان كليب قد قام بتعريف أخيه بدوره ، فلقد لعب شيبوب دوراً مهماً في حياة أخيه ، وهو دور مختلف إلى حد كبير عن دور كليب ، لاختلاف وضعهما الاجتماعي ومكانة كل منهما في القبيلة . فقد لعب الدور الرئيسي في توجيه أخيه إلى الكيفية التي يدفع بها القبيلة إلى الإعلان عن معرفتهم لدور عنقرة مدافعا عنها والاعتراف به سيداً من ساداتها وكفناً للزواج بابنة عمه (عيلة) .



وفى سيرة عنترة يعيش البطل اغترابه عن قومه ، مع انه المدافع عن القبيلة ، فكان بعض أبنائها يقف ضده . فشاس ابن الملك والربيع بن زياد متحالفان ضده ، ويتآمران عليه ويرسلان له عبيدهما فيكمنان له فى الطريق ليقتلاه . وقد التقى العبيد فى طريقهم لقتله ، بنى المصطلق الذين يطلبون رأس عنترة ، فاتفق الغرماء والتقى بهم عنترة ، وهم يتعرضون له ولاينة عمه عيلة ، فطلب من أخيه شيبوب أن يحمى ظهره بالنبال ، وخرج يقاتلهم فحمل عليهم فى ساحة القتال ، وصار يبدهم يمينا وشمالا ، وشيبوب من خلفه يحميه بالنبال ، هذا والغبار قد طلع وملا جنبات البر والفلا والخيول تخرج من تحته خالية وأصحابها قتلى ، وسروجها تقطر بالدماء . والنساء قد أيقن بالنصر والحمى . (السيرة : ص ١١٧) . وعاش عنترة بين الرعى والقتال ، قتال أعداء القبيلة ، وقتال أعدائه من القبيلة . لايعرف له مكانا بينها . وقد أحب أجمل فتياتها وأنكروا عليه هذا الحب ، كما أنكروا عليه نسبه من قبل .

وقد وقف منه ابوه موقفا صعبا عليه ، فقد منعه من ركوب الخيل ، وأشهد بذلك سادات العرب . وفى إحدى الليالى باح عنترة بحب عيلة وذكرها فى شعره بين الفرسان فاحتدمت معركة بينه وبين عمارة بن زياد وقد كان ينافسه فى حبها . تدخلت العبيد بينهما ، وعلا الصياح حتى وصل الى سمع عمه مالك فخرج من صمته ، وتقدم الى عنترة وأطمه على رأسه وأمانه لمطاولته أبناء السادات وجراته على عمارة . وطلب منه أن يعود إلى رعى الجمال فلما رأى العبيد ذلك تجرموا على عنترة وأخذوا يضربونه بالعصى والحجارة حتى أشرف على الهلاك .

وجاء الملك زهير فتوقفت المعركة ، وبعد ذهابه جاء الربيع أخو عمارة وحرص على قتال عنترة ، وأتى مالك بن الملك زهير ووقف فى

جانب عنقرة ، وكانت معركة حامية . وعنقرة فى كل ذلك واقف يحفظ نفسه من عداه ، لا يحاول قتل أحد منهم ، وانقسم أبناء القبيلة منه الى قسمين : قسم ضده ويتزعمه شاس بن زهير والثانى معه ويتزعمه مالك بن زهير أخو شاس .

يرى شاس أنه عبد ابن زنا ، فيطلب من أبيه الإذن بقتله ، ويؤيده فى ذلك مالك والد عبلة وعم عنقرة ، فهو يرى أن العبد قد طغى وتعدى أطواره ، وسأل الملك أشراف قبيلته عما يريدون من عنقرة ، فطلبوا إبعاده أو قتله ، فهو عبد ابن زنا .

نظر مالك بن زهير فإذا به يعجز عن الكلام ولا يدرى ما يفعل ، فقد وجد مبغضى عنقرة أكثر من محبيه ، وكان على الملك أن يحكم فى الأمر فهو يحب عنقرة ويرفض أن يقتله ، لقد دخل بيته وأكل زاده وله عنده حرمة ، أما إبعاده فهذا متروك لشداد والده ، فاستدعى الملك شداد ، وترك له أمر الحكم على عنقرة .

وقف شداد متحيرا ، فمالك أخوه ولا يحب إغضابه ، وعنقرة لا يستحق الضرب والقتل فهو فارس من الفرسان المعدودين ، فمابقى فى نظر شداد إلا أن يعود الى رعى الإبل ، ولبس الصوف ، لباس العبيد ، ومنعه من إنشاد الشعر ومن أن يتكلم كلام الفرسان فإن صنع ذلك فإنه قاتله . واستدعى زهير عنقرة ليسمع قول أبيه فأبلغه الأب بحكمه ، وكان ذلك حكما قاسيا من الأب ، فهو قد أذله أمام أبناء قبيلته ، وصغره وحقر من شأنه وفتح جراح الاغتراب فى قلبه .

استجاب عنقرة لحكم والده ، وحنى رأسه للآزمة ، وهو مطحون ، فهو يكلم سيده لا والده . وكان رده ردا فيه إحساس بعمق المأساة وهو يرى والده يحوله الى عبد لكل القبيلة مهانا منهم جميعا :

« يامولاي : افعل بى ماتريد . واحكم على حكم الموالى على
١٤٣

العبيد ، والعبد ماله غير مولاه ، إن أبعده أو أدناه . وأنا أشهد على نفسي أنى من الآن فصاعدا قد امتلكت أمرك ، ولا أقصر عن خدمتك ولا أفارق رعى الجمال ، وأكون على حفظ أموالك وأعيان ، ولا أركب جوادا ، ولا أجرد حساما مع الأبطال ، ولا أنطق بالشعر أبدا ولو شربت كأسات الردى مع الأندال .

(السيرة ح ٢ مجلد ١ ص : ١٨٧)

كانت لحظة حاسمة فى حياة عنتره ، وقد شهدها عدد كبير من الحاضرين من القبيلة ، كما علم بها الغائبون بعد ذلك . وشمت كل أعدائه والحاقدين عليه . فعاد عنتره الى غربته فى الفلاة يرمى نوق شداد وإبله ، حتى أقبلت ذات يوم قبيلة طيء تقتحم مضارب القبيلة وتقاتل من فرسانها وعنتره ينظر اليهم ويسأل أخاه شيبوب عما يفعل فينصحه أن يبتعد عن محاربتهم ، وأن يأخذ قطعة من النوق والجمال ويقصد بها قطعة من التلال حتى يرى مايكون من الفعال ، ولا يزال على الجبل حتى ينظر مايقع بينهم .

كان شيبوب يريد من أخيه أن يعرف دوره بين أبناء القبيلة ويثق فى ذاته ، فبدونه لن يكون هناك نصر لها ، وتضيع القبيلة وتفقد كينونتها ويتملكها أعداؤها . وتعرف عنتره لذلك لا يكفى وإنما يجب أن تعرف القبيلة كلها ذلك . ومعرفة القبيلة لا تكفى أيضا فالكثيرون يعرفون قيمة عنتره ويدركون دوره فى حمايتها . ولكن التعرف هنا يجب أن يصحبه اعتراف به ، فالاعتراف به وهو صاحب الحق المنكوب هو المعنى العملى للتعرف . وشيبوب يدرك ذلك فقد كان العقل المدبر لعنتره ، وهو يعلم أنهم إليه محتاجون ويجب عليه ألا يركب جوادا حتى يلحقه أبوه بالنسب ويشهد بذلك على نفسه أن عنتره ابنه ولذا كبده . وأوحى اليه أن يرفض المحاربة لو سألته شداد ذلك فما هو إلا من جملة العبيد والعبيد لا يحاربون الأسياء ،

وليس له ان يخالف امره ويخلع عن بدنه ثياب الخدمة ولبس الصوف فهو بين يديه عبد .

وسمع عنصرة كلام شيبوب ، وراه صوابا ، وأخذ العصا بيده وساق الإبل قدامه حتى تعلق في ذيل الجبل ، ووقف على رأسه ، وشيبوب يقود له فرسه الأجر .

ودارت رحى الحرب ، وثبت الكرام ، وفر اللئام ، وزاد الكرب على الفرسان ، وجرح قيس بن الملك زهير ، وأعطى بنو عبس للاعداء اكتافهم ، وأيقنوا بالهلاك ، وخرجت من البيوت الكواعب الأتراب ، وانكشف عنهن الستر والحجاب ، وأكثرن الانتحاب وشققن الأثواب ، وصحن في الفرسان ليثبتوا ويدونهم الى الطمان ، ولكن كثيرا منهم اختار العار- على ضرب الرقاب وزعق فيهم بوق الشتات والخراب .

وهنا تحرك مالك والدعبلة ، وطلب من أخيه شداد أن يستنجد بعنصرة ، وحدث الصراع في نفس شداد ، فهو قد حرمه من أبوته ، وقسا عليه هو وأخوه ، والآن يطلب منه أن يحارب للذود عن القبيلة ، وقال لأخيه إنه مابقي لهما مع عنصرة سبب يدعو للوقوف معهما .

وكان ذلك أقوى تعرف من الأب باحتياجه للابن . لقد احتاجه كثيرا ، كما تخلى عنه كثيرا أيضا ، ولكنه الآن في قمة مراحل التعرف لهذا الاحتياج . والتفت شداد فرأى عنصرة واقفا على قمة الجبل .

وتبدى التقابل بين مواقفهم في الحرب ومواقف عنصرة منهم فهم في ذلك الكرب الشديد وعنصرة يضحك على بنى عبس ، ينظر ما حل بهم من دمار وأخوه شيبوب قدامه يرقص بالمزمار . وهنا يهمز شداد حصانه ويقف أمام ابنه ، فتحتك العواطف وتعتدم ليتكون

الموقف المثير والنادر فى الأعمال الأدبية : الابن المهان ، فى مواجهة الأب المهيمن .. الحرية .. والتعرف على دوره ... والاعتراف به : ليست كل مايريد عنترة ، إنه يريد أن يحقق لنفسه وجودا متساويا بين الشرفاء من أفراد قبيلته : فقد يعلنون منحه الحرية ، والتعرف على دوره والاعتراف بنسبه ، ولكن ذلك لن يمثل شيئا إذا لم يعترف بكيونته إنسانا .. من حقه أن يتزوج بمن يحب ، عبلة ابنة مالك لقد أذل عنترة كثيرا من أبيه ومن عمه فجرؤ عليه من لايعدهم اكفاء له من بين أبناء القبيلة ، فرفضوا الاعتراف بحقه الكامل فى الوجود إنسانا .

يدور الحوار بينهما ، ويشهد وطيس المعركة بين عبس وطيء وخيول طييء تدخل البيوت وتقتلع الأوتاد ، وأخرجت النساء وسبيت عبلة ، فى حين ينظر إليها عنترة ووالده وعمه . وهنا توجه عمه مالك متوسلا اليه أن ينقذها ، فاشترط عليه إن هوخلصها من بلائها ومصابها أن يزوجه إياها ، فأقسم مالك من شدة ما أصابه بحق من خلق الجبال وأرساها ودحا الأرض وسواها إنخلصها من النوائب وفرج هذه الكربة عن الأهل والأقارب أن يكون لعنترة عبدا وتكون له عبلة أمة .

وحين يحدث التحول فى المواقف يتحول عنترة إلى سيد ويستذل مالك ، وبذلك يقف كل منهما عارفا بمكان الآخر . وهنا يتقدم شيبوب بالفرس الأجر ليتوكل عنترة على الملك المعبود فيذهب ليحارب فى سبيل نفسه ، فلم تكن هذه المعركة فى سبيل القبيلة أو فى سبيل عبلة وإنما كانت فى سبيل وجوده . وانتصار عنترة ، يعنى تعرف القبيلة انه فرد يوازي قبيلة . وما إن تنتهى المعركة حتى يتم تعرف القبيلة كلها ببطلهم والاعتراف به واحدا فى قمتهم من صلب أصلابهم ، وليقف الملك زهير قائما على الاقدام ويمشى بنفسه إلى عنترة ويقبله بين عينيه ويعلن أنه

لا يكون عنترة إلا كما يكون الولد وأنه أول من يخضع له من الملوك ، ولبيتم تعرف القبيلة على مكانته بينهم يعلن الملك بنفسه أنه الحق بالنسب وعلى الجميع أن يتعرفوا عليه على أنه ابن عمه ، وأنه لحمه ودمه ، والمفرج عنهم وعن أموالهم . ويضعه موضع الصدارة من نفسه ومن قبيلته ، ويطلب من ساداتها أن ينادوا عنترة بمثل مايناديه به ، ويرتفع الملك زهير بعنترة فوق النسب فيذكر أنه صديقه ورفيقه كما أنه ابن عمه ومن يرجوه عند ضيقه .
(السيرة : ص ١٨٩ - ٢٠٠)

ولقد لعب الاخ ظالم دورا مختلفا في حياة أخيه مظلوم بن الصحصاح الذي كان يعرف أنه مظلوم ويعرف ظالمه ، ويعرف أن قبيلتهما تخضع له ، فلا تعترف له بحقه خوفا منه ، وهو يريد من أخيه الاعتراف بحقه . والاعتراف هنا إعلان بتعرف حقيقته على الملا أخا لظالم ، وإذا أراد أن يحقق هذا الاعتراف فليس أمامه إلا الثورة على أخيه .

واجتمع له من فرسان أبيه الصناديد من بنى الوحيد وعدتهم خمسة آلاف رجل ، وكان الصحصاح يتقوى بهم على العرب الذين في البطاح ، وكان فيهم زهد وصلاح . وأكثرهم قد ربي في زمان الصحصاح . وبعد أن تاهبوا ، أخذهم مظلوم ليواجه ظالما ، فلا بد أن تقع المواجهة ، وقسمت هذه المواجهة بنى كلاب ، فانقسموا قسمين : الأول تعرف عليه ، والثاني تجاهل معرفته لحقيقته ، وقف مع مظلوم مشايخ الحى المعروفون الذين كانوا مع والده ، فقد راوه أشبه الناس بأبيه .

وهنا تصادم الفريقان . ولما رأى الناس فعال مظلوم تشبه فعال أبيه ، انضم الى جانبه عدد كبير من الفرسان . وتدخل مشايخ بنى كلاب ، ومن شهدوا زواج الصحصاح بأم مظلوم فى محاولة للصلح ، فهم لا يريدون من ظالم أن يسن سنة مذمومة بين العرب ،

وحكموا كتاب الله فى قول رب العالمين إخبارا عن موسى وهارون :
« واجعل لى وزيرا من اهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ،
وأشركه فى امرى » (٢٠ طه : ٢٩) وانتهوا إلى أن يكون مظلوم
وزير أخيه الأكبر ظالم .

(مجلد ٢ ، ج ٧ ص ١٠١ - ١٠٧)

وإذا كان مظلوم قد استطاع أن يعرف قبيلته بنفسه فى معركة ،
فقد كانت رحلة العودة من الغربة رحلة قتال .

(السيرة : ١٠٤ - ١٠٧)

وإذا كانت غربة مظلوم قد انتهت بتعرف أخيه عليه واعترافه
واعتراف القبيلة بحقه ، فإنه تسبب فى اغتراب ابنته ذات الهمة ،
حتى فقدت معرفتها بحقيقتها ، وقطعت طريقا طويلا حتى تحققت
لها هذه المعرفة .



لقد أقامت ذات الهمة عند قبيلة طيء تقطع الطريق على
العربان . وكان من بين ما استولت عليه أربعة آلاف ناقة كانها
العقبان ، وهى حمر الوبر ، كثيرة اللحم ، موسوقة شحما ، وكانت
تلك النوق لأبيها مظلوم . فخرج مظلوم ليسترد ماله من أعدائه بنى
طيء .

والتقى الأب بابنته فى ساحة الحرب ، لا يعرف أحدهما الآخر ،
وأخذا فى الضرب والطعان والفراشق بالسهم والرمح ورأها مظلوم
كلما طال قتالها ناضلت واشتدت وعظم قتالها حتى لم يبق فى
أيديهما غير العقبين . وأشهرا سيفيهما ، وتضاربا بهما حتى
ملاهما الغبار وطلع النهار وأزورت الأبصار وحارت الافكار . وهكذا
تصور السيرة هذا الموقف ، وتطور لحظة لقاء الأب بابنته ، بأنه
يشفق عليها ويرجع نفسه عنها بالمحبة والشفقة . وكان كلما هم بها
لاتبمد يده نحوها وكأنها مشلولة

أما هي فصارت تلعب به في الميدان ، كما يلعب بالعصفور ، ولم يزالا كذلك حتى الغروب وقد شعر مظلوم أنه هلك وضاق منه الصدر ، بينما رأت فيه ذات الهمة قوة وانطبقت عليه وقبضت على أطرافه ، وأقلعته من سرجه وأخذته أسيرا وجلدت به الأرض وأوثقتة . ولم تكف حتى شدته على ظهر جواد وسلمته لمرزوق ، ثم عادت لتحارب بنى الوحيد فولوا منهزمين . لقد أصبح الأب أسير ابنته . وكان أسره حدثا عند بنى طيء ، وحدثا عند بنى كلاب . فرحت بنو طيء بأسر عدوهم ، وفرح ظالم بالتخلص من أخيه ، ولكن الأسر لم يكن شرا على مظلوم وإنما كان خيرا ، فلقد قامت الجارية بتعريفه على ابنته ، فلقد أفرد لمظلوم بيت يقضى فيه أسره ، حتى يتم في الغد قطع رقبتة ، وكان مولاهما كان يرى الانتظار حتى يحضر جميع بنى تميم مقتل مظلوم ، فإن أسره حدث من أحداث بنى طيء الجسيمة .

نظرت جارتها سعدى الى ما يحدث لمولاهما وكانت تحب أن تخبرها أنه أبوها قبل لقائها به ، ولكنها خافت من ذات الهمة ، أما الآن وهي ترى السيد مكبلا بيد ابنته ، فإنها ترى أن من واجبها أن تبلغ ذات الهمة بالحقيقة وأن تجعلها تعرف من هي :

وضعت المرأة البرقع عن وجهها ، وذهبت الى مظلوم وتحسرت لحاله فأخذت تكي ، وعادت إلى ذات الهمة ، فسألتها عن سبب بكائها ، فلم تخف منها ، وقامت بدورها في عملية التعرف بين الأب والبنات ، وأخبرتها بأن أسيرها هو والدها ، وأنها ابنته من صلبه .

ولم تستغرب ذات الهمة ذلك ، فقد كانت تشعر نحوه بشعور غريب ، كما كانت تشعر أن هممتها تسمو في يد المراتب العالية ، وأنها ليست من نسل العبيد . وقصت عليها سعدى قصتها ، فما إن سمعت القصة حتى سجدت شكرا لله تعالى ، إذ كانت من أولاد الملوك ملوك العرب أهل الحساب والرتب ، وطلبت من سعدى أن

تخبر والدها بالحقيقة ، فرأى كيف انه القى بابنته بعيدا لأنها لم تكن ولدا ، فإذا بها فارسة قادرة على هزيمة الأبطال ولو كانوا مثل مظلوم نفسه ، فسجد له شكرا أن أخرج من ظهره هذه اللبوة ، فله الحمد والمنة .

وهكذا تم التعرف والاعتراف فى لحظة واحدة لتنتقل ذات الهمة بعد ذلك مع والدها وتبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياتها .

وإذا كانت ذات الهمة قد التقت بوالدها وجها لوجه فى معركة حامية ، وتم التعرف بينهما واعترف الوالد بابنته ، فإن ابنها عبدالوهاب سار طريقا شائكا واجه فيه والده وجده فى معركة دون أن يتم بينهما اعتراف ، وكان الوالد نفسه فى موقف المستنكر لهما ، وكان الأمر قد وصل به إلى أن لا يكون الاعتراف شيئا مذكورا بالنسبة له ، فقد حدث أن عرف ، وكانت المعرفة فى طريق من العذاب .

وإذا كانت ذات الهمة قد التقت بوالدها . وقامت بعد ذلك جارتها بدور التعرف بين الأب وابنته ، فإن الأخت لعبت دورا مهما فى عملية التعرف فى حياة بطلين من أبطال السيرة الشعبية ، وهما هجرس وأبو زيد .



لعبت اليمامة بنت أخى المهلهل دورا مهما فى تعريف المهلهل بأخيها الجرو . فلقد تمت المواجهة بين العم وابن أخيه فى ساحة القتال . وقد تمت فى الواقع بإرادة جساس ، إذ استدعى جساس الجرو من غربته عند الأمير منجد فقد علم أنه يقيم وأمه الجليلة عنده ، فأرسل له أخاه سلطانا فى جماعة من الأبطال ليأتوه بأخته الجليلة وابنها الجرو . وهناك اجتمع سلطان بهما واعتذر لهما عما فرط منه وطلب اليهما الرجوع إلى ديارهم ، من الغربية . والجرو ١٥٠

يشعر أن هذا ليس وطنه وأنه مغترب ، ولم يكن قلبه يعيل الى
جسّاس أو إلى أى أحد من بنى مرة ، وهو متعرق شوقا ليثار ممن
كان يظن أنه سبب يتمه ، أى المهلهل . وقد أشعل جسّاس
إحساسه بالحقد على المهلهل حتى يقتله ، فالجرو فارس ولطه
الوحيد الذى يمكن أن يقتل المهلهل فإن قتله فقد خلص منه ، وإن
قتل المهلهل الجرو فإنه بذلك يقتله ألما .

وتقترب اللحظة الحاسمة ليتواجه الابن بعمه فى صراع
مأساوى تتشابك فيه العواطف وتحتد ، وجسّاس يزيد النار اشتعالا
فى قلب الفتى ، ويزكيها بالشعر المربع :

فلا ابنى ولانحن مثالك
إنسا حكك فى ملك خالك
أنا أبكى على المرحوم بك
قتله الزير فى ربك وحيك
فقم اركب يا ابن اختى
واشفت للمهلهل أى شختى
سالت الله أن تاخذ بشارك
وتقتله بسيفك أو سننك
مرادى تكشف عنك عارك
وتحرّقه يا جريوى بشارك
(قصة الزير : ص ١٤٠)

ولاتمر اللحظة الحاسمة عابرة فى حياة المهلهل وبنات كليب السبعة
ولا فى حياة جسّاس ، فالأحلام وقراء الرمل يهيمون بالحدث ، ولكن
الجميع يتناسى لياخذ اللقاء مكانه فى أحداث السيرة .

أبلغ الجرو أمه أنه يريد حصان خاله الأضرع ، وأنه سيعطيه
عوضا عنه رأس المهلهل ، فوهبه الحصان ، ووعده إن قتل المهلهل
أن يكون عليهم ملكا .

وخرج الجرو يريد أن يدفع ثمن الحصان ، والتقى بعمه في ميدان القتال . مال قلب المهلهل اليه ، وتحركت جميع أعضائه نحوه بينما الجرو يضمم قتله وأعداه ليوفى جساس وعده بدفع ثمن الحصان ، ويحاول الزير هنا أن يبطل مضاربه بحسن اختياره ، ولم يكن قلبه يطاوعه على قتله ودماره . واستمر الحال على هذا المنوال حتى دقت طبول الانفصال .

عاد المهلهل إلى معسكره واجتمع بينات أخيه وحدثهن بحديث الغلام وكيف أنه أشبه الناس بأخيه كليب في الصورة والحرب :
يمامة ، اسمعي مني كلامي

أيا ست الملاح المحسنينا

برزت اليوم للميدان حتى

القتل ال مر اجمعينا

فبارزني فتى منهم غريب

له عزم كما الصخر المتينا

كمثل ابلكم وجهها وحربا

فذكرني ليلى الماضيينا

(هـ : ١٤٢)

وسال اليمامة أن تخبره إذا ما كانت أمها حاملا ساعة خروجها إلى منازل أهلها ، فأخبرته الفتاة أنها كانت حاملا ولا تدري إن كانت قد أنجبت بنتا أم ولدا . وهكذا تكشف الاضواء الضعيفة شيئا جديدا للمهلهل ولابن أخيه ، فهو قد حارب ثارا لأخيه ، وثاره ، فقد قتل من آل جساس الكثير ، ولكن نيراته لم تهدأ لأن أخاه لم يخلف ابنا يرثه .

وإني ما بكيت على كليب

أخذت بثاره بالسيف مجهر

فابكى حيث ما خلف ذكورا

بنات الكل ماله طفل يذكر
(ص : ١٤٦)

وهو الآن يشعر أنه يواجه ابن كليب . واليامة تقوم بدور التعرف على أخيها ، وهي المرحلة الأولى في التعرف ، وهي على علم بالطريقة التي تختبر بها الجرو ، فإن كان أخاها فلا بد أنه ورث عادات أبيه ، فلها ثلاث إشارات يمكن أن تتعرف بها عليه . وقد أخبرها والدها قبل موته أنها ستحتاج هذه الإشارات إذا ظهر له بنون ، فإن فعال الآباء يرثها الأبناء . حملت ثلاث تفاحات ، ضربت والدها بالأولى فاستقبلها بركابه ، واستقبل الثانية برمحه ، وخطف الثالثة باليمين . وقررت أن تنزل الميدان لتختبر الغلام بهذه الإشارات :

ثلاث إشارات لى فى كليب
إشارات بعقلي راسخينا
ركب يوما بقربى مرة
وقل ايا يمامة لمانظرينا
من التفاح اعطاني ثلاثة
وقل بذى الثلاثة اضربينا
فإنك سوف تحتاجي إليهم
إذا ظهرت لنا حقا بنونا
ضربه بواحدة ياعم راحت
بضرب ركابه مثل الطحينا
وثاني واحدة راحت برمحه
وثالثها خطفها باليمين
غدا انزل واضربه ثلاثة
كفعل ابى ايا عمى الحنونا

يكون أخى إذا سوى نظيره
وإن خالف يكون غريب منا
(ص : ١٤٣)

وفى اليوم التالى ركب الزير للحرب وركبت معه اليمامة وأخذت ثلاث تفاحات ، وكان الجرو قد ركب للقتال ، فصال وطلب الحرب والصدام ، فبرزت له اليمامة لتحاربه بدلا عن المهلهل فاستعظم الجرو ذلك ، وأخذت اليمامة التفاحة الاولى ولوحتها بيدها ثم ضربته بها فأخذها برجله مع الركاب فطعنها ، فضربته بالثانية فأخذها على سنان الرمح ، وضربته بالثالثة وقالت ياخالق الخلق اصح الباطل واظهر الحق ، فأخذها بيده ووضعها فى جيبه فتقدمت اليه وألقت بنفسها عليه ، وقالت : أهلا وسهلا يا أخى يا ابن أمى ، فأنت والله ابن الأمير كليب دون شك ولاريب ، وقد ربيت فى دار العدا ، والحمد لله الذى عرفناك بعد طول المدى .

وهكذا لعبت الأخت اليمامة الدور ليعرف أخوها نفسه وعالمه ، وليحدث الانتقال من دار الأعداء إلى دار الأهل والأصدقاء ، وليأخذ مكانه ، قائدا للجماعة ، وليس عدوا لها .

والدور الذى لعبته اليمامة لعبته شiche أخت أبى زيد ، وهى تقوم بدور تعريف الطفل بأبيه فقد استخدمت شiche نفس الإشارات التى استخدمتها جدتها الكبرى اليمامة ، ففى روايتى الحاج عبد الظاهر وعبد السلام حامد كانت تحمل تفاحا ، واستبدل التفاح فى رواية عوض الله بالبرتقال .



لم يلتق أبو زيد مع أبيه فى رواية عرب الشوا ، فأبوه لم يطرده ، وإنما تمت العودة ، عودة الأب لابنه . لذلك لم تلعب الأخت دورا فى التعرف ، ولكنها لعبته فى رواية سيرة بنى هلال المطبوعة دون أن

تذكر هذه السيرة العلاقات الخاصة بالتفاحات الثلاث ، فهي مرتبطة بوحدة مع النص المطبوع لسيرة المهلهل ، فلم تكرر الإشارات مرة ثانية .

وقد اختلفت أيضا طريقة مواجهة أبى زيد بأبيه ، فلا تعرف دون مواجهة ، فالتعرف تم بعد المواجهة التى أسهمت الظروف الطبيعية فى خلق الاسباب التى أدت لها كما ترويه سيرة بنى هلال المطبوعة . فقد شاع ذكر أبى زيد فى القبائل حتى وصلت اخباره إلى بنى هلال الذين أصابهم القحط ، إذ أقحلت أراضيهم ، فطلب ملكهم حازم فى ذلك الوقت أن ينظروا اليهم أرضا مخصصة ، ينزلون عليها ، ولم تكن هناك أرض فى خصب أرض الزحلان ، غير أنهم يخشون ابنه أبازيد ، فتحمل رزق مسئولية أن يكفيهم شر الغلام . ومن ثم رحلوا إلى أرض الزحلان ، ونزلوا إلى أحد عيونها واسمها عين قطف الزهور فأسرع الرعيان إلى الحى ، وأخبروا مولايم أن بنى هلال أنت ترعى فى مراعيهم .

وكان أبو زيد غائبا فى الصيد ، فصاح الزحلان فى قومه فدقوا طبول الحرب ، واتجهوا نحو بنى هلال ، وصاح فيهم الزحلان بأن يرحلوا من بلاده فيبرز إليه رزق يسأله أن يتركهم فى الأرض وأن يعطوه عشر دخلها .

وما إن فرغ رزق من كلامه حتى وقع بينهما الضرب ، وانتصف النهار وقد أصاب رزق الزحلان بضربة جرحته وأصاب عرق جواده .

وحين عاد أبو زيد من الصيد ، وجده طريح الفراش فارتدى يقبله ، ويتأسف لمصابه ، وهب حزيناً حتى الصباح ، فركب جواده وطلب الميدان والتقى بضيف بنى هلال غانم الزغبى الذى أخذته الحمية فخرج ليلاقى أبا زيد . وكان أبو زيد يطلب رزقا ،

فقد كان غائبا هذا اليوم في الصيد ، فالتحما في الحرب والقتال ساعة وثب فيها أبو زيد على غانم وضربه بحسامة البتار فجرحه جرحا بليغا القاه على الأرض ، وسأله أن يقوم مسرعا ليدأوى جراحه ويرسل غيره ، ونزل بعدها الأمير عمار فقطع رأسه ، ثم نزل القاضي فجرحه فاستجار به ، ففعل عنه .

ولم تزل الفرسان تنزل إلى أبي زيد ، وهو يصصرها حتى صرع عشرين فارسا ، وجرح ثلاثين ، وأسر أربعين .

وفي اليوم التالي التقى بالرجل الذي نصح والده بطلاق أمه ، سرحان بن حازم ، قطعته بالرمح وأصاب فخذه ، ثم هجم على بني هلال فشنت شملهم .

رجع رزق فوجد الصباح والعويل عند قومه ودخل على سرحان فوجده جريحا . ونصح سرحان رزق وأهله أن يرحلوا في ظلام الليل .

أنا الشورى عندي ترحلوا لبلانكم
في ظلام ليل شديد الغياهب
(سيرة بني هلال : ص ٣٤)

ولكن رزقا رفض وأعلن أنه سيرز له وغدا يكفيهم شره . وفي اليوم التالي التقى الأب وابنه في حومة الوغى ، فقد خرج أبو زيد إلى الميدان ، وبرز له الأمير رزق وصدمه فصمد له بركات والتحما في قتال حتى الظهيرة ، فتعب رزق وطلب من أبي زيد أن يتوقف القتال إلى ما بعد الظهيرة ، فقبل أبو زيد ونزل عن صهوة جواده .

وكانت شبيحة بنت رزق أخت أبي زيد في الهودج تراقب ما يحدث ، فشاهدت والدها يرفع حربته يريد أن يغدر بأبي زيد فصرخت في القلام تحذره من الغدر . وهنا قفز أبو زيد على صهوة

جواده وجدد الكفاح يضرب بالسلاح إلى أن جرح رزقا في فخذه
فوقع على الأرض ، فنزل أبو زيد ليقطع رأسه . وهنا تلعب شبيحة
نفس دور اليمامة عند نزال المهلهل مع ابن أخيه الجرو ، فتحاول
أن تهدئ الموقف ، فصرخت في أبي زيد تسأله أن يترك رزقا
عتيق سيفه ، فيتركه .

وتواجه الفتاة بتهمة أنها عشقت الغلام ، وتقف الفتاة تدافع عن
التهمة ، وتدين أباهما وتدين بنى هلال ، فقد نبهت الفتاة أبا زيد
حين أراد والدها أن يقتله غدرا ، لأن الغدر من صفات الانذال
ولاتريد لأبيها أن يكون نذلا .

أما أنها تعشق بركات فسألت قومها أن ينظروا إلى نعيم ومنعم
ابنى الزحلان فهما أبيضان وأخوهما أبو زيد أسود فسألت لماذا لم
يطرد الزحلان أمهم كما طرد أبوها أمها ؟ فلو كان أخوها معهم الآن
لحارب في صفهم . رفعت الفتاة صوتها تبرئ أمها من العيب
والعار .

حاشا للخضرا من العيب والخنا

وحاشا لشبيحة تتهم بالعار

نحن اصلايل يا امير وشرفا

من نسل طه صاحب الانوار

(ص : ٣٤)

وهناك شك سرحان في أن يكون الغلام ابن رزق ، وسألوا عبده
مرزوقا أن يذهب إلى مكة ليعرف حال خضرة . وحين عاد العبد
عرفت القبيلة أن خضرة لم تذهب إلى والدها بالطفل . فسألوا
قاضى العرب فايد عما صنع بخضرة وابنها ، فأبلغهم أنه أوصلها
إلى الزحلان وأنه يظن أن الذى يحاربهم هو ابن رزق .

وبذلك تتعرف القبيلة على الغلام ، وبدا واضحا أنها تريد
وتريد الاعتراف به . ولكن الفتى لم يتعرف بعد على العالم الذى
اغترب عنه طويلا .

نصح حازم رزقا أن ينزل الى الميدان ليواجه أبا زيد وأن يقول
له إنه لا يحارب ولدا لا يعرف أباه ، فالزحلان ليس أباه ، وأن عليه
أن يسأل أمه حتى تخبره عن حقيقة نسبه .

ترك بركات الميدان ومعه حشيشة إذا بلعها الانسان يصير كأنه
ميت ساعة من الزمان ، فذهب إلى أمه وقد بلعها ولما وصل إليها
وقع ميتا فولوات ومزقت ثيابها وغشى عليها وبكت ، وفى مكانها
أخذت تلص قصتها مع رزق ، ثم مالت عليه لتقبله ، ففتح عينيه
وأخبرها أنه حى ، فأكدت له ثانية صحة قولها .

تعرف أبوزيد على حقيقة مولده ، ولكن هذا التعرف خلق داخله
أزمة ، فهو لا يريد أن يتقبل العالم الذى رفضه طفلا ، إن عالمه هو
الذى عاش فيه أبوه الزحلان ، وقومه الذين يعرفهم هم قوم
الزحلان .

لقد كان أبوزيد - فى البداية - يحارب قوما يعتقدون على
الأرض ، أما الآن فهو يريد أن يحاربهم ، لأنهم اعتدوا عليه وعلى
أمه ، وخرج ليقاتل وهو مصمم أن يضع رزقا بين يدي الزحلان
يصنع فيه مايشاء . ورجع لبنى هلال يغير عليهم ويقتل منهم مقتلة
عظيمة .

تقدم سرحان منه يخبره أنه عمه ، وأن رزقا أبوه ، ويطلب منه
السماح ، فالدم لا يصير ماء . ولكن أبا زيد لا يفر لهذا الرجل أنه
اتهم أمه زورا وبهتانا فى شرفها ، ولذلك يجب قتله ، فحمل عليه ،
فولى هاربا نحو رزق الذى سخر من هروبه .

وطلب سرحان من رزق أن يذهب إلى ابنه يصلحه لعله يعفو عنهم ، وقد تحقق أنه ابنه ، فذهب إليه ليسلم ، ولكن أبا زيد لم يغفر ، فاتجه نحوه بحقد الابن على أب القى به وبأمة وحيدتين فى الفلاة ، ولام أباه على طردهما وتركه للزحلان يربيه ، ثم يأتون بعد ذلك ليعتدوا عليه وعلى بلاده . وظهر جليا أن أبازيد يريد قتل والده ، فحمل عليه ورزق يتوارى من ضرباته ، وهو لا يستمع إلى توسلاته ، ثم ضربه بالدرقة فنزلت على رأس الجواد ، وقفز رزق على الأرض ، فكشفه أبوزيد ، وساربه إلى الزحلان ، وهناك اعترف رزق بخطئه . وأبوزيد لا يغفر له بعد ، فإذا كانت هلال تغامزت عليه ودفعته إلى تطلق خضرة فلم يكن لديه المبرر الكافى لأن يتقبل قولهم ، وهل لو قال له أحد : ارم بنفسك فى الجب ، أكان يرضى ؟ وهو أيضا يخالف بذلك كلام ربه فى تكوين خلقه ، فإذا كان الابن لا يشبه أباه أيقال عنه إنه ابن زنا ؟

. فانظر إلى المخاليق كلهم

ترى صورهم دوم مختلفات

فهذا أبيض كأنه البدر فى السما

وهذا تراه يشبه الفحمت

فلو كنت عاقلا ماسمعت كلامهم

وتشمت بك الأعداء والسلدات

(السيرة : ص ٣٧)

فدخلت خضرة وطلبت من أبى زيد أن يطلق سراحه من أجل كرامتها عنده . وقد أدى طلبها هذا إلى أن يخجل رزق من فعلته ويعتذر على أنه فارقها بغير إرادته ، وأنه - منذ رحيلها وهو كالماتر المقصوص الجناح ، حرم على نفسه الزواج من بعدها :

وفارقتك حقاً إرادتى

وصرت مثل طير مقصوص الجناح

وحرمت اتزوج انا بعدك ونقت العذاب ونمت بجراح

ثم أعلن على الملا وأمام الزحلان اعترافه بأن أبا زيد ابنه من صلبه . ولم يهدى هذا الاعتراف أبا زيد ، فتعرفه أنه من قوم تخلوا عنه في طفولته ترك في نفسه جرحا عميقا من قومه . وحين سألوه البقاء بينهم مدة من الزمن وجه اليهم كلمة واضحة : أن يعودوا لأرضهم وبلادهم ويقاسوا بها الجوع .

يا هلال ، عودوا لأرضكم وبلادكم
وقاسوا بها الجوع وممر المحاليل
(السيرة : ص ٣٩)

وكان على بنى هلال أن يصنعوا شيئا ليزيلوا الجرح الدامى في قلب أبى زيد منهم ، فقرر الأمير حازم أن يذهبوا حفاة نساء ورجالا إليه ، عله يعفو عنهم ، فذهب إليه مائة رجل ومائة فتاة ، فلما رآهم استقبلهم ورحب بهم وصافحهم ، وعفا عنهم .
(السيرة : ص ٢٢ - ٣٩)

أجمعت بقية الروايات الشفهية على أن أبا زيد بعد هذا التعرف لم يذهب مع بنى هلال ، وإنما بقى بين الزحالين ، فكانوا قومه ، عرف بهم ، وعرفوا به في كل رحلة حرب يقوم بها أبو زيد .

وفي رواية عبد الرحمن شيفة لا يذكر دورا لشبيحة في القيام بعملية التعرف بين أبيها وأخيها ، فاسمها لا يذكر إلا بعد أن تم التعرف ، وأنها قد أطلقت الزغاريد فرحا بأخيها ، واستأنزت لتذهب مع الجازية وفتيات بنى هلال إلى أخيها أبى زيد فتعود به إلى أهله .

• وشبيحة طلقت الزغاريد فرحت بخوها وطلبت المشى مع

الزازية وبنات هلال يجيبوا أبوزيد خوفا لوسط اهله ،
(من أقاصيص بنى هلال ص ٦٤)

تذكر رواية عبد الرحمن ثيفة أن أباً زيد كان يعرف أن شيخ النجع الذى رباه ليس أباه ، فهو لم يره قط يدخل بيتهم وعندها فهمت الأم أن ابنها أصبح مدركا فقصت عليه قصتها مع بنى هلال وطردها من منازلهم . وحين التقى أبوزيد بقومه كان له من العمر عشر سنوات . وذكرت الرواية أن بنى هلال قدموا الى منازل الأمير دون مقدمات ليأخذوا الجزية من النجع الذى تقيم فيه الشريفة خضرة .

« عامتها جات سية خيل من لأولاد هلال لذاك الحى كى كل عام باس نقلوا الجزية السنوية من اهل النجع إلى فيه قايسة بنت الشريف » (ص ٦٢) .

وقد وقف أبوزيد ضد المعتدين وشتمهم ، وتذكر الرواية أن أمير بنى هلال كان فى ذلك الوقت سرحان ، وليس حازما . وبقيّة الروايات الشفوية تتفق فى ذلك . ولقد أرسل حسن الهلالى رزقا فى مائة فارس اليهم ليؤدّبوا هذا الحى . ووقف الأمير رزق فى مواجهة ابنه دون أن يعرفه . والرواية هنا فى التفضيلات ، فما أن تواجه الأب والابن حتى وقع التعارف بينهما . والرواية تذكر « وضد كل منهم بجيبته » (ص ٦٥٤) . أى أن الرواية هنا تتفق مع سيرة بنى هلال المطبوعة فى أن أبازيد لم يذهب معهم . ويختلف دور شيخة فى كل من الروايتين . فبينما كان دورها إيجابيا فى الرواية المطبوعة لايصبح لها دور قبل التعرف .

وفى رواية الحاج عبد الظاهر تلعب شيخة دورا أكبر مما فى الروايتين السابقتين فى عملية تعرف الابن بابيه .

كانت شيخة أول من عرف الحقيقة من بنى هلال . وتذكر الرواية

أنه بعد أن قتل أبوزيد جایل ذهبت زوجته الى بنى هلال تستنجد بهم ليأخذوا لها بالثأر منهم . وكانت سن أبى زيد فى ذلك الوقت سبع سنوات .

وكان واضحاً فى الرواية أن الزحاليين قوم ضعاف ليست لهم هبة بين قبائل العرب ، حتى أن شiche ترفض أن تكون أمها من الزحاليين استصغاراً لشأنهم ، وقد كان غريباً أن تهزم قبيلة الزحاليين شخصاً مثل جایل . وقد عرفتهم زوجة جایل بأمر العبد الذى قتل زوجها ، فدقوا طبول الحرب ، وذهبوا الى الزحاليين ، ولم يكن معهم رزق الذى اعتزل بنى هلال منذ زمن . وبعد أن نصبوا خيامهم أخرجوا منادياً ينادى للحرب ، يذكر الراوى .

« كان العرب لما يروحوا بلد لبلد يطلقوا منادى يقولوا الحرب جات لصحابه ، يعنى الحرب جات أصحابه اطلعوا ،

تسامع هذا الصباح عند الزحاليين ، فذهب أبو زيد لأمه . وقد لعبت الأم - فى رواية الحاج عبد الظاهر - دوراً حيويّاً فى المعركة بين الأب وأهله . هذا الدور كان غائباً فى السيرة المطبوعة ، وفى رواية شيفة . فلقد حددت الرواية علاقة أبى زيد بأمه . يذكر الراوى .

« كان هنا أبو زيد يعتبر أمه وأول ما أمه تصيح عليه ، يقول لها ادعى لى ، دعاكى من الرحمن » .

وكان يستشيرها قبل أن يقرر أمراً من الأمور . وحين سمع أبوزيد نداء الحرب فذهب إلى أمه وأخبرها أن قوماً يسمون الهلايل ينادون للحرب ، وكأنما كانت المرأة تنتظر حضورهم وتتمناه ، فالحظة لحظة مواجهة بالنسبة إليها ليتعرف الجميع أنها خلفت الطفل البطال (أبوزيد) وأنها من أصلايهم وأنها الشريفة صاحبة الشرف المصون .

طلبت الأم من ابنها أن يحبرها بأسماء الذين سيواجهونه فى

الحرب ، فكان المنادى إذا نادى باسم من الأسماء يطلب القتال ليعود ابو زيد لأمه فيخبرها باسمه فتحدد له ما يصنع . قسمت خضرة الهلايل الى قسمين ، قسم عاداها واتهمها ، وقسم تعاطف معها . فأما الذين عادوها فطلبت من ابنها أن يقتلهم ، وأما الذين تعاطفوا معها فكانت تطلب منه الا يقتلهم وإنما يأتى بطرف من شاشاتهم .

نفذ ابو زيد وصية أمه فى الهلايل ، وهزمهم هزيمة منكرة وأصدر فيهم حكمه « حكم عليهم لانار تضوى ولاجمل يقعى ولا كلب يعوى » . وكان فى هذا الحكم اذلال لبنى هلال ، لم تذكره سيرة من السير . فقد نزلوا على هذا الحكم مما دفعهم إلى الاحساس بالحاجة الى والده رزق بن نايل الذى اعتزل العالم بعيدا عن بنى هلال وعن كل البشر باستثناء ابنته شبيحة فأرسلوا له عبده نجاح ليأتى به من منفاه الاختيارى .

ترك رزق شعره يطول وينزل على اكتافه ، كما ترك ذقنه دون أن يشذبها طيلة السنوات السبع التى ترك فيها خضرة . وحين وصل نجاح إلى مقره بعد ثلاثة أيام من السفر كانت شبيحة أول من رآه ، وكان أول شيء خطر على بالها أن والدتها عادت الى النجع . وحين رآه رزق تصور أن خضرة عادت الى النجع ثانية . ولكن نجاح أخبره أن بنى هلال فى مأزق صعب ، فقد ظهر عبد فى بنى الزحلان حكم على الهلالية بالذل والمهانة ، وأنهم يطلبون منه أن ينجد قومه .

شد رزق الرجال الى حيث بنى هلال ، فأدرك صحة ما قاله نجاح ، فلم يجد عندهم جملا يقعى ولا نارا تضوى ، ولا كلبا يعوى .

احتفل بنو هلال بعودة رجلهم وقد أخبروه بما حدث لهم .

فأخرج مناديا ينادى للحرب ، فأعلم أبو زيد أمه أن رزقا ابن نايل هو المتقدم للطعان .

كانت هذه اللحظة حاسمة بالنسبة للمرأة فلا تريد ابنها أن يقتل أباه ، فقالت وهي تدعو له :
”أوع يا ولدى .. ادع لك ، ليل مع نهار ، أوع تكتله ، ولا تجرحه أوع تقرص عليه .. والله معاك“ .

نزل أبو زيد الحرب في مواجهة والده .. لا يعرف أحدهما الآخر ، والأم تريد أن تقتل بنى هلال ، ولا تريد ابنها أن يعرف أنه يقتل أباه ، إنها فقط تريد أن تطمئن إلى أنه لن يقتله .

طالت المواجهة بين الطفل الفارس والاب الفارس من الصباح حتى العصر ، وبعد العصر أخذ الطفل البطل أخته شبيحة أسيرة من أبيه .. يذكر الراوى أن العرب كانوا إذا ساروا للحرب خرجت النسوة خلفهم لتشجع الرجال على الصمود للحرب .

نبه أبو زيد على الزحاليين ألا يدخلوا على الأسيرة ، ولم تكن تذهب إليها سوى جاريتها سعيدة ، تقدم لها الطعام والشراب ، فوجدت الفتاة حزينة ، تذكر أمها ، وتعدد بقصائد حزينة على فقدانها وما حدث لها ، فتألمت لها سعيدة ، وأخبرت أمها بحالتها ، وهنا حدث التعرف بين الأم وابنتها ، فلم تستطع خضرة أن تتحمل وتصبر على عدم رؤيتها فدقت عليها الباب ، ولم تصدق الفتاة أن المرأة التي طرقت عليها الباب هي أمها ، وتصورت أن الزحاليين الذين تحتقرهم يسخرون منها . وعندما إلتقت البنت بأمها كانت المفاجأة شديدة عليها فسقطا معا على الأرض مغشيا عليهما من شدة التأثر .

وطلبت خضرة من ابنها بعد ذلك أن يأخذ شبيحة على هجين إلى أبيها ، فهي تعلم أن أسر شبيحة قد يدمر الرجل ، وعندما وصل

بهجينها قرب مكان رزق تركها ومضى ، ورزق يتعجب من هذا العبد
فلا يمكن أن يكون شخص مثله إلا حرا من كرام الأحرار فهو
أشجع من قابل من الفرسان .

لم يبق بعد ذلك إلا أن يتم التعرف بين الابن وأبيه ، وهنا تلعب
شيخة نفس الدور الذى لعبته اليمامة جدتها الكبرى ، وكما صنعت
اليمامة مع هجرس وألقت اليه بثلاث تفاحات تتكرر القصة فى رواية
الحاج عبد الظاهر ، وهى كما جاءت فى روايته .

« المهم ياشيخ العرب : طلع الصبح للحرب .. ووراه شيخة تغنى
وتجيب قصدان .. هنا شيخة مسكت ثلاث تفاحات .. دلوك عاوزه
شيخة تورى أبوه وتوريه ده مين ؟ ابنه . مسكت ثلاث تفاحات .
راحت رامية اول تفاحة لأبوزيد .. اتلقاها بطرف السيف .. يعنى
شوف اهيها ازاي .. واتلقاها ازاي بطرف السيف .. قرص على
مين ؟ .. على أبوه .. ميعرفش أبوه .. قرص فى الحرب .. تعنى زود
.. قوم راحت راميه الثانية ، لقفها من الركاب يعنى بركاب رجله ..
رمت الثالثة لقفها بيده » .

كانت تريد أن يفهم أبوها أن أبيا زيد ابنه ، كما كانت تريد من
أبى زيد أن يفهم أن رزقا أبوه ، ولما لم يصلح الرمز خافت على
والدها وصرخت فيهما أن يرفعا أيديهما وقالت كلاما بالرمز لأبى
زيد يفهم منه أنه يحارب والده فيتعرف الابن على أبيه ، كما يتعرف
الأب على ابنه ، ويسقط الاثنان - من شدة الدهشة والتأثر - على
الأرض مغشيا عليهما .

استيقظ الأب والابن بعد ساعات ثلاث ليتعرف كل منهما بالآخر
واجتمع الشمل بعد التعرف ، واحتفل فضل الزحلان بالقوم احتفالا
كبيراً ، وكان أبو زيد يقدم لهم صينية الطعام ، ويذكر الحاج
عبد الظاهر أن أبازيد "أعطى كل رجل نايه" إلا والده "والنايب"

يعنى فى لهجة أهل الأقصر . نصيب الفرد من اللحم ، فهو سيد الطعام .

وغضب اتباع رزق بن نايل من العرب على صنيع أبى زيد إذ كيف يترك سيدهم بلا "نايب" ، وطلب منهم أبو زيد الا يغضبوا وقال لهم "هوفاتنى فى القماط ، وأنا فته فى السماط" ، فاتضح أنه مازال متألماً من موقف أبيه . غير أن السيرة كما يرويها عبدالظاهر تعيده مباشرة الى أهله ليأخذ حقه منهم ، فقد أعطى أبوزيد نصيبه كاملاً فى كل ما تكتسب القبيلة بمقدار الربع ، وتساوى فى ذلك مع دياب وزيدان والقاضى بدير ، وهؤلاء يمتلكون الجيل الذى يسير معه رحلة "العبور" .

أعطى أبوزيد نصيبه إلى الرجل الذى رباه ، فضل الزحلالن وتدخل الزحلالين حلقة بنى هلال القبيلة فكانوا شركاءها بعد ذلك فى كل حروبها ومعاركها هزيمة وانتصار^٩.

وفى رواية عوض الله عبد الجليل ذهب عرب جايل الى سرحان يستجدون به ، وأمر سرحان الهلالين ان يشدوا رحالهم نحو الزحلالين ، والتقى سرحان مع الطفل فهزمه ، فما إن وجد نفسه فى الخلاء حتى هرب .. والتقى من بعده بالأمير فايد فجرى إليه أبوزيد يغرسه ، لم يرد قتله وإنما اقتطع قطعة من شاشة وتركه بعد ذلك حراً . وفى رواية عوض الله فى ١٩٨٧/٢/٢٨ أن غانم نزل لمقاتلة أبى زيد فقتله ، وفى روايته التى رواها لى فى ١٩٨٢/٤/٨ يذكر أنه جرحه فقط ، وتذكر رواية النادى عثمان أنه عاش حتى جيل الأيتام وأنه تشفع لأبى زيد حتى لا يقتله دياب .

وقد انتهت رواية عوض الله عبد الجليل والروايات الشفهية لعبد السلام حامد والحاج عبد الظاهر إلى أن أباً زيد هزم بنى هلال هزيمة منكرة ، وأنهم لجأوا إلى رزق بن نايل على يعود من منفاه

الاختيارى ، فهو قد أقسم يمينا منذ أن طلق خضرة الا يبقى مع
بنى هلال .

ذهب ناجح والد قمصان - واسمه أيضا نجاح فى نفس
الرواية - إليه فى الجبل ، وعاد به إلى أهله لينقذهم من هزيمة
محقة وتحاربوا ثلاثة أيام حتى أن شiche تعجبت من الطفل
البطل :

وتحاربوا بميسرة وردوا يمين
إلا نزل فى الحرب أيا سامعين
ثلت أيام ع اللى جرى
وشiche قالت يا هل ترى
والله حربه يابوى ماجرى
جايلك يا امير فى الوغى

وتسرع الأحداث هنا لتصل إلى عملية التعرف بين الأب وابنه
وتقوم بها شiche ، وتستبدل بالتفاحات هنا برتقالة ، ولاتشير الرواية
إلى ثلاث برتقالات وإنما برتقالة واحدة تلقىها لأخيها فيقسمها
نصفين وتستمر الحرب :

إلا مسكت برتقالة تشوحها فى وسيع الفلاة
مسكت البرتقاله وشوحتها
شافها الهلالى خطفها باليمين
واقسمها نصين

وسكن الفرس منه والوحوش تراه
عمد ع الهلالى حوم فى حومة اللقا ،

ولم تستمر هذه المواجهة طويلا ، فقد تعرفت شiche على أبى
زيد وقامت بدورها فى تقديم الأب لابنه والابن لأبيه ، فصرخت فى
أبيها بأن الطفل البطل هو ابنه ، وحذرت الابن من الاستمرار فى
الضغط على خصمه فهو أبوه ، فقد يقتله ويصبح عجيبة من

الاعاجيب ، فلما سمع أبو زيد كلمتها وقع سيفه على الأرض واقترب من أبيه وعانقه بينما خضرة تزغرد من فرحتها إذا تم التعرف بينهما دون خسائر تذكر ، فلم يكن هذا التعرف في حاجة إلى اعتراف من الأب بابنه ، فقد كان بنو هلال جميعا قد احترموا هذا الابن ، حيث أخذ مكانته بينهم من الاحترام والتقدير لمواقفه وقدرته البطولية التي جعلت تعرفهم عليه كمسا لبني هلال أنفسهم :

قالت له شبيحة يانضيف التنا
بذاته ابنك في وسيع الفلا
شبيحة قالت له ياهلالى
ابوك لتكتله ياغربة وتصبح بلاه
لتكتله ياغربه تسكنه لحود الترى
نبقى ياسلامة في وسيع العجاب
إلا الأمير ابوزيد وقع سيفه فوق التراب
حوم على أبوه لما اتاه
وعانقه شمال ويمين
خضرة زغردت ، قالت يانفس جلنا الهنا
والهنا لبنا يسير
وحياة نبينا المصطفى نضيف التنا

وكما دعاهم الهلالى للطعام في رواية عبد السلام ورواية الحاج عبد الظاهر ، فقد دعاهم في هذه الرواية وقدم لكل الموجودين طعاما باستثناء والده الذى تخطاه أكثر من مرة وهو يرحب بضيوفه ، تعجب منه الهلالية ، فهو يريد من ابنه أن يتصرف معه كما يتصرف الابن الصغير مع أبيه :

«قلت أبوه في وسيع السما
قال له ليه ياهلالى تفوتنى شمال ويمين
إيه اللى جرا لك يابنى وانت مفي صغير ،

رد عليه أبو زيد رداً كان فيما يبدو مستعداً له ، فالكلمات توضح أنه كان يقصد أن يعترض عليه الهلالي ليدكره على الملا بخطيئته في تركه . والكلمات هنا قريبة لما يذكره الحاج عبد الظاهر وما يذكره عبد السلام حامد ، فالهلالي الكبير يستنكر أن يتركه الهلالي الصغير في السماء ، ويتعجب الهلالي الصغير من أبيه لاستنكاره وهو الذي تركه صغيراً في القماط ، فهي واحدة بواحدة :

« قال له أنت فتني في القماط
وانا فتك في السماء .
عيبه وسوت عيبه يامقدام هلال
عيبه وسوت عيبه يانضيف التنا

ويتسيد الطفل بعد هذا التعرف عالمين ، عالم الزحلان ، وعالم الهلالية ويجعل منهما عالماً واحداً .
وإذا كانت الأخت شبيحة قد لعبت دوراً مهماً في عملية تعرف أبي زيد وأبيه ، أي تعرف بطلين من أبطال السير بأنفسهما ويعالهما فقد قامت العمة الجاز بهذا الدور خير قيام لأيتام بني هلال ، فإن هذا التعرف كان مختلفاً عنه في بقية السير ، فهو تعرف بالذات في مواجهة الأعداء وليس تعرفاً للذات في مواجهة الأقرباء ، كما تبدو في كثير من السير ، إنها مواجهة مختلفة وصعبة .

ولقد حانت لحظة التعرف كما تراها الحكمة الجاز بعد انتصار على أبي الحلقان بن أبي زيد على اليهودي ، فقد كانت الجاز تراقب المعركة ، إذ أنت اللحظة الحاسمة للثأر ، ولأن يعرف الأطفال دورهم الذي دربتهم عليه الجازية ، ولاتوضح الرواية إن كان الأطفال يعرفون حقيقتهم أم أنها كانت مجهولة لهم . تذكر رواية

النأى بلا مقدمات أن الجازية قالت لعلى ألا يخبر البياضى بأنه ابن الهاللى والطفل البطل يرفض نصيححتها ، ويوضح الحديث الذى دار بينهما أن معرفته بنفسه معرفة حديثة ، وإلا فما معنى أن يرفض أن يكتم حقيقة فى هذه اللحظة ، والصورة التى برزت بها شخصية أبى القمصان تشير إلى أنه فارس جاد يملك فروسية أبيه ولا يملك تدبيره الحكيم ، وبخاصة أن التدبير الحكيم علمته له الأيام . أما فروسيته فقد نشأت معه منذ ميلاده ، وعلى فى هذا مشابه لأبيه يكرر نفس موقفه ، إلا أن تعرفه واقعه يدفعه للفخر به فيتجه هو بنفسه إلى محمود البياضى عدو العائلة القديم والصديق الجديد فهو مربيههم ومربى الأيتام .

وقد ذهب على بعد حوار مع الجاز إليه ليعرفه بحقيقته التى كانت غائبة عن الطفل ، كما كان الطفل والجاز يتصوران أنها غائبة عن البياضى كما فى رواية النأى عثمان :

« على قال لها لبطللى أيا جاز
أنا أبو شال ع القرن مليل
كلامك وسط العرب جاز
والله لقول له احنا من الهلايل
قال له اسمع كلامى يا عم محمود
أنا سيد الطقوم الظرفية
اسمع كلامى ليك بقول
أنا أبوى أبو زيد ابن الشريفة
أنا أبوى القليد بركت
أبو شال ع القرن مليل
يخش العيطة بركت
لا سمر أمير الهلايل »

لم يكن البياضى يسمع جديدا ، ولم يكن على يعرف البياضى

بشيء جديد ، فقد ذكر الرجل أنه كان يعرفهم منذ البداية وقبل أن يولد على نفسه بأنهم من عرب الهلال :

محمود يقول :

ياولدى وحق النبى يا على الزين

يا ابو شال ع القرن مايلى

يا مؤصل يا بوتنا زين

من يوم ملجيتم

وانا عارفكم من عرب الهلال

عارفكم من عرب بنى هلال

يا سيد الطقوم الظريفة

انا عارفكم من عرب بنى هلال

ابوك اياه ابن الشريفة

إيك انت ولد القليد ابو زيد

لقد كان البياضى كريما مع الأيتام ، رياهم وحماهم ، وحين نموا وقفوا بجواره ودافعوا له عن أرضه ، والجاز تراقب الطفل فى حربه ، وتزغرد له وتراقب الأيتام وقد نموا فتنقشع الأبدان بضرورة العودة إلى البطل أبى زيد هناك ، وهو يعمل خادما لأعدائهم يسقيهم ويسقى نوقهم ونساءهم والعودة إلى دياب وأهله من الزغابى للانتقام منهم . الجاز تفكر وتفكر وفى داخلها صراع بين أن تبدأ رحلة العودة ، أو تنتظر حتى لا تكون مغامرة غير محسوبة يضيع معها انتظارها الطويل .

توقفت قبل أن تتخذ قرارها ، وقررت أن تزوج الأيتام ولما يتجاوز أكبرهم الثانية عشرة من عمره . كانت زوجة على هى بنت حسن السلطان . ذهبت الجاز إليهم جميعا قبل دخولهم على زوجاتهم ونصحتهم بأن ينتظروا والا يدخلوا على زوجاتهم هذه الليلة . وفى الصباح ذهبت إلى الزوجات فوجدتهن جميعا عذراوات

ماعدًا زوجة على أبي الحلقان ، فقد عصاها على ، لقد تصرف كما كان يتصرف أبوه ، يعصاها ويعاندها ، وتعصاه وتعانده وتكيد له . لم تغضب الجاز كما كانت تغضب من أبيه ، فقد زغرذت ، وشعرت أن الطفل البطل يعيد سيرة أبيه وأن بني هلال قد خرج من بينهم زعيما جديدا يأخذ بالثأر من أعدائهم ، واقتنعت أن لحظة الرحيل قد حانت .

ذهبت الجاز الى البياضى تبلغه أن الغريب يطلب بلاده . كان عزيزا عليه فراقهم . وهو الأب المريب لهم ، ولكنه تركهم وهو يتغنى بحبهم :

سجرة المحبين تنشف
ورقها أخضر يلالي
لا بد الحبايب ملتشف
ولو طالت عليها الليالي

سار الأيتام بقيادة الجاز فى الطريق القديم الذى علمته الجاز جيدا ، فاستخرجت طبل الرجوج خوفا على أبى زيد من دياب فقد يعلم أن الجاز قد جاءت برجالها لتقاتله .

ولا يختلف الإطار الذى تعدده رواية النادى كثيرا عن الإطار المحدد فى روايتى كل من عوض الله عبد الجليل والحاج عبد الظاهر . ففي رواية عوض الله تخرج الجاز بالأيتام فى طريق العودة فيلتقون بفرسان فى الطريق ، ويتصدى على أبو الحلقان للفراس ، وتدور معركة حامية الوطيس يعجز فيها الفرسان عن قتل أحدهما الآخر ، ويتعرف الجاز على الفرسان المعادى ، فليس سوى زيد ابن الناعسة الذى ولدته وهما فى الطريق . لقد أصبح الآن ابن عشر سنوات . وبدرية أمه على القتال . تزغرد الجاز ، فقد ازداد العدد فارسا وأى فارس . لقد خلف أبو زيد رجالا . واتجه الجميع إلى أبى زيد .

ويتفق روايتا عبد الظاهر وعوض الله فى إطار المسميات ، فقد التقى على فى طريق العودة بطفل صغير يقود جيشا ففكر فى حربه وأن يضم جيشه إليه ، وأخذا يتقاتلان ، سمى كل منهما نفسه فذكر على اسمه ، وذكر البطل المواجهة أن اسمه (مخير) ، ولم يكن مخير سوى أحد أبناء أبى زيد الذى هرب كما هرب أخوه صبره إلى الجبال ، ويكون جيشا . وهناك رواية تذكر أن مخير قد مات قبل أن يقتل حسن السلطان .

ولقد تلاقى الأطفال الأبطال فى مواجهة ضارية ، يصف عبد الظاهر عليا بأنه بحدسية ، وبأن مخير طوفان ، أى أن البحر فى زيادته يلتقى مع الطوفان ، ولا أحد يستطيع أن ينال من الآخر ، واستمرت هذه المواجهة حتى العصر لتبدأ الراحة من الحرب .

يعود على ليحكى لعمته عن الفارس الذى يحاربه ، فحربه تتفتح الجبال . وتستمر الحرب بينهما .. وفى اليوم الثالث خرجت الجاز لتتظر إلى المحارب ، فهى قد أخذت تشك . أن يكون المحارب أخا على فلا يملك هذه المقدرة على الحرب سوى أبناء أبى زيد . ورات الجاز الطفل البطل يواجه الطفل البطل ، فصرخت فى على أن يتوقف عن القتال ، فقد عرفت المقاتل فليس سوى أخيه على الذى تسميه "عليا أبا الحلقان" ، ثم تقوم بعملية تعريف الأخ باخيه ويأخذان فى الرحيل بعدها .

ويتهج الجميع نحو أبى زيد ، وفى الطريق يلتقون بفارس ويتكرر قصة مخير مع الفارس الجديد ويحارب على ومخير ، وتستمر الحرب يومين ، وتخرج الجاز فى اليوم الثالث فتعرف المقاتل أنه صبره ابن أبى زيد الهلالي ، ويتعارف الأخوة ويجتمع شمل الأبطال الأطفال .

ولم يبد على الجاز أنها فرحة بهم ، وقد أعلمتهم بخوفها فدياب محارب مخيف يعرف خدع الحرب ، أما الأطفال فيعتمدون على

شجاعتهم وليس على مقدرتهم العقلية فى الحرب . فتوقفت وأخذت تعلمهم فنون الحرب وخدعها ، وطرق والدهم فى الحرب ، ثم سارت فى طريقها إلى أبى زيد .

وأمرت بضرب طبل سفيان وهو طبل بنى هلال فى رواية الحاج عبد الظاهر .

يذكر أن أبا زيد سمعه .. وكان يسمع على مسيرة ثلاثة أيام .. وأخبر أبوزيد ابنته ريا بأنه يسمع طبل سفيان وبأن الأيتام يعودون . وتصورت الفتاة أن والدها فقد عقله ، وفى اليوم التالى أخبرها أن الأيتام قادمون غدا ، والحزن يزداد فى قلب الفتاة وهى ترى والدها يفقد عقله . طلب منها والدها أن تفك حبل البير ، وما إن نظرت إلى البئر حتى سمعت صوت الطبل فأدركت أن والدها بعافيه .

تخلق رواية الحاج عبد الظاهرة من الطبل موقفا دراميا فى النص فدياب يستمع إليه ، وترتج المدنية ، فينظر دياب إلى زيدان ويبلغه مستهترا بأن الأيتام قادمون . ولا تذكر رواية النادى عثمان ولا رواية عوض الله عن الطبل شيئا فليس جزءا من الرواية : إذ تذكر رواية النادى أن الجاز رفضت أن يضرب الطبل حتى لا يقتل دياب أبا زيد إذا عرف أن الأيتام قادمون . ويروى أن الجاز قد التقت بالأمير أبى زيد وهو يقف على البير سبالا وقد فقد بصره . فجرته بعيدا حيث يقف الأيتام ، وطلب منها أن يسلم على كل فرد منهم بمفرده ، وتبرز فراسته وهو يسلم عليهم ، إذ يذكر اسم والد كل منهم عندما يسلم عليه ، وهكذا تقوم بتعريفه بأبناء القبيلة ويتعرف الأبناء على فارسهم الكبير . فإذا ما جاء دور على أبو القمصان . أمسك الغلام بأبيه وهو جالس ، فدفعته قوة الطفل إلى أن يقف على قدميه ، فقال للجاز إن هذا الطفل هو ابنه ، والجاز تغيطه كعادتها بأنه ليس له أطفال ولكن أبا زيد سقط مغشيا عليه من الفرحة ، ثم قام وقد عاد إليه بصره .

وتتفق رواية عوض الله مع هذه الرواية فى أن أبا زيد سلم على
الاطفال الفرسان فردا فردا وهو يذكر أسماعهم واحدا واحدا حتى
سلم على ابنه على أبى الحلقان الذى يلقيه بالبطيخى وابنه الثانى
زيد ، وترسم الرواية صورة هذا اللقاء :

لما اتى الأمير على
ويسمى على البطيخى
ابن عالية ام دلال
سلم عليه الهلالى
عصروا بيمين عمود هلال
يديم تحت عديه
ولا واحد مدى لأخوه لين
نده وقال يا ام محمد
ده ابن عالية ام دلال
ولما اتى الأمير زيد
تقول عون من الاعوان
وسلم على التمنى
طبق فيه عمود هلال
وطبقوا فى بعض لائنين
الدم جرى ده من الفرسان
وخطفوا الملك زيد وجابه وراه فوق الشحتان
قال حقيقى الحية تجيب حية
وان هالت بتجيب تعبان
انا إن خاب ظنى وكلامى
ابن الناعسة ناعسة الاجفان
وابن الزيتة الناعسة بت زيد العجاج رجال

وزالت الغشاوة عن عينيه فى رواية الحاج عبد الظاهر ، فهو
تعرف على جميع الاطفال فردا فردا ، والجاز تراقب الموقف كله .

وقد سعد أبوزيد كثيرا . فزال الغشاوة عن عينيه واستعاد بصره .
واستعاد قيادته ، ولم يبق إلا أن يعرف العدو .

ويروى عوض الله لحظة من لحظات تذكر أبي زيد لحياته
وتحسره على الشباب وهو يسلم على الأيتام ، فهذه لحظة حاسمة
يحتاج فيها لشبابه الذي يتمنى أن يشتريه لو يباع ، ولفرس مثل
شبهة الأمير دياب ليحارب بها ، وامرأة مثل عالية فيغيرها يصبح
الشباب ضياعا ، وكان يتمنى أن يكون مبصرًا وشابًا ليأخذ بالثأر
من دياب ، وبين الفرحة والالام استعاد أبو زيد بصره :

يقول الأمير أبوزيد

فاح الكبر ، ضاع النظر

وجسمى ابتلا بوجاع

كنت أملا أنا

أصبحوا الصبايا مرد واقتناع

يامين يبشرني ، يامين يقول لى

ليه سوق الشباب ينباع

اشترى شبلجى وشباب عاليه

وشبهة الأمير دياب

شباب بلا عالية وسط الصبايا يعيش ضياع

فتح الأمير أبوزيد بذلك قدرة الرحمن

فتح وراح الغشاشة

وراح الغشاشة بإذن الكريم الذى لاينام

وتجمع الروايات بعد ذلك على أن الأيتام تعرفوا على دياب كما
تعرف عليهم دياب فى حومة الوغى ، ويظل دور العمة الجاز فى
الدفاع عن القبيلة والمحافظة على تقاليدها خالدا فى نصوص
السيرة ، وبخاصة فى تربيتها لأبناء القبيلة الأيتام ، والقيام بدور
التعرف بينهم وبين عالمهم الذى تركوه ، فهم يقفون بجوار بطلهم
أبى زيد ليواجهو عدوهم دياب .

ويختلف تعرف عبد الوهاب بنفسه وبالعالم كثيرا عن تعرف الأيتام وغيرهم من أبطال السير ، فتعرفه كان بواسطة قوة كونية . كانت وسيلة الإنسان لتعريفه بنفسه .

لقد تدخل العلم وَعَيَّن الحقيقة والحلم فى التعريف بعبد الوهاب ابن ذات الهمة .. لقد عرف الحارث أن له ابنا من ذات الهمة عن طريق جارية كانت تحب أحد غلمانه ، ولم يكن على علم بأنه حى ، فقد كان عبد الوهاب مخفيا أمره عن الجميع . وقد أبلغت الجارية عشيقها أن ذات الهمة أنجبت ابنا أسود اللون من أحد العبيد وتدعى أنه ابن الحارث ، وقد أخفته عن الناس .

واتتمر الحارث مع الجارية أن تخبرهم ساعة أن يكون الغلام نائما بجوارها . وحين أقبل الليل الداجى ومضى القليل منه ، ومع إشارة الجارية للحارث وأبيه وجماعة من أكابر الحى ومن أجتب إليهم ممن يريد هتك ستر الأميرة ومن تصفهم السيرة بأنهم شياطين اجتمعوا إليها وطلبوا منها أن تريحهم ابنها . فأيقظت عبد الوهاب النائم إلى جوارها ، وقدمته إليهم وقالت : هذا ولدكم .

يلتقى الأب بأبنه والجد بحفيده فى لحظة تعرف حاسمة . الأب أبيض اللون . حسن الوجه ، والأم أجمل النساء وجها . وأصفاهن بياضا ، ساطعة لامعة ، والطفل أسود عميق السواد كأنه من أبناء النوبة . لم يشفع له أن له قلبا ، لو وضع منه وزن درهم على قلب أسود فى الدنيا لكان يرى أبيض نقيا ، وبدا التناقض بين وجه الأب وجه عبد الوهاب ، كما بدا بين وجه الأم وجه الابن ، ولما رآه الناس وبدا لهم هذا التناقض ضحك الجد ظالم حتى استلقى على قفاه وامتشق الحسام ، يريد أن يقتل الأم فجرحها ، كما أراد الأب فى لحظة التعرف أن يقتل الطفل لولا أن الطفل تراجع من أمامه ، غير أنه جرح وسال الدم منه . وتحدد موقف الأب من الابن كما تحدد موقف الابن من الأب . ليحمل نبوءة المستقبل أو إرادة الطفل ، فقد أقسم الطفل بالله لئن كانت له حياة ليقنتنه .

تسامع الناس بالقصة ، ودخل عليهم الأمير عبد الله أمير القيسية فسئل أن يحكم فى القضية ، ووقف الأب غاضبا كيف ينسب هذا الابن له . وأخذ يتوعد الأمير إذا لم يحكم فى صالحه فإنه سيتجه إلى أعدائه ويعتق المسيحية .

فأحكم بيننا ياخير عدل
فقد حل المصائب بما يصيب
وإلا سرت نحو الكفر ابغى
مقالهمو ويعلوه الصليب
(السيرة م / ج / ٧ / ٢٢٧)

طورت كلمته الصراع بينه وبين ذات الهمة فقد امتد إلى الموجودين ، وانقسم الجمع قسمين : قسم معه ، والآخر مع ذات الهمة . تعجب من وقف فى جانب الأب من أن يكون المولود أسود و أمه بيضاء تسطح وأبوه أشقر أسطح . أما من وقف فى جانب ذات الهمة فهم يعرفونها صالحة زاهدة تسجد لله وتدافع فى سبيله ، فאלه يخلق الأبيض والأسود والأبقع وكان رأى ذات الهمة :

وإن كان هذا الطفل قد جاء أسود
فصنعة ربى عندها يوقف الفكر
(٢٢٤)

ورأى ظالم أن فى دعوى نسب عبد الوهاب إليه إهانة للأب
وفضيحة بين الناس لا تغتفر .

أى عذر لما وقد افتضحنا
عند أهل الانسلب والأقرباء
(ص ٢٢٣)

وأصبح واضحا أن الصراع بين القريتين يكاد أن يحتدم لولا تدخل الأمير عبد الله أمير بنى سليم ، وفرق بينهم الظلام ورجعت كل طائفة إلى خيامها .

وأقد تعرف الطفل على وضعه ، وأدرك أنه ابن غير مرغوب فيه لا

يتعرف عليه الأب . وتشفق عليه الأم من هذه الفتنة فهي تخشى أن
تصيبه أول من تصيب ، ويتمنى لو أنها لم ترزق به وتدعو الله أن
يصبره .

نضج عبد الوهاب نضج الكبار ، وكان يبكي خوفا من الله العلى
القدير ، قد برزت عبقريته العقلية والجسدية ، وظهر واضحا أن
عقله أكبر من عمره الزمنى بكثير ، فعبر عن تعرفه لازمته بأن الله
قد خلقه أسود اللون . وعبر عن إيمانه بالله بأن ذلك لأمر سبق فى
علمه ، فلا اعتراض عليه وأنشد :

فإن اك أسودا فلقلب منى
عليه من البياض ضيا نهرا
وليس اللون فى الأنسب
إذا ما كان فى فعل الفخر
وليس الفخر إلا فى صلاح
ليوم البعث فى يوم القرار
(ص ٢٢٧)

ولم يكن ذلك نهاية الأزمة بين الحارث وذات الهمة أو بين الابن
وأبيه ، وإنما كان ذلك بدايتها . ففى اليوم التالى أرسل الأمير الى
ذات الهمة فذهبت إليه ، وأقسمت أن هذا الغلام هو ابن الحارث .
وبدا واضحا أن الأمير يصدقها . وأراد أن يصلح بينها وبين
الحارث فرفضت مؤكدة أنها لن تقبل أن تعيش معه تحت سقف
واحد ، وهو يعلم أن الحارث يحبها حبا شديدا ، فهي برفضها قد
أغلقت الباب أمام الحارث ليعترف بابنه . وإذ ذلك استمرت المواجهة
بين الحارث وذات الهمة حول قضية نسب الطفل إلى أبيه ، فالأم
تصر على أن الطفل ابن الحارث وهو يصر أنه ليس أبنه ، فارتأى
الأمير أن يحسم الصراع بتحكم (القافلة) والحكماء وعلماء مكة ،
فيذهبون إليهم ، فإن قالوا إن هذا ابن الحارث لزمهم وتنطفئ
الفتنة . وإذا قالوا إنه ليس أبنه فإنه سيدير تدبيرا آخر يرضى
الكبير منهم والصغير ورضى الجميع بذلك .

بدأت رحلة التعرف الأولى بين عبد الوهاب وأبيه إلى العلماء وخصصت السيرة من العلماء والحكماء وأهل القافة . والقافة كما في لسان العرب (مادة : قوف) : " جمع قائف وهو الذى يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه " فهى رحلة مع العلم الذى يعترفون به وهو علم القيافة .

ذهب الجميع ، اتباع الأمير ورجاله ومظلوم ورجاله وذات الهمة ووالدها ورجالهما يسير معهم عبد الوهاب . وفى الطريق تأمر ظالم وابنه الحارث مع رجل قاطع طريق تذكر السيرة أن العرب يسمونه شيطان الحجاز وعفريت البر والمغار . وساقا إليه النوق والجمال ، مقدم ثمن لقتل الابن وأمه .

كانت ذات الهمة يقظة ، فظلت ساهرة تدور حول رجالها تحميمهم من غدر الفادر ، وفى الغد أقتحم غاشم قومها . وإذا فارس معه أكثر من خمسمائة فارس يتقدم نحو الغاشم . يطلب منه أن يتقى الله فى دماء المسلمين ، وكان هذا الفارس هو الأميرة ذات الهمة نفسها ، فقدم لها كباشا أحد عبيده الأقوياء فطعنته بالرمح فى صدره ، فطلع السنان يلمع من ظهره ، ولما رأى غاشم ذلك منها أحبها وطلب من الحارث أن يطلقها وشهد بأنها حرة كما شهد لابنها .

احارث طلقها فقد عظم الامر
وماهى عنها بعدها فعلت صبر
وليس سواد الابن مما يعيبها
وماهى إلا حرة ظاهرة الطهر
شهدت لها انى اراها نقيه
وماهى الا حرة وابنها حر
(ص ٢٣٣)

واتفق الحارث معه انه إن ظفر بها غاشم طلقها وإن لم يظفر بها فكلاهما فى العن سداء . ورفضت ذات الهمة عرض غاشم بالزواج

مع أن العرض كان ينفي عنها تهمة الزنا ، وحددت موقفها فهي لن تتزوج ، لأنها تتقرب بخدمة ربها وطلب الآخرة ولن تركب الخيل لفخر ولكن للجهاد في سبيل رب العباد . فأرسل إليها هدية سنينة مما كان ينهيه من مال الحجاج ، كما أرسل إليها ظالما والحارث موثقين ، ومع ذلك رفضت عرضه ثانية فغضب ولم يعد بينهما إلا القتال .

واستطاعت ذات الهمة أن تقتل هذا الفارس الصنديد ، وغنمت وقومها أمواله وأموال قومه . ومع ذلك رفض الحارث أن يعترف بابنه وأصر والده أن يدخلوا بيت الله الحرام حتى يفتضح أحدهما في الأحكام ، والشيطان عقبة ينصح بضرورة البقاء حتى يظهر الأمر ويهتك أصحاب الفضائح .

كان الموقف صعبا على والد ذات الهمة ، فقد سأل ابنته حين وصلوا إلى مكة أن تقول له الحقيقة فهو يخاف الآن من الفضيحة ، وقد أصبح الموت عليه أهون مما يحدث له .. فتألمت ذات الهمة من موقف أبيها ، كيف يشك فيها ، ورأت أن الموت أهون عليها من شكه .

طاقت ليلة بالكعبة وهي تتضرع إلى الله أن يبين الحق ويظهر حتى أصبح الصباح ، وأتوا بالقافة وعلى اكتفاهم الأبراد اليمانية وقد حضر من قدم معها ، وأتت ذات الهمة وقد التفت في إزار ، فحدثتهم بقضيتها وحدثهم الحارث بقضيته ، أقسم شيخ القافة بالله أن يحكم اليوم بالحق ولا يستعمل إلا الصدق ، ثم إنه قال: الحمد لله المتعال عن الشبهة الذي ليس له عدل ولا شبيه . معاشر الناس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراس . وهذا الولد للحارث من جهة الوجه ، وإنه دخلت عليه الأفكار لأجل سواده وتغير لونه وأضطراب كونه ، ثم أقسم بالله العظيم أن هذا الصبي

ولد الحارث لأن عينيه تشبهان عينيه . وكذلك المعاصم والشمائل والكفوف والأنامل والأطراف .

ولما سمع الحارث من القافة ذلك زعق وعبر عن شكه فى صدق الرجل وأنه مخرف . وأصبح واضحا أن قضية تعرف واعترافه بعبد الوهاب قضية عناد .

كان شيخ القافة نقى الشبهة ، فلما اسمع كلام الحارث طلب أن يبسطوا بسطا من الرمل . فأحضروها فى الحال . وطلب أن يمشى الحارث عليها ومعه عشرة من الرجال والطفل معهم وأخبرهم أنه حين يتم سيرهم على الرمال . قادر على أو يتعرف على والد الطفل من بين أقدام الرجال العشرة . ومشى الرجال والصغير معهم دون أن ينظر اليهم الشيخ ، ثم أقبل شيخ القافة ونظر الى الأقدام وحرك رأسه . وأستطاع أن يتعرف على قدم الابن وقدم الأب من بين أقدام الرجال .

وفرحت ذات الهمة وأبوها واتباعها من هذا الانصاف إلا أن الأب والجد واتباعهما ازدادوا غضبا ورفضوا حكم الجماعة ، وأعلن الحارث أنه متبرئ من هذا الابن وكذلك الجد ووصف عقبة الطفل أنه لقيط مثله مثل الكلاب :

ليس عبد الوهاب منا بشيء
فاسمعوا انتم القول الصواب
فقد صح عندى انه لقيط
بين الاصل مثله كالكلاب
(السيرة ص ٢٤٧)

ويرفض الرجال الثلاثة حكم علم القافة ، كان عليهم أن يتجهوا الى صاحب الكشف .



وكان رأى الحكماء أنهم إذا كانوا قد رفضوا حكمهم فهناك من يحكم الحكم الحق وقد ورث القضاء عن أبيه وجده وهو إمام جعفر

بن محمد الصادق فهو أهل بين النبوة ومعدن الفتوة . ويأمر
بالمعروف ويكشف الكروب ويغيث الملهوف . وافق جميع أهل مكة
على هذا الرأي وأجمعوا عليه فما لهذه القضية سوى هذا الإمام
ورضى المتخاصمون بذلك ، وحملوا الطفل عبد الوهاب .. وكان
يدرك ماحوله وهو يعيش أحزاناً تغلو أحزان البشر ، ويبدو أنه كان
يخترنها داخله . أما أمه فإنها صابرة لما يحدث محتسبة بالملك
العلام . حتى ظهر الإمام الصادق وظهرت على الناس هيئته فصمت
الناس ولم يتكلم أحد . قدم العرنوس للإمام الطاهر وصعد عليه
فرمت الأميرة نفسها تحت الفرس وهي تناديه يابن المشاعر الحرام
والصفا والمروة والمقام الأعلى . ابن المرتضى وابن العروة الوثقى
ومن حبه شفى على طول المدى تسأله أن يأخذ بيد مظلومة قل
ناصرها وكثر حاسدها وشك فيها أبوها ، وهي تقسم له بحق البيت
الحرام والركن والحجر ثم المقام مادانها سوء ولاهم قلبها بارتكاب
أثام وذنوب . وقام الحارث مضادا لذات الهمة يعرض قضيته بقلب
ملء بالحق ويهدد أنه إذا حكم لها فسيذهب إلى الروم :

فإن حكمت بجور إننى رجل
امضى إلى الروم مرتدا عن النعم

أما والده فقد عزز كلام ابنه وزاد في توضيح موقفهما بأنهما
سيصبحان نصارى إن حكم بغير ما يريدان .

ولن حكمت (لنا) فنحن بأسرنا
نمضى نصارى بعد ظلم زائد

وتعرف الإمام جعفر على الطفل عبد الوهاب ، وسأل الإمام
الحارث إن كان قد أتى زوجته وهي حائض فأجاب بالإيجاب . وكان
رأى الإمام أن حكم الله نزل الأبيض من الأسود والأسود من

الابيض فلا يصعب على الله ولا ينفذ من قدره ان تتبدل الالوان فلو
يستطيع غير الله أن يجعل الابيض أسود فأمره بين الكاف والنون
يقول للشيء كن فيكون . خلق عيسى بن مريم من غير أب . ومادا،
الرجل قد جامع زوجته وهى حائض فالغلام بأتى أسود اللون
وذلك الحكم بقيسه الصادق على موقف جده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقد حمل اليه غلام أسود أمه وأبوه أبيضان فحكم بأن
ولدهما وذكر أنه يحكم بحكم جده ؛ فإن الرجل إذا واقع زوجته
والدم أسود محتقن فى أول الحيض جاء الولد أحمر اللون ، وإن
واقعها عند انتهاء الحيض وصفاء الدم جاء الولد شبيها لأبيه .
فإذا كان الحارث قد واقع زوجته وهى حائض ، والمستحاضة دمها
أحمر ، والحيض أسود والنطفة بيضاء ودم المرأة أغبر فالولد ولد
الحارث وعليه إن شاء أن يقربه وإن شاء يبعده . وشاء الأب أن
يبعد الابن فلا تعرف ولا اعتراف وهو من الغيظ يريد أن يكذب
فيرفض أن يعرف وأن يعترف ، وحاول أن يفضح ذات الهمة عند
ال خليفة المهدى وطعن فى رأى الإمام الصادق معلنا أن شد الزنا
والمقام فى بلاد الكفر خير من الذل والشنار .

ويتدخل الحكم عند الخليفة ويتدخل الحكم لينصف عبدالوهاب
وليعرف الأب بحقيقة ابنه ، فقد أعيدت الحكومة مرة ثانية أمام
المهدى ، وكان المهدى قد أصدر حكمه فى هذه القضية قبل
وصولهم ، فقد شهد على صدق المرأة وأحقية الطفل بنسب أبيه هو
محمد صلى الله عليه وسلم . فقد ذكر المهدى أن ابن عمه أئاه فى
المنام وأخبره بخبر المرأة وابنتها وذكر له نفس الحدث الذى ذكره
الصادق ، وكان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنام مع
ابن عمه عن الغلام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يشعر بشقاء
الطفل الذى تحركه الأيدى متهمة إياه بأنه لقيط ، فقد كسر قلبه ،
وأصابه الشقاء فى الدنيا وأنه مظلوم متهم بالزور والبهتان

والعدوان . وقد أمر الرسول خليفته في الأرض أن ينصره على عدوه حين يحضر بين يديه .

كانت هذه الحكومة هي آخر أو خاتمة المواقف السلمية بين الجد والاب وبين الأم والابن ، فقد حدث انفصال لا رجعة فيه بعد ذلك ، لقد رفض الجد ظالم حكومة الصادق والمهدي ورأى أن العار قد أصابهم بإضافة هذا الابن اليهم وأن إبعاد هذا الطفل عنهم لن يغير من العار الذي أصابهم شيئاً ، وما بقي له بعد موقف الخليفة منه إلا حنا ومريم والصليب ، وقد امتلأ حقدا ليس على ذات الهمة وابنها فقط وإنما على كل العرب . وقرر أن يدك بلاد الحجاز في هذا العام دكا ويسفك دماء المسلمين سفكا .

وقد وقف الابن في المعسكر المعادى تماماً لهذه الفكرة ووقع له الخليفة بإمارة بنى كلاب وهو مازال في عامه السابع وجعل له ولأمه قلاع ملطية في الثغور المجاورة للحدود بين العرب والروم . وعبد الوهاب يتسلم منصبه من الخليفة مجاهدا يجاهد أعداء العرب والمسلمين .

كانت هذه المواقف التي تجعل الأب في جهة والابن في جهة أخرى تصعد المواجهة بينهما ، فلم يعد الصراع صراعا حول التعرف على الابن والاعتراف به وإنما أصبح الصراع حول العقيدة ، مما قطع وشائج الدم تماما وروابط القرى . ولم يعد ممكنا أن يتم التعرف بين الابن وأبيه بأى طريقة من طرق المعرفة سواء أكانت معرفة حسية أو حدسية . ولم يبق إلا السيف ليكون حكما بينهما .

وكان واضحا من الأب أنه لا يهتم من المسيحية أو الإسلام سوى بقتل ذات الهمة وولدها . وأيا ما كانت دوافعه فإن كليهما أصبحا متقابلين في الصراع ، وأصبح طريق اللقاء بينهما مسدودا لا يمكن فتحه ، كما لا يمكن إيقاف الصراع بين الابن المعذب

الذى رفضه الأب وبين الأب الذى أنكرته الحبيبة ثم أنكره المجتمع .

تتابعت الأحداث بعد ذلك ، فالأب فى جانب والابن فى جانب آخر . يقف الأب مع الأعداء ويقف الابن مع قومه فى ذلك الصراع الرومى العربى الطويل وقد خرج العرب لملاقاة الروم . وفى العرب مظلوم وابنته وحفيده ، وفى الروم ظالم وابنه الحارث .

وفى البداية التقى الأخ بأخيه ، التقى ظالم بمظلوم وكل الحقد يملأهما فتضاربا على الجوانب والدرق ، وطلع عليهما الغبار ساعة من النهار وحين انكشف الغبار كان ظالم قد قتل مظلوما . أراق الأخ دم أخيه وأصبح بين ذات الهمة وعمها جدار جديد هو دم أبيها . فأرادت أن تذهب لملاقاته فمنعها الابن وذهب بنفسه لملاقاة جده . وقد أعطاه الجد سببا فى أن يواجهه وأن يقتله دون أن يشعر بأسف أو ندم ، واستمر فى الضرب والطعان والإقبال والإبعاد ، وجرى بينهما ما يشيب الشباب ساعة من النهار فضايقة الحفيد ولاصقه ثم طعنه فى صدره فوقع على الأرض قتيلًا .

رأى الحارث الأب ما حدث لأبيه فالتقى بابنه وأعطى ابنه كل الأسباب لقتله ، فهو يفخر بدينه الجديد ، ولمزه بأنه ابن العبد مرزوق ويأمعانه فى إنكاره لابنه ساعة القتال ، انتزع من قلب الابن الإحساس بأبوته . وأخذ الغضب يأكل الابن من تصرف أبيه ، ولم يعد يريد منه أن يتعرف عليه أو أن يعترف به ، وإنما أصبح يريد قتله . ولم تصور السير موقف حقد بين أب وابنه مثلما صورته سيرة ذات الهمة هذا الموقف وأعطت لكل منهما الأسباب القوية التى تدعو لقتل الآخر ، فالجد أنكر الابن وتنصر وقاتل فى صفوف الأعداء ثم قتل أخاه ، والوالد أنكر الابن وتنصر وقاتل فى صفوف

الأعداء وهو يشاهد والده يقتل بيد ابنه فيتجه نحوه ليقتله فيتصدى له الابن الذى يملك دوافع عميقة لقتل الأب فى هذه المواجهة ، ودارت معركة ضارية ضاعت فيها عواطف الأبوة والبنوة وأخذاً فى الطعان والضراب وجرى بينهما ما يشيب الشباب . وعندما نادى الحارث يستنجد بالمسيح أن يعينه على ابنه الذى يسميه بالبغل الأسود الذى يزعم أنه ولده ، تطرق الكلمات سمع عبد الوهاب فيرى كفر أبيه وطفقائه فيستولى عليه الغضب ، وإذا كان الأب يستعين على ابنه بالمسيح فإن الابن يستعين على والده بالله فيناجى ربه منادياً .

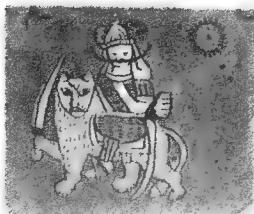
يامن فى ملكه احتجب ، ورفع السماء بغير عمد
ورسى الجبال بغير سند ، وليست له صاحب ولا ولد
وبحق من ركع لك وسجد .
اسالك أن تجدد لعبدك الحيل والقوة والجلد .

ويشتدان بعد ذلك فى الضراب ، فانطبقا على بعضهما البعض انطباق الغمام وارتفع صياحهما حتى أذهل الأنام ، ثم اختلفت بينهما طعنتان قاتلتان واصلتان صائبتان فذتان ، فأما طعنة الحارث فإنها وقعت فى خاصرة عبد الوهاب وكانت فى الجلد وأما طعنة الابن فجاءت فى صدر الأب وخرجت من ظهره . ومال قليلاً . وعاد الابن من الميدان ودمه يسيل ، وقد أمسك جرحه بيده حتى التقى بوالده . (ص ٢٢١)

اختار الراوى أن يكون شكل اللقاء الذى تم بين الجد والابن وبين الحفيد وقتالهما ليس للوصول إلى التعرف وإنما لتوقيع العقاب على الظلم الذى أوقعاه بالحفيد ، ويكون انتصار الابن عليهما اعترافاً كونياً بشرعية ميلاده .

والرواية تقدم أبطالاً خرجوا من صلب الصحصاح المحارب الذى قضى شبابه محارباً يقود جيوش المسلمين فى الثغور ، فلم يجعل أحداً من أبنائه يقف ضد موقف مجتمعه وضد ما عاش له دون

عقاب ، ولاتترك الرواية عقابهما لأحد من خارج الأسرة ، وإنما تجعل الحفيد القوة الباقية من الصלב القديم هي أداة العقاب ، ليصبح هذا الموقف المأساوى الكبير المثير من المواقف المتفردة فى السير الشعبية .

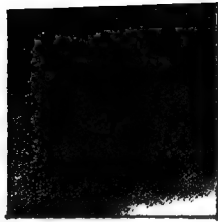


حاول البحث أن يتناول حلقة الميلاد فى السير الشعبية ووحدة موضوعها ليتكشف وحدة فى بنائها ، فهى تسير فى سبع حلقات مترابطة المصادر ، وهى عن الراوى ، والرواية ، والنبوءة ، ونسب البطل ، ومواليد ، فغريته واغترابه ، ثم الحلقة الأخيرة وهى التعرف والاعتراف .

وتوقف هذا البحث عند التعرف والاعتراف لا يعنى نهاية البحث فى هذا الاتجاه . فهناك جوانب أخرى يحاول الباحث أن يتمها ، وهى مرتبطة ارتباطا تاما مع مواليد البطل ، فالمواليد هو الفصل الأول من فصولها ، يتبعه الفصل الخاص بالعبور ، وهذا الأخير متداخل إلى حد كبير مع التعرف والاعتراف ، ثم البطل والمصير ، والرابع البطل والمرأة ، والخامس البطل امرأة ، والسادس الأسطورة وبنية الحدث فى السيرة ، والسابع لغة السيرة . وكذلك لا يمكن اغفال دور الفرس ليكون واحدا من فصولها .

وإذا كان المتبقى للباحث يمثل الجهد الأكبر مما تم فى دراسة السيرة ، فهو لا يطمع فى أن يقوم به بمفرده وإنما يتمنى أن يشاركه فى تحمل هذا العبء فريق عمل ، إذ السيرة مازالت الكنز الذى لم يكشف عن قيمته حتى الآن .

ولا يتصور الباحث أنه أغلق باب الموضوع ، فمازالت هناك جوانب كثيرة فى حاجة إلى الدارسين الجادين الذين يمكن أن يقوموا ببحثها ودراستها وهو نفسه يحاول .



(١) يرى دى بور أن "التفكير السامى يقوم على نظرات فى شئون الطبيعة متفرقة لا رابط بينها ، ويقوم بوجه خاص على النظر فى حياة الإنسان ، وفى مصيره ، وإذا عرض للعقل السامى ما يعجز عن إدراكه لم يشق عليه أن يرده إلى إرادة الله التى لا يعجزها شيء ، ونحن نعرف هذا الضرب من الحكمة فى العهد القديم . ويدل على تكوينه لدى العرب ماجاء فى التوراة من قصة ملكة سبأ وما يحكى عن شخصية لقمان الحكيم مما هو وارد فى المأثورات العربية" . (تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ١١١)

ويرى جورج جيكونب أن الإسلام كان يقف ضد الدراما وأى شيء خلاق فى الفن العربى وهو يعزى ذلك إلى تأثير الإسلام على سكان المنطقة . (History of Theater, P. 11)

ويقول نيكلسون من شأن القصص العربى بإنكاره أن الأدب العربى لم يبدع ملحمة شعرية كبيرة ، وكل ما أبدعه كان قصصا نثرية ، وهى تكاد تقترب من الملاحم إلا أنه من المستحسن أن تسمى قصصا تاريخية" . (Literary history of the Arabs, P. 3 e 5)

(٢) يذكر العقاد أن العرب كانوا قبائل رحلا يؤمنون المدن فى مواسم تنقسمها العبادة والتجارة والخطابة "فانتشر التاريخ والأقليم واللغة على أن يكون العرب أمة بلا خيال" . (الفصول ، ص ١٤٠)

ويرى أحمد أمين أن خيال العربى محدود وغير متنوع "وقلما يرسم له خياله عيشة خيرا من عيشته وحياة خيرا من حياته يسعى وراءها . لذلك لم يعرف المثل الأعلى لأنه وليد الخيال ، ولم يضع له فى لفته لفظة واحدة دالة عليه ولم يشير إليه فيما نعرف من قوله ، وقلما يسبح خياله الشعري فى عالم جديد ينتقى منه معنى جديدا ، ولكنه فى دائرته الضيقة استطاع أن يرود كل مذهب" . (فجر الإسلام ص ٢٢)

أما غنيمى هلال فيذكر أن الأدب العربى "لم يكن فى قديمه للقصة شأن يذكر ، وكان لها مفهوم خاص لم ينهض بها ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية وإنسانية ، على أن القصة فى الأدب العربى القديم لم تكن جوهر الأدب (كالشعر والخطابة والرسائل مثلا) بل كان يتخلل عنها كبار الأدباء لغيرهم من الوعاظ وكتاب السير والوصايا" . (الأدب المقارن ص ٢١٤ - ٢١٥)

ويذكر فى موضع آخر من المرجع نفسه أن "الذى لا مجال لأدنى شك فيه أن القصة العربية لم ينظر إليها قبل العصر الحديث على أنها جنس أدبى له قواعده ، أو له رسالة فنية أو إنسانية" (ص ٢٣٥ - ٢٣٦)

(٢) يقف عبدالحميد يونس ضد هذه النظرة فهو يعجب من التعميمات فى الأحكام ويذكر أنه قد "وقع كثير من الباحثين فى الأدب العربى أو المتصدين لعوامل التأثير والتأثير بين الآداب العربية والأوربية فى خطأ دفع إليه التعميم فى الحكم وقياس أثر أدبى على أثر أدبى آخر ، فزعموا أن القصة العربية مقصورة على التثر ، وهم يقصدون بذلك القول غير الملتزم لوذن خاص أو قافية خاصة ولا اعتقد أننا محتاجون

ليبيان مفاجأة هذا القول للصواب إلى تصحيح التعريف"
(الهلالية ص ١٢٧)

ويقف فاروق خورشيد مدافعا عن العقلية العربية بأن إبداعها حورب من بعض العرب ومن كثير من المستشرقين . ويذكر أن النظرة الشاملة إلى أدبنا العربى التى ننظر فيها إلى تراثنا الادبى من خلال النافذة التى فتحتها أصحاب اللغة والبلاغة أرضت الأعداء التقليديين للشعب العربى ، فجدد أصحاب الاستشراق فى تثبيت معالم هذه الصورة ، وجعلها بكل تفاصيلها من المسلمات التى تصطبغ بالصيغة العلمية حتى يؤمن بها أبناء هذه الأمة العربية من أنها لا تعرف عقلية التحليل والتركيب وإنما هى عقلية تجريدية تغرق نفسها فى الجزئيات ولا تقوى على تصور الكليات وهو شعب يقتصر دوره الحضارى - كما يذكر المستشرق جوستاف جرونباوم فى كتابه (حضارة الإسلام) - على حمل الحضارة اليونانية القديمة إلى الحضارة الأوربية الحديثة دون أن تحمل هذه الحضارة حتى بصمات أصابع من حملوها" ولكن هذا الحكم لا يرضى أصحاب الفن العربى اليوم لأن التسليم به تسليم بتهمة تلصق بماضيتهم فتنسحب على حاضرهم وتضم مستقبلهم ، ومن هنا كان بحثم الدائب عن كل ما يثبت هذا الحكم الخاطيء المتعسف" . (أضواء على السيرة الشعبية ص ٨ ، ٩)

ويقدم عبد الحميد إبراهيم فصلا يؤكد فيه معرفة العرب للقصة وفى مواجهة التهمة يذكر "أن القصة واكبت الأمة العربية فى سيرها التاريخى . وفى كل عصر كانت أداة فنية تعبر عن حاجات العرب وتكشف عن ظروفهم التى كانوا يعمرون بها" . (قصص العشاق النثرية ص ٢٨)

ولقد قدمت بردجت كوتلى فصلا ممتعا بعنوان "الدفاع عن السيرة" ناقشت فيه دعوى جرونيانوم ونيكلسون أنه ليست هناك ملحمة فى الادب العربى . (Arab Folk Epic P. P 3 - 25)

وفى كتاب "العرب وفن المسرح" للباحث ذكر التهم التى وجهت للعرب ولم يحاول أن يدحضها لأن حقيقة الإبداع العربى تدحضها بسهولة (ص ٥ - ٧) .

وفى كتاب Origins of Arabic Theater للباحث أيضا تعرض بتفصيل أكبر لتهمة عجز العقلية العربية وتصديق بعض الباحثين العرب لها ثم اتهم الإسلام بأنه سبب ذلك . (P.p 8 - 9)

(٤) حاول محمد توحيد السلحدار فى ثلاث مقالات فى صحيفة "المقطم" أن يكشف عن سر إعجاب الجمهور بمسرحية "الأحذب" ، ويربط بينها وبين اقترابها من قصص البطولة التى تعود عليها الجمهور ، ويدلل على ذلك بأنه قد لوحظ ليلة تمثيل الأحذب عندنا للمرة الأولى أن حركة المقاتلة الكبرى فى فاتحة الرواية قد نيهت غريزة التوقى الذاتى واثارت الحفيظة فى سواد الجمهور فتحمس لبطله ولما أمر بيرول بطرح لجاردير فى النهر ، فطرح هو بدله ، وحمل البطل على سرير عدوه إلى حيث أراد ، صفق الجمهور طربا لهذا النصر الغير المنتظر ، وكذلك تأثر فى جميع أحوال هذا البطل غالبا كان أو مغلوبا كان النفوس المتجمهرة توهمته رمزا للأمن والفضيلة والحق وتوهمت التمثيل حقيقة ، وذلك كله من حصول الطرب وشدة الروح العاملة للروح الخاصة " . (المقطم ع ٧١٥ فى ١٩١٢/٨-٨)

(٥) قدمت كاترين أنيتا بيكر رسالة دكتوراه من جامعة إنديانا ، وقد اشتهرت هذه الرسالة - ساعة أن أصبحت في ميكرو فيلم - بين الدارسين وقد أبلغت أنها نشرت ، Cathryn Anita Baker, The Hilali Saga . Tunisian South . Indiana University 1978 .

وكذلك قدم بيتر هيث رسالة دكتوراة عن عنثرة ؛ السيف
Peter Heath, The Thirsty Sword Structure :
and Composition in Sirat, Antar ibn Shaddad,
Harvard University 1981 .

(٦) لم يكن شكري عياد يتحدث بهذه الكلمات عن بطل السيرة ، وإنما عن البطل الأسطوري ، وقد استخدمته في الحديث عن بطل السيرة لا لأن هناك ارتباطا بينهما فقط ولكن لأن بطل السيرة في رأيي هو بطل أسطوري في الدرجة الأولى ، وهذا ما أقوم ببحثه في مشروع دراسة السيرة الشعبية ويؤكد هذا البحث .

(٧) تذكر دائرة المعارف الإسلامية أن الخضر في الأصل لقب معناه الرجل الأخضر ، ثم نسي هذا اللقب على مر الأيام . وهذا يفسر لنا الصفة الثانية وهي الخضر (تشبيها بالنبات الأخضر) التي حلت محل الأولى في مواضع كثيرة . (ص ٢٤٧)

وما تذكره سيرة حمزة من وصفه الإمام الخضر بالأخضرار فهو "الخضر الأخضر" يوضح أن علاقة الأخضرار لم تنس ، ولا حاجة لتوضيح الرابطة بين الخضر والأخضرار . ولقد ورث الخضر في معتقدات العامة في الشرق الأوسط كل ما يخص معتقدات الخصب والإخصاب ، وكان له دور كبير في معتقدات المتصوفة ولقد وقف منه السلف مواقف شتى ،

حدد ابن حجر الكثير منها فى كتابه "الإصابة" وقد تحدث عن نسبه وما ورد فى كونه نبيا وما ورد فى تعميره والسبب فى ذلك . وذكر من ذهب إلى أن الخضر مات ، والأخبار التى وردت فى أن الخضر كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعده إلى الآن . ومن نقل عنه أنه رآه وكلمه . (الإصابة ٤٢٩/٨ - ٤٥٢)

ويورد فى الكتاب حديثا للنبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الخضر فى البحر واليسع فى البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذى بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ، ويحجان ويعتمران كل عام ، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل" . (ص ٤٣٢) . وهذا القول يجعل الربط بين الخضر خاجة الهندى واضحا ، فقد اتخذ فى الهند سمنا خاصا بأهل الهند ومعتقداتهم (دائرة المعارف ص ٤٦٨ - ٤٦٩)

وقد ذكر الحافظ ابن كثير فى "البداية والنهاية" الآراء التى قيلت عن اسمه ، وجميعها يقرنه بالخضرة والخير ، فذكر أنه إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هى تهتز من خلفه خضراء تفرد به ، كما ذكر الفروة عن الخطابى وأبى الخطاب أن الفروة البيضاء تعنى الأرض . وبذلك يكون هو مسبب الخضرة للأرض ، وقيل : إن الفروة الحشيش الأبيض ، ويعنى به الهشيم اليابس وهو يحوله إلى أخضر ، وقد ذكر عن مجاهد أنه قال : إنما سمي الخضر : لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله . (ص ٣٢٧)

وقد محص ابن كثير الآراء التى دارت حول الخضر واتخذ موافقا عقليا منها ، وقد ذكر كثيرا من الحكايات حوله (ص ٣٢٥ - ٣٣٧) مما أوردها فيما بعد ابن حجر وعلق عليها بأن

"هذه الروايات والحكايات هي عمد من ذهب إلى حياته إلى اليوم وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا لا يقوم بمثلها حجة في الدين والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف الإسناد". (ص ٢٢٤)

ومع هذه الخلافات التي بين العلماء حول الخضر فإن الرواة الشعبيين لم يختلفوا حوله ، فقد ساهم في صنع حركة الأحداث لكثير من الأبطال مما جعل دوره يدخل تحت دائرة بحث خاص يعده الباحث حول "السيرة والأسطورة" .

(٨) في النص (لنا) . ويبدو أنها خطأ مطبعي ، فالمعنى لا يستقيم والصواب (لها) .



المصادر والمراسم

أولا : المصادر .

- الأيتام ، رواية شفوية للحاج عبدالظاهر بالكرنك فى صعيد مصر ،
جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى ١٩٧٨/٨٣٠ م .
- الأيتام ، رواية شفوية لعوض الله عبدالجليل بالحجز بحرى ،
مركز إدفو ، جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى
١٩٧٩/٤/٢٥ م .
- الأيتام ، رواية شفوية للنادى عثمان ، بالطود قبلى ، مركز
الأقصر جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى ، فى
١٩٧٩/٤/٨٠ م .
- مقتل الزناتى خليفة ، رواية شفوية لعوض الله عبدالجليل بالحجز
بحرى ، مركز إدفو ، جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى
١٩٧٩/٤/٨٨ م .
- مقتل الزناتى خليفة ، رواية شفوية للنادى عثمان ، بالطود قبلى
مركز الأقصر ، جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى
١٩٧٩/٤/٨٣ م .
- مواليد أبى زيد الهلالي ، رواية شفوية لعبدالسلام حامد
بالأقصر ، جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى أول
سبتمبر/ ١٩٧٨ م .
- مواليد أبى زيد الهلالي ، رواية شفوية للحاج عبدالظاهر بالكرنك
فى صعيد مصر ، جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى
١٩٧٨/٨٣ م .

- مواليد أبى زيد الهلالي ، رواية شفوية لعوض الله عبد الجليل ، بالحجز بحرى ، مركز إدفو ، جمعها د . أحمد شمس الدين الحجاجى فى ١٩٧٩/٢/٢٧ م .
- من أقاصيص بنى هلال ، رواية شفوية عن شيخ ليبي من جادو ، جمعها عبد الرحمن فيفة ، قدم لها ونقلها إلى العربية الفصحى الطاهر فيفة ، تونس : الدار التونسية للنشر ، ط ٢ ، ١٩٨٥ م .
- قصص أبى زيد الهلالي سلامة ، جمعها بترسن من عرب الشوا فى شمال نيجيريا ، ونشرها فى كتابه : Patterson, I. R., Stories of Abu Zaid The Hilali In Shuwa Arabs, London, 1930 .
- ألف ليلة وليلة ، تحقيق محسن مهدى ، ليدن أ . ي . بريل للنشر ، سنة ١٩٨٤ .
- تغريبة بنى هلال ، القاهرة . مطبعة محمد على صبيح . (د . ت)
- سيرة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية : (د . ت)
- سيرة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب ، القاهرة . مكتبة عبدالحميد أحمد حنفى (د . ت) .
- سيرة بنى هلال ، بيروت : دار الكتب الشعبية ، (د . ت) .
- سيرة الظاهر بيبرس . القاهرة . عبد الحميد أحمد حنفى (د . ت)
- سيرة عنترة بن شداد . القاهرة . مكتبة الجمهورية ، (د . ت)
- سيرة الملك سيف : القاهرة : مكتبة الجمهورية . (د . ت)
- قصة الأميرة حمزة البهلوان ، القاهرة : مكتبة الجمهورية ، (د . ت)
- قصة الأميرة ذات الهمة ، القاهرة : مكتبة مصطفى البابى الحلبي ، سنة ١٩٦٢ م .
- قصة الزير سالم ، أبو ليلى المهلهل ، دار الكتب العلمية ، بيروت : (د . ت)

- قصة سيرة الإمام على بن أبى طالب ، لأبى الحسن أحمد بن عبدالله صبيح ، القاهرة : ١٩٦٤ م .
- قصة فتوح اليمن الكبرى الشهير برأس الغول ، القاهرة : مكتبة الجمهورية ، (د . ت) .

ثانيا : المراجع :

١- المراجع العربية :

- إبراهيم ، عبدالحميد : قصص العشاق النثرية فى العصر الاموى ، القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٢ م .
- إبراهيم ، نبيلة : سيرة الاميرة ذات الهمة ، دراسة ، مقارنة ، القاهرة : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (د . ت) .
- أحمد أمين : فجر الإسلام ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- الجهمان ، عبدالكريم : أساطير من قلب الجزيرة العربية ، الرياض : دار أشبال العرب ، ١٩٨٠ م .
- الحجاجى ، أحمد شمس الدين : الاسطورة فى الأدب العربى ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ع ٢٩٢ أغسطس سنة ١٩٨٢ م .
- الحجاجى ، أحمد شمس الدين : العرب وفن المسرح ، القاهرة : دار الفصحى ، ١٩٨٤ م .
- ابن حجر العسقلانى ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على : الإصابة فى تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة ، القاهرة : ١٣٢٨ هـ .
- حسنين ، فؤاد : قصصنا الشعبى ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ م .
- خورشيد ، فاروق : أضواء على السير الشعبية ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة المكتبة الثقافية ، يناير ١٩٦٤ م .

- خورشيد ، فاروق ومحمود ذهني : فن كتابة السيرة الشعبية ، بيروت : منشورات اقرأ . (د . ت) .
- دائرة المعارف الإسلامية . الترجمة العربية ، القاهرة : ١٩٣٢ - ١٩٤٩ م .
- دى بور ، ب . ح . تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريده ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٧ .
- ذهني ، محمود ، وفاروق خورشيد . فن كتابة السيرة : بيروت سلسلة اقرأ ، ١٩٨٠ م .
- عبدالحكيم ، شوقي : سيرة بنى هلال ، بيروت : دار التنوير ، ١٩٨٣ م .
- عبدالحكيم ، شوقي : السير والملاحم الشعبية العربية ، بيروت ، دار الحدائق ١٩٨٤ م .
- عبداللطيف ، محمد فهمى : أبو زيد الهلالي ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٤٦ م .
- ألعقاد ، عباس محمود : الفصول ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٢٢ م .
- عياد ، شكرى محمد : البطل فى الأدب والاساطير ، القاهرة ، دار المعرفة ، ط ٢ ، ١٩٧١ م .
- القرشى ، أبوزيد محمد بن أبى طالب : جمهرة أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ، تحقيق على محمد الجاوى ، القاهرة ، (د . ت) .
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، بيروت : دار ابن كثير ، (د . ت) .
- ليريك ، اليسون : روايات من تغريبة بنى هلال وحروب آل ضيفم ، الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، (د . ت) .
- ابن منظور الإفريقى المصرى . أبو الفضل جمال الدين محمد بن ٢٠٠

- مكرم : لسان العرب - بيروت : دار صادر ، (د . ت) .
 - النجار ، محمد رجب : أبوزيد الهلالي ، الرمز والقضية ، الكويت
 دار القبس ، ١٩٧٦ م .
 - ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (ت حوالى ٢١٨ هـ) ، السيرة
 النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، (د . ت) .
 - هلال ، محمد غنيمي : الأدب المقارن ، القاهرة : دار نهضة
 مصر ، (د . ت)
 - يونس ، عبد الحميد : الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى ،
 المكتبة الثقافية ، القاهرة : دار القلم ، (د . ت) .
 - يونس ، عبد الحميد : الهلالية فى التاريخ والأدب ، القاهرة :
 مطبعة جامعة القاهرة ، ١٥٦ م .

ب - المراجع الأجنبية :

- Abercrombie, L., The Epic., London, Mortin Secker .
 - Connelly, B., Arab Folk Epic and Identity : Ber-
 keley : Univensity of California press .
 - Al Haggagi, Ahmed Shams : The Origins of Arabic
 Theater, General Egyptian Book Organization, 1981 .
 - Metin . A. A., History of Theater and Popular Enter-
 tainment In Turkey . Ankara : Forum, 1963 - 1964 .
 - Nickilson, R. : Aliterary History of The Arabs,
 Cambridge, Cambridge University Press, 1962
 - Raglan, lord., The Hero, New York ; New English
 library, 1979
 - Rank, O., The Myth of The Birth of The Hero . New
 York, Alfred A. Knopt, Inc., 1964
 Tillyard, E. M. W., The English Epic and its Back
 Ground, New-york : Oxford Press, 1966 .

**مواليد أبى زيد الهلالى سلامة
رواية عوض الله عبد الجليل
من الحجز بحرى - مركز ادفو
محافظة أسوان
جمع : د . أحمد شمس الدين الحجاجي
بتاريخ : ٢٧ / ٣ / ١٩٧٩ م**

يا مسعدك ياللى تصلى على النبي
 نبي عربى على امته ببسال
 يا قلبى صلى على نبينا المنتسب
 اللى سرى له جبرائيل فى ليلة رجب
 ابدى وافن على ملوك العرب
 بقول تعتبروا العقول الزكاه
 بقول تعتبروا العقول التمام
 امة نبينا الزين عليه السلام
 قال الهلالى رزق امين الرجال
 بدى انا اتزوج يامقادم هلال
 بدى انا اتزوج يامقادم هلال
 ياكش تجينى بنت والا غلام
 قالوا الهلايل هم فرسان تمام
 بنت الشريف قرضه من الناس التمام
 نسبة نبينا المصطفى عليه السلام
 بنت الشريف قرضه ملك فى حماه
 شدوا الهلايل فى وسيع الجبال
 رزق الهلالى والاكبر وراه
 رزق الهلالى شيخ اكبر هلال
 عمد على جده وراح له المكان
 كانوا امير فى حظ اهل الزمن
 راهم صوبوا على الديوان
 عرقلهم ناقه سمينه عشا
 عرقلهم ناقه وزادهم كرم
 كرمه لخضره اللى جات م الحشا
 دبجلهم ناقه وزادهم كرم
 عند الشريف بلغوا الهنا والمراد

قال الشريف قرضه مرحبا بالعرب
 إيه ما طلبتم فيه على الله كفاه
 بحضرتكم ضم البعيد والقريب
 قال الهاللي ابن نايل أناجيتك مريد
 القرب منك ياربيع المشاه
 القرب منك ياربيع الضيوف
 نسبك يزودنى شرف ع الصفوف
 قال الهاللي نسبك يزودنى شرف ع الصفوف
 قال الشريف قرضه أنا علوز أربع تلوف
 وخمسمية هليج وميتين كلاه
 وخمسمية من خيار الخيول
 وربعميه لجل شيل الحمول
 دوله ودوله ياذوات العقول
 دوله ودوله ياذوات العقول
 كلوا طميعه للخدم والسعاه
 كلوا طميعه للخدم والعبيد
 فى مهر خضره اللي لقاهها سعيد
 وميتين حبشيه من أرض الصعيد
 وميتين مملوك تجينا هناك
 وميتين مملوك تلجى تسد الطلب
 تخدم الاماره عالية الرتب
 ومهر خضره فى المال خزنة ذهب
 مهر امها واسال كبار العرب
 لو كان بدك يا هاللي دايرع النسب
 أنا ليلة الدخلة عليا عشك
 أنا ليلة الدخلة عليا العشا
 فى مهر خضره اللي جات م الحشا

إذا جلبت مولود كبير واتفشا
 أبوزيد يطلع فارس يكيد العدا
 يزقي العزول حنضل بكس الردى
 قال الهلالي إحنا رضيعنا بدا
 وإن قلت شئ تاني على الله كفاء
 وإن قلت شئ تاني أقول لك وجب
 حضروا القاضي وعدوا الذهب
 صارت حليلته من وقتها من نساء
 صارت حليلته بنت قرضه الشريف
 سلطان على مكه وعرضه نضيف
 شدوا لها هودج ملوكي ظريف
 والبهلوان نصب جه حداة
 والبهلوان راخر نصب عدته
 نصب وفرجهم على صنعته
 كل الاماره ادوه وابوها كساه
 اتقدمت العربان ولا تاخرت
 قعدت معاه سنه بكرت
 وضعت شيعه بإذن الإله
 وضعت وجلبت شيعه بإذن الإله
 وضعت وجلبت شيعه وزاد الهنا
 تقعد مع رزق في حظ ودينه
 من بعدها قعدت حداثه سنه
 متعوقه والوعد رايد بيه الإله
 متعوقه والوعد رايد بيه الكريم الجليل
 قادر على حكمه خفيف وتقليل
 طلب ركوبه رزق الهلالي الأمير
 يلقي الاماره والقرومة السماء

يلقى الاماره بولادهم اوكبوا
بالخير والعز والهنا اطربوا
ولادهم فوق الفراش يلعبوا
زى السبوعه فى وسيع الفلاة
زى النمره فى وسيع البطاح
ابواتهم زادوا الهنا والانشراح
لما نظروهم رزق الهالى ازدايت بيه الجراح
علود يكب الدمع جوا حماه
علود يكب الدمع جوا الحمى
بكى وبلى الخدود والمحرمه
إلا وانت خضره دموعها قنا
إلا وانت خضره الشريفة تبكى جفاه
ومن كتر ما كانت تموت فى هواه
ومن كتر ما كانت هواها عجيب
تبكى وتتصعب فى يوماً يغيب
قالت له قل لى اصل البكا ليه يا حبيب
يلرزق تبكى ليه البكا إيش نباه
يلرزق تبكى ليه ياكثير المقام
تبكى يا هلالى وليك دمع سأل
قال لها يلخضره حصل لى كلام
ما قرم فارس إلا ابنيه بيلعب معاه
ما قرم إلا ابنيه بيلعب معاه ع الفراش
وبصيت لقيت نفسى بنيتهم بلاش
نزلت دموع خضره تغنى طشاش
من هرج رزق اللى طراها حداه
من هرج رزق اللى طرى هذا الجواب
كلن عند خضره عقل فى الراس وغاب
إلا وانت شمه بنت الحسب تجر الثيلب

بخدود يحلكوا الورد مشه الندى
 دخلت وتلقى خضره متنكده
 قالت لها ياخضره "ايا بنت عمي" مالك كده
 لم ضع لكم ضايع ولا حد تاه
 لم ضع لكم ضايع من الوطن عام
 ليه بتبكي ياخضره وليكي دمع سال
 قالت لها اياشمه حصل لي كلام
 مزق صميم قلبي ودمعي يسيل
 مزق صميم قلبي ودوب حشاه
 على كسر خاطر رزق طول السنين
 راح لقي بني هلال بولادهم جالسين
 عاود يقول اه من الدهر اه
 عاود يقول ياahl ترى ربنا
 رايد ليه بقطع الولد كام سنه
 لما سمعته زاد بكيا انا
 والبين زقاني كس وعلود ملاه
 والبين زقاني كس وعاده كمان
 على كسر خاطر رزق بطول الزمان
 بوجدى ياشمه ولا اطيع جفاه
 بوجدى ياشمه من رزق الهمام
 بوجدى ياشمه وحالي عجب
 بابكي وذليله من قلة الولد
 ودمعي ياشمه منى ذهب
 رزق الهلالى ولا اطيع جفاه
 بوجدى ياشمه ودمعي ذليل
 دمعي هطل ع الفراش منى يسيل
 إذا اشتكيت للجبل لجلى يميل
 إذا اشتكيت للبحر يوقف بماء

يحزن عشتاني ودمعي صمد
 دمعي هطل ع الفراش بل الخدود
 شمه تقول ياخضره ربي كريم يعطف وجود
 اللي بيترك شي بيعيش بلاه
 اللي بيطلب شي من الله ينول
 لانه بيتقول بكتر القبول
 قالت لها قومي بنا واتركي الحمول
 بكره نروح للنهر ونتنظر صفاه
 ياخضره نروح للنهر يام الدلال
 نشوف لك فيه شبيه الزلال
 ولمت تسعين بيضه من صباية هلال
 مشوا في طول خضره شبيه السعاه
 مشوا في طول خضره وآتوا النهور
 لقيوا زلال سايح وحوله طيور
 لكن فيهم طير اسود سواده عكور
 شنت جميع الطير وشال من حداه
 شنت جميع الطير وخلاه شنت
 اسمر في لونه جميع الصفات
 شمه تقول اطلبوا يابنات
 المولى يريزق العباد بلا عين تراه
 المولى يريزق العباد بحال المبتدى
 ويعلم بقطر النمل ودب الندى
 خضره تقول اديني غلام اسود كيف الطير ده
 لملكه تونس ووادي حماه
 املكه تونس بحد الحسام
 من لجل يقولوا خضره جابت غلام
 من الهلالي ابن نليل يريزق موافى الزمام
 يامن شفيت ايوب وطلب من بلاه .

يامن رفعت إدريس لأعلى سما
يامن دعاك يعقوب وفتح من العما
يامن دعاك موسى كريم ياربنا
لما أتى فرعون وجيشه معاه
لما أتى فرعون وجيشه احترق
وضع عصايتيه فوق البحر المحيط افرق
ربى كريم ماله شريك ولا ولد
هو المولى بيعتكم بجرى المياه
ربى بيعتكم بما فى الافتقار
تسخر الريح والسحب والمطر
اسالك يامولاي بنور باهى الجمال
لانى اجيب مولود يكيد العدا
لانى اجيب مولود يكيد العدا
ابوزيد يزقى العوازل حنضل بكس الردى
سبحانك يامولاي تعلم بحال المبتدى
اعشق جمال المصطفى
محمد نصلى عليه
اطْلَبْتُ كل السرارى والخدم
من اللى بسط الأرض ورفع السما
من اللى بسط الأرض ومد البطاح
من صنعته البارى إلا الكرم والسماح
بنات الهلايل اطلبوا بالرواح
خضره الشريفة كان عقلها زل تاه
راحت على فراش المملكة مطرشا
جاها الهلالى رزق من بعد العشا
لبست حرير ديباج وجلست معاه
لبست حرير من الديباج كداه لبسها
رزق الهلالى طلب الوصل من يمها

سعدت ورب العرش ارسل لها
بالطفل اللي بان وكاد العدا
بالطفل ده اللي بان وكاد الرجال
من صيت ابوزيد شرف هلال
فرحت ايا جدعان كبير وصغار
فرحت العربان جميعاً في ناحيته
بالطفل ده اللي بان وكاد العدا
كانوا اماره في حظ اهل الزمان
فرحت العربان واتت ناحيته
فرحت العربان واتوا جموع
واندقت الافراح في ليلة السبوع
قربوا على البطل ابوزيد وكشفوا القلوع
لقبوا الهلالي اسمر ولا جه لباه
لقبوا الهلالي ازرق بلون العبيد
لكن وجهه احلى من العنب والزبيب
قال الامير سرحان امر الله عجيب
من رحمة البارئ يستر على المذنبين
امه وابوه بيض وهو الولد جه لامين
بقت مسبه والهلالي جالسين
يلحيف خضره تهوى عبد لابس عبا
يلحيف تهوى عبد يلجى من الجلب
قالوا شريفة من خيار النسب
لمن سمع بالقول عاد قال ده الحشا
لمن سمع بالقول عاد وقال يلرجال
اسمعوا الحجة منى ومعنى السؤال
ابن الزنا كتلوا وموته حلال
لا خيرة في مولود ميجيش لباه
لا خيرة في مولود يلجى من الزنا

طلق خضرة يارزق تنول المنى
 طلقها ياهلالى فى هذا السن
 وديك زغبية عليها كلام
 واديك زغبية عليها القول عجب
 شواطع من فضه والمناطق ذهب
 لمن سمع بالقول رزق الهلالى اتغلب
 حلف يمين واتق بفمه تراه
 حلف يمين واتق وباع واشترى
 طلق فراش السلطنة والمره
 لما بقينا بين الهلاليل معيره
 حلف الامير رزق الهلالى بفمه وتراه
 لم عدت اقبل خضره ولا عاوز عيال
 يشفعوا فى رزق كبار وصغار
 اشفعوا فى رزق بيهم ما ارتضاش
 سفه مقدمهم ورجعوا بلاش
 إلا وجات شيجه بدمع العين طشش
 يابويا تظلم امى ليه بلا عيب تراه
 يارزق تظلم امى ليه بلا عيب حقيق
 امى شريفه ما تعرفشى مشى الطريق
 اعمد على خضره بواحد رفيق
 انعم على خضره بحق الاله
 انعم على خضره بحق واحد احد
 هو الذى يعتلم بحال الولد
 لمن سمع بالقول صلبه جلد
 لمن سمع بالقول حنت عضاه
 رزق الهلالى نده وقال يانجاح
 بينده يقول يانجاح
 اسمع القول منى وراى صلاح

خذ الدبوس وسيربيه فى وسيع البطاح
 وطوحه ع المال وعينك تراه
 وطوحه ع المال وخلي عزمك صديق
 خلى اعتمادك على ربك كريم ومجيد
 محل مايخط الدبوس وعينك تشوفه من بعيد
 اديه لخضره يا عبد ليها جباه
 ولا يصير ابنى البطل ابوزيد
 وسط الفوارس "الهلايل" "العرب" معيه
 خذ الدبوس نجاح وراح
 قطب العمائم حوم وجاه
 قطب العمائم نده وقال له يانجاح
 اسمع القول منى وراي صلاح
 حديك تلت دعوات ياذن الإله
 ادليك تلت دعوات منين تسير
 اخذ الدبوس قطب العمائم من بعيد
 طوحه على المال والعين تراه
 ايا سامعين ..
 ايا سامعين .. صلوا على طه
 اخذ مال رزق ومال سرحان قسموا سواه
 اتقسم ايا سامعين .. صلوا على طه نبينا الضمين
 توكل نجاح فى الجبال يسير
 قال ياملك اخذ مالك ومال سرحان .. قسموا سوا
 بشيء عجب وحياة نبينا الزين طه المنتسب
 اسمعوا ياملوك العرب ع اللى جرا لخضره الشريفه بحق الإله
 يشفعوا فى رزق الهلاي بيهم مارتضاش
 سفه مقدمهم "العرب" ورجعوا بلاش
 قال الهلاي خساره
 رزق الهلاي ولا ارتضاش

قالوا الهلايل علوزين جيد ياخذ كراه
 علوزين لنا جيد من ارض النجاد
 ياخذ هدم خضره وحتى الجهاز
 ومن هنا يوديهها لارض الحجاز
 كرمه للشريف قرضه دخلنا حماه
 كرمه لآبوها اللي رحابه وسيع
 ندهوا على القاضي وكان اسمه منيع
 لمن سمع بالقول جاهم مستطيع
 قالوا ادي اللي الناس تصلى وراه
 قالوا ادي اللي الناس تريده إمام
 قالوا معاه ولا نخلقوش معنى الكلام
 نشروا في وسيع الخيام
 مسكوا لهم بره الوسع في الفلاه
 مسكوا لهم بره الوسع في الحمد
 بعيد عنديهم فرسان ولا فيه بلاد
 قعدوا تلت ايام وهمن في اجتهاد
 قربت على القاضي خضره باست يداه
 قالت له انا مقدرش اصوب يم ابوى في هذي السنة
 إذا اُن قلت له رزق الهلاي هون فينا
 مقدرش القول القول ولا اتكلموا
 إل كان يكرمني على ذمته
 شوف لي ياامير جيد انا اروح ناحيته
 خليني أربي الغلام في جباه
 ياما الزمان حكاه على ناس كثير
 اللي امر بالهراق شملنا ياامير
 يفقد من الهلايل وتطفش نساء
 يفقد بين العربان ويخلف عيال

يبقوا مسطه بين مقدم هلال
 خبط القاضي على كتفه وقال
 الأرض للزحلان وأنا اكبر عداه
 الأرض للزحلان ولا أقدر أفوت
 لمن تكون معاي ألف لازم تموت
 عزهم القاضي "فليدبن مناع" ورجعهم سكوت
 جوها عرب عطوان يهزوا القنا
 قال ادخلوا الصيوان ماله اللي هنا
 طلعت خضره الشريفه ومثلتمه
 تبكى لكن دموعها دما
 عيب على فرسان تعر النساء
 عيب على الفارس يعر الحريم
 الفعل ده ما يفعلوش إلا اللثيم
 اللي يكون طاهر وجسمه سليم
 لم يفعل المكروه لطول المدى
 لم يفعل المكروه لطول الدوام
 اللي عبر حيه يسير في امان
 انا جعلتكم قوم اكابر تمام
 تريكم عرب عطوان ارازل حفاه
 تريكم عرب عطوان ارازل طموش
 اندال في حيكم ضيف ولا تكرموش
 اسالك يا عالم بلغاء الوحوش
 يارازق الاطيار في وسيع الفلاه
 يارازق الاطيار في وسيع الحماد
 ابوزيد يطالع فارس ويركب جواد
 يطب في ايده سليط البولاد (الخضر عليه السلام)
 ويبلغ المقصود على اكبر عداه
 ويبلغ المقصود باهل الكرم

بحق اهل البيت وإمام الحرم
 لمن سمع ده القول داغر انقهر
 وقال لقومه اسمعوا باسماء
 يقول لقومه اسمعوا يارجل
 انهبوا الخيل منها وحتى الجمال
 اوعدوا تخلوا لخضره عيال
 وسيبوها لوحدها في وسيع الفلاة
 ياما تقاسي ذل وبهذه
 إلا وسبع "اضرع" عليه السلام (الخضر)
 يأتي من الخلا يمشي ويسرع بالعجل بخطاه
 راح ليها لقيها بتبكي وجنبها ابنها
 شئت نياهم بإذن واحد أحد
 رجع على خضره وقال هاتيلي الولد
 عطت له الامير ابوزيد لكن لم جيلهشني جلد
 قال لها بركات وسرى معاه
 قال لها بركات وسرى معه
 حتى إن اضايق في الحرب انفعه
 دلوكت اهو ابوزيد الخضر حزمه
 خضره الشريفه اتلفتت لم تراه
 خضره الشريفه اتلفتت ولا شافتوش
 واطلعت بالعين ولا لقيتوش
 إلا الامير زحلان حقق شاك الجيوش
 حقق صيوان اخضر وحوله سماء
 حقق صيوان اخضر وحوله خيام
 لا هم عرب شعبه ولا هم شوام
 ارسل لها اربعة لام الغلام
 قالت نزيله للزحلان روحوا بشروه
 جوا لها خطر سماح الوجوه

راحوا للزحلان وبشروه
 جوها وقال قومي دخلت في حماه
 ربي وليدك ابوزيد في هنا وامان
 قعدوا حدا الزحلان مدة زمان
 كبر البطل ابوزيد في الحق زود عشاء
 كبر ابوزيد ودوه لراجل فقي
 في الخط شاطر لكن في الصلا متقى
 ايه ما طلب في اللوح عنده بيتلقى
 سبق عليه بالسطر باحسن جواب
 كانوا حدا الزحلان ولدين شبيب
 من يوم راحوا الكتاب وهما سوا
 إلا الامير ابوزيد تقصد شرهم
 الفقري رعيان ابدى وقال لهم
 طبوه وانا ادى له ثلاثين عصاه
 طبوه وانا اديله ده عبد وشقى
 داروا عليه الكل حتى الفقى
 داروا عليه الكتاب ميلتقى
 طلع هارب منهم محدش راه
 طلع هارب منهم ايا سامعين
 نبش ركان البيت شمال ويمين
 إلا لقي دبوس ليه مده من السنين
 يحكم تمانين رطل في كفه تراه
 يحكم تمانين رطل برمانته
 شاله الامير ابوزيد على راحته
 جات خضره الشريفة لابوزيد البطل
 خضره الشريفة باسته وحبته
 وقالت تسلينى يولدى على قهر اياه
 وقالت تسلينى على شوق بقى

قال انا ما ارتجع إلا إن كتلت الفقى
 قالت له ياابوزيد متبقلش شقى
 هما فى الحديث والشيخ سابق اتى
 هما فى الحديث والشيخ نوى يغدره
 جبلوا الطعام ابوزيد قوام اطعمه
 طلع الفقى عايب وعيبه جزاه
 طلع الفقى عايب وعيبه غلب
 رحلوا الكتاب ابوزيد ده اللى كتب
 الشيخ يقول له يا عبد يالليل الاسب
 جاى يمسكوا سطوا بديوس رماه
 طلعت منيه روحه وسالت دما
 إلا اخو الرعيان لف وارتمى
 راحوا حدا الزحلان قالوا يا امير
 ابوزيد كتل الفقى .. قال عيل صغير
 روح إلزم الكتاب وحفظك كثير
 والعلم لآخر اوهبوه له الإله
 بقى ابوزيد الفقى واخو الرعيان عريف
 اخو الرعيان إن خش الكتاب يقول يالطيف
 خايف من الامير ابوزيد ليقطع رجاء
 خايف من الامير ابوزيد بالاتهام
 صلوا على طه عليه السلام
 إلا كانوا حدا الزحلان ولدات تمام
 تركب ظهور الخيل وتطلع وراه
 تركب ظهور الخيل وتطلع تسير
 ويتواعدوا بره فى الحمد الغزير
 كلهم كبار وابوزيد عيل صغير
 تَرْكَبْهُ خضره وتطلع وراه
 تَرْكَبْهُ خضره وتطلع تقول

الله يزيذك وتدعى له - بالهنا والقبول
 يرجع راء السجعان فى ايده اصول
 كان له جريده .. هى جريده
 لكن ضيها فى يداه
 يعنى جريده ابوزيد فى ايده ضيها
 يرجع ورا السجعان يلعب بها
 جميع الذكر اللى يدوق طعمها
 يرجع موزم لم يدوق العشا
 حرب الامير ابوزيد يكيد الحشا
 كبير الامير ابوزيد فى الحرب وانتشا
 نزلت على الزحلان اعادى طغاه
 نزلت على الزحلان اعادى فجور
 من لجل عشر المال على من يكون
 عطوان وابوه يحكم على الف سور
 مالبين قلاعهم من الحرب والقناه
 مالبين قلاعهم من الحرب العسير
 مرتبين جزيه على ناس كثير
 نزلوا على بل الزحلان كان غزير
 اخذوا عشر تلاف وبقواميه
 اخذوا عشر تلاف وطلعوا الجبل
 زى الجراد اللى يكون منسبل
 بعثوا المرسل الرعيان بالعجل
 راحوا حدا الزحلان وقلوا النجاه
 قالوا له الجمال اخدها عطوان
 اتخبط الزحلان على كله
 وقال فين الغلام اللى يبين تناء
 وقال فين الغلام اللى يبين له التنا
 يحجز بقية المال بطعن القنا

قال له الامير ابوزيد
 وحياة دراعى انسا
 لو راح جعل منهم دراعى فداه
 لكنت اموت ولا يكسبوه العدا
 يا عبد يا قمصان شد اللي الجيده
 ركب الامير ابوزيد ونديده معاه
 ركب الامير ابوزيد وكام فارس عنيد
 ركبت الفرسان وابوزيد عنيد
 استخفت بيه الشبهة
 شالت وحطت لزاها بالحديد
 زحلان لما شافه من بعيد
 كيف صقر ارتخى وانزاح منه الرماه
 كيف صقر ارتخى وانزاح منه الضباب
 ياما نهار كالريح نادى وطيباب
 ذحلان ينادى وقفوا يا عبد
 لم تفرحوا بالمال وابوزيد وراه
 اوعدوا تفرحوا بالمال ولا تكسبوه
 جلكم الامير بركات سماح الوجوه
 قال الامير عطوان ده عبد اكلتوه
 ده عبد جاى ابلم وجهه رماه
 ده عبد جاى ابلم رمح وانجمر
 وراه ابوزيد الحرب عليه واتوعد
 (خطوا) خبلوا بحربه عودها ثمر
 طل الخشب غير الحديد .. من قفاه
 طل الخشب غير الحديد من القفا
 وشال دراعه من ع الجواد واكتفى
 لما كتل عطوان جيشه اخطفى
 راحوا لايوه الكل وقللوا له النجى

(راحوا لآبوه الكل وقاموا عزاه)
 (راحوا لآبوه الكل قاموا عداه)
 راحوا لآبوه وقالوا له البقي
 بينك ما بينه الناس ياطول الشقا
 عطوان اخذوه في اول الملتقى
 جاله عبيد شاله محدش راه
 جاله عبيد شاله محدش نظر
 واتعتع الديش من جواره اتقهر
 لمن سمع ده القول داغر انقهر
 نبه طبول الحرب وجالته الوف
 زرد يمانى والدروع ع الكتوف
 قال قوموا بينا خل نشدوا نشوف
 اللي كتل عطوان وشطط نياه
 اللي كتل عطوان وحاز الطرود
 علوز اشوف إيه كنيته ؟ وإيه يكون
 قالوا له نوريه ليك احنا بالعيون
 ابقى انت خد منه حراب بالبالا
 يلکش تكون في قدومكم مقبلا
 برز ابو عطوان في وسيع الخلا
 واتمنعوا اللي شافوا حرب ابوزيد ولقاه
 واتمنعوا اللي شافوا حرب الولد
 ع اللي راوه محدش جاى له جلد
 استهتر داغر بعلم الولد
 رمح عليه بالغول وسابه جلد
 قال له تعال يا عبد يا قليل الادب
 تكتل وليدى يا قليل الحيا
 تكتل وليدى ليه يا فردة نصاح
 انت تمن دبوس ماليکش تمن

قال ياعم داغر منا عليك السلام
 الفشر للاندال مش للسماء
 الفشر للاندال مش للملوك
 اعمد على التار وعريك ينظروك
 ولدك جاني انا وراقد في المنام
 قال لي هات لي ابويا اتانس من لقاءه
 قال لي هات لي ابوى من على حربته
 قال له انا ولدى رضيت ذمته
 قال دلوكتي ندى ونى
 الحرب دلوكت ندى له ميعاد
 قال عاد مين يجيك يافسد البلاد
 خلقت على امي ليه في وسيع الفلاه
 خلقت على خضره ليه وانا ولد صغير
 غير نجاهما ربي كريم وحليم
 رمح عليه بالغول ايا سامعين
 نزلوا لقتين في حومة اللقا
 اتحاربوا ميسرة وردوا يمين
 (صلوا على طه ايا سامعين)
 طسه تلت طسات بسيفه رماه
 طسه تلت طسات بسيفه اترمى
 وطلعت منه الروح وسال الدما
 واسيط ابوزيد في الحرب واتنشا
 روح بميت بيضة تزغرد وراه
 روح بميت بيضة تزغرد وراه
 من طلعتة فارس يمشى مع الرجال
 إلا عرب عطوان شدوا ع الجمال
 بلد الامير جليل وبلسوا يداه
 (محمد نصلى عليه)

وحياة نبينا المنتسب
 إلا وشدوا ملوك العرب
 فرسان سجعان يهزوا القناة
 فرسان سجعان ملكوها شمال ويمين
 بلد الأمير جليل وباسوا يداه
 بلد الأمير جليل .. وراحوا له المكان
 كانوا اماره فى حظ اهل الزمان
 إلا الأمير جليل لم خيله واحتجب
 لم خيله وكان صاحب لعب
 الشواطع من فضة والمناطق ذهب
 قال الأمير أبوزيد شدوا لى أنا كحيلى
 انظر جليل وانظر صفاه
 انظر جليل من اهل الزمان
 ... صلوا على نبينا عليه السلام
 لمن شد الأمير أبوزيد أمير الرجال
 عمد على جليل ايا سامعين
 حاربوا ميسرة وردوا يمين
 أبوزيد جه من جليل لم لقي له معين
 حرك اللوالب بقوة معاه
 حرك اللوالب بقوة معه
 طلع نبه على طيله
 لمن نبه طلع الأمير أبوزيد
 حمد إلهه ومسك الفضأ
 بقى يحسبن فى الأمور والقضا
 إلا بقوة قطب العمليم حوم وجاء
 حوم يقول وحياة نبينا الزين
 قطب العمليم لابوزيد يقوم
 حابس له الأعوان فى المنطقه وجاء

أبوزيد قال يا قمصان شد لى الفرس
 دوس الامير جليل دوس حماه
 دوس الامير جليل دوس حماه
 دوس الامير جليل ايا سامعين
 اتحاربوا ميسرة وردوا يمين
 رمح عليه بالغول ايا سامعين
 طسه تلت طسات بسيفه ورمه
 صلوا على نبينا طه الضمين
 عرب جليل طلعا يسيروا حدا سرحان
 ابدوا يقولوا وحياة نبينا الزين طه الرسول
 عند الزحلان فارس يقول
 عيب جميع الفوارس ايا سامعين
 حلف سرحان نطق اليمين
 شدوا ياهلايل شمال ويمين
 داسوا بلاد الزحلان وملكوا حماه
 قاموا بلاد زحلان وملكوا المرس
 إلا أبوزيد قال شدوا لى الفرس
 انا انظر الامير اللى اتى وانظر صفاه
 انا انظر سرحان ايا سامعين
 اتحاربوا ميسره وردوا يمين
 همز عليه ايا سامعين
 إلا سرحان حمد الإله ومسك الفضا
 قال اشكى لمين ع اللى جرى
 إلا اتى فايد حارب أبوزيد شمال ويمين
 رمح عليه بالغول ايا سامعين
 أخذ قمح الشاش والشاش رماه
 وملك الفضا بقى يحسبن فى الامور والقضا
 قللوا العرب ده شىء مفهشى رجا

علوزين نشوف الامير غانم وننظر صفاه
 علوزين نشوف الامير غانم
 راجل فارس من اهالى زمان
 شدوا المقادم وشدوا فوق الخيام
 إلا اتاهم أبوزيد سبيع الرجال
 عمد على الميدان حوم وجاء
 عمد على الميدان ونزلوا لتنين فى حومة اللقا
 ظهر الجيد من نضيف القنا
 إلا الامير غانم فى الحرب ارتقى
 سط الامير أبوزيد بحربة وجاء
 سط أبوزيد بحربه شمال ويمين
 خطفها الهالى ايا سامعين
 همز عليهم بركات والمولى ليهم معين
 سكنه ياخوانا لحود القرى (سكن غانم أبو دياب)
 سكنه فى لحود القرى
 قالوا لينا فارس ياهل ترى
 نستنى رزق بن نليل ملك فى حماه
 (رزق بن نليل من نهار ماطلق خضره ماسك
 جبل كوم)
 قالوا رزق السجيع نضيف القنا
 فى الحرب زايد ايا كبار الهنا
 قال الامير ناجح وحياة دراعى انا
 لا جيب رزق نليل فى وسط الفلاة
 (ناجح ابو قمصان) لا جيب رزق بن نليل ايا سامعين
 روح وجده فى الجبال سجين
 قال له قوم بينا ياامير ناجح ايا سامعين
 خلينا نشوف اللى قوى الزحلان ياامير العرب
 إيه اللى قوى الزحلان وقوى عظامه

وحياة نبينا الزين طه المنتسب
عيب ملوك العرب حتى الديوان هردم علاه
حتى ديوان المملكة ايا سامعين
كتل كبار وياصفار شمال ويمين
رزق بن نايل بمهره لما يسير
إلا وشيحه يا اهل الهنا
ملكوا العربان فى وسيع التمن
رزق بن نايل كان نضيف التنا
داس بلاد الزحلان وداس حماه
وداس الفرس وقال يادنيا ممتعك لانه بلاش
ابوزيد قدام ما يلف ده شلش
حلف يمين واثق بحقه تراه
حلف بيمين واثق بفمه
وقال انا اشوف اللي دوس الارض ده ايا سامعين
واتحاربوا بميسرة وردوا يمين
إلا نزل فى الحرب ايا سامعين
تلت ايلم بلا عين تراه
تلت ايلم ع اللي جرى
وشيحة قالت يا اهل ترى
والله حربيه يا بوى ما جرى
جليبك يا امير فى الوغى
نزل الهلالى ابوزيد من فوق التنا
لاتنين اتلاقم فى حومة اللقا
لاتنين اتلاقم شمال ويمين
وصلوا على طه الامين ايا سامعين
ده حاربوا ميسرة وردوا يمين
إلا مسكت البرتقالة تشوحها من وسيع الفلاة
مسكت البرتقالة وشوحتها

شافها الهلالي خطفها باليمين - قسمها نصين -
 وسكن الفرش منه والوحوش تراه
 عمد على الهلالي حوم في حومة اللقا
 نزلوا لقتين - فوارس - في حومة اللقا - وردوا يمين
 اتحاربوا وحية نبينا طه الضمين
 ابوزيد ده رزق مالقى له معين
 نلوى يسكن ابوه في لحد الترى
 قال الامير رزق بن نليل ياهل ترى
 ده شيء ياناس زود اساه
 وحية نبينا المصطفى
 قالت له شبحه يانضيف التنا
 بذاته ابنك في وسيع الفلا
 شبحه قالت له ياهلالي
 ابوك لتكتله ياغربه وتصبح بلاه
 لتكتله ياغربه تسكنه لحد الترى
 نبقى ياسلامة في وسيع الحجاب
 إلا الامير ابوزيد وقع سيفه . فوق القراب
 حوم على ابوه لما اتاه
 وعانقه شمال ويمين
 خضره زغردت قالت ياناس جانا الهنا
 والهنا لينا يسير - وحية نبينا المصطفى نضيف ال
 قال الامير ابوزيد وحية دراعى انا عزمتكم عندي ايا سامعين
 حاربوا السجعان شمال ويمين
 عزمهم الهلالي في ديوان زحلان
 دبح من الكبشان والجمال في وسيع الفلاة

دبح من الكبش ان يدي يقول
وحياة نبينا الزين

سمع فضل الزحان يقول
ما يفرق إلا نضيف التنا

قلت أبوه في وسيع السماء
قال له ليه يا هلالى تفوتنى شغل

أيه الملى جزى لك يا ببنى وأنت متى صغير
قال له أنت فتنى فى القنات

وأنا فتك فى السقاط
صعيرة وسوت عيبة يا مقلدم هلال

لعيبة وسوت عيبة يا نضيف التنا
قال له الهالى أبو زيد

وحياة دراعى أنا لازم تجيب القاضى
تكتب على خضره يا نضيف التنا

الأمير رزق بن نابل والله بلغتم المعنى
أ طبول الفرح ويا الهنا

نين ليلة فى وسيع الفلاه
رحبت العربان وزاد الهنا

لا وقال الهالى رزق وحياة دراعى أنا
مهر خضره يكون ع التعام

سيفه للحبيب محمد
الكبش نطق له وجاه

كرمه للحبيب / نطق لا / العجل واليا
وحياة نبينا طه المنتسب

أحمد محمد نضيف التنا
(محمد نصلى عليه)

الفهرس

٧	مقدمة
١٣	المصادر : الراوى والراوي
٤٧	النبوءة او قدر البطل
٦٣	البطل المصاحب
٧٣	نسب البطل
٨٥	الميلاد
٩٥	الغربة والاعتراب
١٣١	التعرف والاعتراف
١٨٩	الخاتمة
١٩٠	الهوامش
١٩٧	المصادر والمراجع
	الملحق : نصوص الروايات
٢٠٢	الشفهية التي جمعها الباحث

رقم الايداع : ٢٤٢٩ / ١٩٩١

I . S . B . N

97707 - 007t - t

كتاب الهلال القادم :

الفتن في حياتنا الشخصية والاجتماعية

تأليف

د . عبد الستار ابراهيم

يصدر : ٥ مايو سنة ١٩٩١

وعلقا راسهاا بـلـتـح :

هذا الكتاب

يعد كتاب السيرة الشعبية - مولد البطل تنويجا للجهـد الذي بذله الدكتور احمد شمس الدين الحجاجى فى دراسة علاقة الأدب الشفوى بالأدب المكتوب اذ قدم كتاب الاسطورة فى المسرح والاسطورة فى الادب وصانم الاسطورة . وقد كتب المؤلف بعد ذلك ليقضى سمرته فى حياته بجمع السيرة ودراستها ودراسة رايها محاولا ان يضع القانون الفنى لروايتها وبنائها فهى النوع الفنى المتشعب بالأساطير الشعبية الخرافية القرية الامية الذى طوخته المدينة الكاتبة الى فن الرواية الحديث ، فالسيرة هى ام الرواية وقد عبر المؤلف عن ذلك فى روايته سيرة الشيخ نور الدين ، ويدرس هذا الكتاب الزاوى لساعة ابداعه للسيرة وكذلك مدونات السير الشعبية

وانتقل من ذلك الى دراسة القبوذة الخاصة بالبطل وهى صب الاسطورة المتصلة به ومنها لدراسة البطل المصاحب ثم درس نسب البطل وروايته فى المناسبات الميلاية وانتهى باعداد تعرف الجماعة على بطلها والاعتراف به ليكون قائدها وزعيمها فى رحلة الحياة . وفى الخاتمة يعد المؤلف بتقديم بقية جوانب السيرة حتى يستكملها فى مشروع عمره .

الطبعة الاولى : ١٩٨١

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية واحد وعشرون جنيها وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستان سبعة عشر دولارا أو ما يعادلها بالبريد الحوى وفى سائر أنحاء العالم خمسة وعشرون دولارا بالبريد الجوى
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ح . م . ع بقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عالية عند الطلب

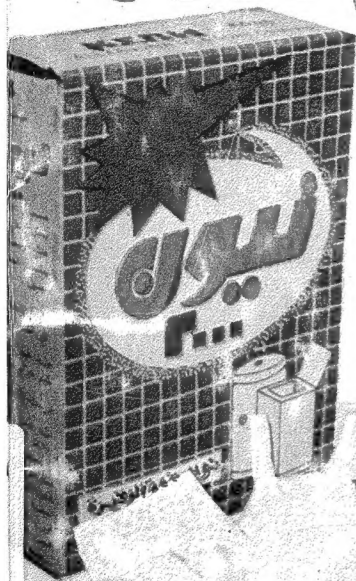
● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت السيد / عبدالعال بسيونى زعلول ، الصفاة - ص . ب رقم ٢١٨٣٣
للحصول على نسخ من كتب الهلال اتصل بالتركس Hilal.V.N 92703

المنظف الصناعي

نيون ٢٠٠٠

ذو الرغوة الوفيرة
والرائحة الذكية



إنتاج:
شركة اسكندرية للزيوت والصابون